أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاءوكيف كان قبل الخصاء

١٧٧ ذكر ماجاء فى خصاء الدوابّ

٢٢٠ باب ممّا قدمنا ذكره ، وبينه وبين ماذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ماذكر صاحب الديك من ذمّ الكلاب وتعداد أصناف معايبها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس

Khalid M. Ishaq

ADVOCATE

[illegible] Street Garden East [illegible]

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

Marfat.com

أدب

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

لا تعيرى

مخالد ابن اسحاق ايلڈوکيٹ

الكتاب الأول

الحيوان

KHALID M. ISHAQ

Advocate

[illegible]

KARACHI.

الجزء الأول

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

مكتبة إسحاقية جونا مارکيٹ کراچی

Marfat.com

132358

CALL NO

PUNJAB UNIVERSITY LIBRARY

LAHORE

ذخیرۂ پروفیسر محمد اقبال مجددی

جو 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو

ہدیہ کیا گیا۔

Marfat.com

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليَقين قلبَك ، وأفاض عليك مِنَ الخير ، وعقَد بيننا وبينك سبباً من الرِّضا ، وحبَّب إلينا كما حبّب إليك الحقَّ ، وأمتعَ عينَك وقلبَك ، بما سيطالعك من عَجَب الجاحظ . وما افتنّ فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغَ ظلَّ العافية [1] .

١ – بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظ إمامٌ فذٌّ من أئمة البيان فى العربيَّة ، وليس من الإسراف والمغالاة أن نعـدَّه زعيمَ البيانِ العربىّ . نطلق القولَ فى ذلك إطلاقا .

هو زعيمٌ للبيان العربىّ فى قوَّته وأسره ، وفى دقَّته وصحَّته . وحلاوته وجمالِه وفنِّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربىّ . وهو كذلك أحد زعماء الأمة العربيَّة . التى كانت فى الصدر المقدَّم من مكتبات الدنيا . فيما أسدت للإنسانية والفكر العربىّ واللّسان العربىّ من خير . وما بسطته على ظلام المدنيات المتهافتة من نور .

٢ – عصر الجاحظ

كان الجاحظ فى العصر الذهبىّ للأمة العربية : عصر [illegible]

والعلومُ والآدابُ والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البصرة وبغداد والكوفة

(١) الجاحظ مولده فى [illegible]

[illegible]

Marfat.com

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه المسعودىّ[1] : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهلِ العلم أكثر كتباً منه » . على أنّ أدْنى ماتنزلُ إليه فى التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيّفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر فى لسان الميزان[2] : « وسرد ابنُ النَّديم كتبه ، وهى مائة ونيِّف وسبعون كتابا » .

وياقوت فى معجم الأدباء[3] قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكنَّ ما نريد أن نقول ، أنَّ الجاحظ فى الرّعيلِ الأول من مؤلفى عصرِه وكتّابه .

والآن نَسْأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً . وفى أىّ مطْرح طوّح بها الزَّمان ! ! لقد ضرب الدَّهرُ على كثيرها ، فعادت فى مثل صنعة الساحر ، لمعتْ حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إنّ أعاصيرَ الخلافِ المذهبىِّ عَصَفَتْ بها ، فلم ضاعتْ آثارُ غيرِه من أهل السنّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنّ الخمودَ الذهنىَّ وهبوط الهمم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع هذه النفائس وفقدِها . والحقُّ أنَّ الفَوضى السياسيَّةَ التى مُنيت بها الأممُ الإسلاميةُ فى مَسائها الأول ، والتى كانت قائمةً — فى أكثر ما تقوم — على التدمير والتخريب والانتقام — جعلت تهدم فى هذا الصَّرح الفكرى ، حتى أتت على كثير من قواعده . ولم تبق إلا وشلاً من محيط ! !

المصرية) . والنص فيها : «أما مصنفاته فثمانية وستون مصنفا . ووقفت على أكثرها فى مشهد الإمام أبى حنيفة » .

(١) فى مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ — ٧٨) مرجليوث .

Marfat.com

ومهما أحزننا فقدُ كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممّا يجلب إلينا العزاءَ ، أن تبقَ الأيّامُ منها قدراً لايستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضُه بين الأدباء فكان له فضلٌ كبير فى تقويم ألسنتهم ، وتأدُّبهم ، وجمتْ بعضَه الآخرَ خزائن متناثرةٌ فى أرجاءِ المعمورة ، سأعمل جهدى على إخراج مايمكن منها ، بعون الله ، مامُدَّ لى فى الحياة .

٥ – ابن النديم والجاحظ

والعجَب أن الناظر فى فهرس ابن النديم لايكاد يرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا عرَضاً واستطراداً ، مع أن ابنَ النّديم كان من أساطين الوراقة ، وأبرعَ مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكى باشا » قد سبقنى بهذا فى أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ، بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة ناقصة[1] . وقد أسلفتُ قريباً[2] نصًّا من لسان الميزان ، يؤيد ماذهب إليه شيخ العروبة .

٦ – منحى الجاحظ فى التأليف

[illegible] الجاحظ هذه الكتب جميعاً ، ولم يكن همه فيها [illegible] فى الجمع والرواية والحفظ ، وإنما كان [illegible] يخلق الناس بديعاً ، يتسع [illegible]

---

(١) مقدمة التاج ٣ : ٤ .

(٢) [illegible] من ٦ من هذه [illegible]

Marfat.com

فى أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتَّى ميولهم إلى مايكتب ، فصَبَوْا إليه وأغرموا به غراما !

وطرق الجاحظُ فى كتابته أبواباً عجيبة ، وتقرَّب إلى العامّة[1] وحَرَص أشدّ الحرْص على استرضائهم . ولم ينسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ — قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيّان[2] : « ومن عجيب الحديث فى كتبه ، ماحدَّثنا به علىُّ ابن عيسى النحوىُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخَنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرّ بى فى جملتها : الفرق بين النبى والمتنبى ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة . وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع [ناقص] وعاد إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرْ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفَرْق خطأ . فهمَّنى ذلك وساءنى ، فى سوء ظفرى به . فلمَّا شخَصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة —

---

(١) قال الجاحظ فى البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتمونى أذكر العوام فإنى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة . ولست أعنى الأكراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل البربر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقون همج وأشباه الهمج .
وأنا العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا مايعنى الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ — ٧٣) مرجليوث .

(٣) حيوان (٤ : ٣٧٨) س ٩ .

Marfat.com

— حرسها الله تعالى — حاجًّا، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى — والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلاف بُلدانهم وتنازُح أوطانهم ، وتباينُ قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق إلى المغرب ، ومن مهبِّ الشّمال إلى مهبِّ الجنوب ، وهو المنظر الذى لايشابهُ منظر — : رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبى والمتنبى لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان !

قال : فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : حجّت الناس منًى ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به !

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أُبْلغ نفسى عذرَها .

قال ياقوت : « وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمانَ . أن يكون مثل ابن الأخشاد — وهو من هُو ، فى معرفة عُلوم الحكمة . وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزِلة — يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات وبيت الحرام . وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدى النّاس اليوم لاتكاد تخلو خزانة منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخةٍ أو أكثر » .

والمسعودىُّ ، وهوممن يُعدُّ فى خصوم الجاحظ ، يقول فى مروج الذهب [1] فى نعت كتب الجاحظ : « وكتب الجاحظ مع الظرف المشهور [2] . تجلو صدأ الأذهان . وتكشف واضح البرهان ؛ لأنّه نظمها أحسن نظْم . ورصفها أحسن رصْف ، وكساها من كلامه أجزلَ لفظ . وكان إذا تخلّف مثل نفارتِه . وسآمة السّامع . خرج من جدٍّ إلى هزْل . ومن حكمة بليغة إلى نادرة مضحكة . وله كتب حسان . منها كتاب البيان والتبيين . وهو أنقد فيها . لا . . . بين المنثور والمنظوم . وغُرر الأشعار . ومستحسن الأخبار . . . .

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧) .

(٢) يريد . . . .

Marfat.com

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء . وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا (صوابها أو) إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافى[1] : « حضرْنا مجلسَ الأستاذ أبى الفضل ابن العَميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، فغضَّ منه بعضُ الحاضرين ، وأزرى به ، وسكت الوزيرُ عنه . فلمَّا خرج الرّجلُ قلت له : سكتَّ أيُّها الأستاذُ عن هذا الرَّجل فى قوله . مع عادتك فى الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجدْ فى مقابلته أبلغَ من تَركه على جَهله . ولو واقفتُه وبيَّنْتُ له ، لنظر فى كتبه وصار بذلك (إنساناً) ياأبا القاسم . فكتُب الجاحظِ تعلِّم العقلَ أوّلاً ، والأدبَ ثانياً ! ! ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسى . كان من خُوَّاص الجاحظ ، ومن المقدِّرين لعلمه وفضْله فى كتبه .

قال الجاحظ ــ وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون[2] : « ولما قرأ المأمونُ كتبى فى الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه ــ وكان قد أمر اليزيدى بالنَّظر فيها ليخبره عنها ، قال لى : قد كان بعضُ مَن نرتضى عقله ، ونصدّق خبره ، خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلت : قد تُربى الصَّنعةُ على العِيان ، فلما رأيتها رأيت العِيان قد أربَى على الصَّنعة . فلما فَليتها أربَى الفلى على العيان كما أربى العِيان على الصَّنعة ! ! » .

---

(١) الحديث فى وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .
(٢) البيان (٣ : ٣٠٤) .

Marfat.com

٨ – ذَيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، فى حياته ، للرَّغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورةً تُنبيك عن مبلغِ هذا الذَّيع ، وتَقفُكَ على مقداره :

روى الخطيب البغدادىُّ فى كتابه[1] عن يحيى بن علىّ . أنه قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمَّى كتاب البيان والتبيين[2] : إن ممّا يستحسن من النِّساءِ اللحنَ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء – يعنى قوله[3] :

وحديث ألذُّه هو ممّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا

منطق صائب وتلحَن أحيا ... ناً وخير الحديث ما كانَ لحنا

قال : هو كذلك . قلت : أفما سمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماءَ بنِ خارجة مع الحجاج ، حين لحنت فى كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيت أخيها فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنة ، فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظَّاهر ، لتستر معناه وتورّىَ عنه ، وتُفهِمه من أرادت بالتَّعريض ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ ﴾ ولم يُرد الخطأ من الكلام . لحنا لايُستحسَن من أحد ؟ ! فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : لله سقطُ بنُ هند ، لحن لحنا لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار فى الكتب فى الآفاق ! ! هذا لايصلح !

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٥) ، ومعجم الأدباء (١٦ : ١٢٥) ، ومرجليوث .

(٢) البيان والتبيين (١ : ١٤٨) .

(٣) فى البيان والتبيين (١ : ١٤٨) من رهط سالم .

Marfat.com

وصورةً أخرى[1] : قيل لأبى هفّان وقد طال ذكر الجاحظ لأبى هفان — : لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندَّد بك ، وأخذ بمخنَّقِك ؟ ! فقال : أمثلى يُخدَع عن عقله ؟ ! والله لو وَضَع رسالةً فى أَرنبة أنْفى ، لما أمْسَت إلا بالصِّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبُه تغزو الآفاق ، وتطيرُ فى الدُّنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ — ورّاقو الجاحظ

لم يكن بُدٌّ للجاحظ ، وقد منحه الله فى القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكَّن من تحقيق مطمحه ، فكان له ورّاقون[2] ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عثرت على اسم أحد هؤلاء الورّاقين فى موضعين : أحدهما أمالى القالى[3] حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبى بكر بن دُريد ، لليلى الأخيلية — وقال لى : كان الأصمعىُّ يرويها لحميد بن ثور الهلالى — قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « ورّاق الجاحظ » فى شعر حميد :

يأيها السَّدِم الملوِّى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما »

والموضع الثانى : معجم الأدباء[4] ، حيث ذكر ياقوتٌ كتابى « النساء »

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .

(٢) ما كان أجدر بكلمة الوراق أن تستعمل فى معنى « السكرتير » التى حيرت اللغويين .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .

(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

Marfat.com

و « النعل » وقال : « قال ابن النَّديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخطّ زكرّياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، ورّاق الجاحظ » .

وقد عرّف ابن النَّـديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته . على حين ذكره القالىُّ غُفلاً ، ممّا يرجّح لدينا أنْ يكون الصواب فى اسم هذا الورّاق . مانقل ياقوتُ عن ابن النَّديم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة الورّاق . وقد ينسب إلى جدّه . رَوى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبى شيبةَ . قال الزبيدى[1] نقلا عن الحافظ : « وكان وراقا للجاحظ . وعاش إلى رأس الثلاثمائة » .

وفى تاريخ بغداد[2] أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبى حيّة . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن معاوية ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدَّورقى ، ومحمد بن شجاع الثَّلجىّ . ويعقوب بن شيبة السدوسى . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطنى . وابن شاهين . وأبو حفص الكتانىّ . وكان صدوقا فى روايته . وينسب إلى الوقف فى القرآن . أخبرنا الأزهرىّ أخبرنا أبو الحسن الدارقطنى نا عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة ثقة يرمى بالوقف . أخبرنا الحسن الخبر الصفّار . حدثنا ابن قانع . أن أبا القاسم بن أبى حيّة مات فى [illegible] تسع عشرة وثلثمائة .

---

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ س ٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ : ٥٠ .

Marfat.com

تقديم كتاب الحيوان

١ — كتب الحيوان

سبق اليونانيُّون أسلافَنا العَرب ، إلى التَّأليف فى علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون فى حديثه عن علم الحيوان [١] : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسطاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى . وقد يوجد سريانيًّا نقلاً قديماً ، أجود من العربى . ولأرسطو أيضاً كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضارّ » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبى القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر [٢] المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادى أيضاً .

ونستطيع أن نقول : إنّ الجاحظَ أوّلُ واضعٍ لكتاب عربىٍّ جامعٍ فى علم الحيوان . وقد كان قبلَه وفى عصره محاولاتٌ شتَّى لطائفةٍ من العلماء ، يتحدَّثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الابل

لأبى حاتم السِّجِستانى (٠٠٠ — ٢٤٨) ، وللأصمعىّ (١٢٢—٢١٦) ، ولأبى عبيدة (١١٠ — ٢٠٩) ، وللنَّضر بن شُميل (١٢٢ — ٢٠٣) ،

---

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسمه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

Marfat.com

ولأبى زيادٍ الكلابىّ[1] ، ولأحمد بن حاتم الباهلىّ (٠٠٠ — ٢٣١).

كتب الخيل

لابن قُتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) . وابن الأعرابى (١٥٠ — ٢٣١) ؛ وأبى عُبيدة ، وأبى جعفر محمَّد بن حبيب البغدادىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) وأبى محلّم محمّد بن هشام الشيبانىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبى الحسن الأخفش (٠٠٠ — ٢١٥) . وللنَّضر بن شميل ؛ وللأصمعىّ .

كتب الوحوش

للأصمعى ، ولأبى زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ — ٢١٥) ؛ ولأبى حاتم السِّجستانى .

كتب الطير

لأبى حاتم السجستانىّ . والنَّضر بن شميل . وأحمد بن حاتم الباهلىّ .

كتب البازى والحمام والحيات والعقارب

لأبى عبيدة .

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن عمر بن أبى [illegible] قال [illegible] حين أصابت الناس المجاعة ، وقال قصيدة [illegible] ومهامات . وكان شاعرا [illegible]

Marfat.com

للأصمعى .

كتابا النحل والحشرات

لأبى حاتم السجستانى . وللأصمعىّ كتاب فى النَّحل والعسل (١) .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلَّفْ للقصد العلمىّ الخالص . وإنما أريد بها أن تكون باحثةً فى اللُّغة أوّلاً . فهى بمثابة مُعجماتٍ لغويَّة خاصّة بما ألِّفت له ، فهى لاتبحث فى طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعادِه ، وإنّما تجعل همَّها الأوّلَ والثانىَ هو اللغة . وقد يكون منها أن تبحث البحثَ العلمى . ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .

وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتنكشف أمامك صورة ماأسلفت .

فهذا أوّلُ كتاب الإبل للأصمعى (٢) :

« قال أبوسعيد عبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعىّ : أجودُ وقتٍ يُحمل فيه على النَّاقة أن تَجَمَّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضْرَبَها الفحلُ . فإذا حمل عليها فى كلّ عام فذلك الكِشاف . يقال ناقة كَشُوفٌ . وقد أكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لقحتْ إبلُهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

---

(١) اعتمدت فى استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبغية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ من مجموعة الكنز اللغوى المطبوع فى بيروت ١٣٢٢ .

Marfat.com

* حربٌ كشافٌ لقحت إعثاراً *

وإليك نصًّا آخر من خلاله[1] :

« وممّا يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقةحمراء، وإذا بُولغ فى نعت حُمرته قيل : كأنه عِرْق أرطاة . ويقال أجلَدُ الإبلِ وأصبرها الحُمْر . فإذا خَلَط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُمْيت . فإذا خلطَ الحمرةَ صفرةٌ قيل : أحمر مدَمًّى . قال حُميد بن ثَور :

وصار مدمَّاها كُميتاً وشُبِّهت قروحُ الكلى منها الوجارَ المهدَّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعى[2] :

« أسماء عدد الإبل : الذَّود : ما بين الثّلاثة إلى العشرة . والصُّرمة : القطعة التى ليست بالكثيرة . والعُشَّرة : فرق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين . إلى الأربعين .

والعكَرة : إلى الخمسين ، إلى السِّتّين إلى السَّبعين .

والهجْمة : المائة وما داناها . والهُنيدةُ : مائة . والعرْج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والبَرْكة : إبل تقدم جمعه . [illegible] عليهم . قال متمم :

ولا شارف حرشاء ربعت فحَنّت حنين . فأبكى شجوه [illegible]

٢ ـ كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من [illegible] كتب لغته فى حيوان . [illegible]

(١) ص ١٢٦ [illegible]

(٢) ص ١٥٦ [illegible]

١٩٥٥ [illegible]

Marfat.com

كتابُه ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدة ، فى أمرٍ متشعِّبِ الأطراف ، ممدودِ النواحى .

٣ ــ مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفْسَه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أنّ صاحبَه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لاينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده ــ : (الشعر العربى) فالشعر العربىُّ وبخاصةٍ البدوىُّ منه ، قد تحدَّث عن الحيوان حديثاً طويلا ، تحدَّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشىّ ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدَّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدَّثوا فى نعتها فلم يذَرُوا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حملها ونتاجها ، ورأْمها وحنينها ، وحلْبها وألبانها ، وألوانها ونِجازها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسَيرها وسُراها[1] .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصَّل ، وعنايةٌ بمثل مااعتَنوا به فى الإبل .

---

(١) مما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجُو الله العون فى إتمامه .

Marfat.com

ووفوا كذلك لكلابهم وشائهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودةً للعرب إلاَّ وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيّات — وفلواتُهم مواطنُ غنيّةٌ بها — فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد[1] ، والنَّمر ، والذئب[2] ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعِقبان والرَّخَم ، والِحدأَ والقطا والحَجَل .

ولو أردتُ أن أستقصيَ سائرَ مانعتوا من الحيوان ، فى شعرهم وحَديثهم وأسمارهم — مااستطعتُ . ولو استطَعْتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أنَّ العرب — والأعراب منهم خاصة — قد ثَقِفوا معرفة الحيوان ، وبرعوا فى ذلك البراعَةَ ، واستوعبُوا حالَه وعادَه . وهو يقول فى ذلك[3] :

« وقلَّ معنًى سمعنَاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الأطباء (والمتكلّمين) إلا ونحن قد وجدناهُ أو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وقال فى الكلام على السِّباع المشتركة الخلْق[4] : « وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضَّبع والسِّمع والعسبار : إذ كانت معروفة عند الأعراب . مشهورة فى الأخبار . منوَّهاً بها فى الأشعار » .

---

(١) أشهر عربى وصف الأسد هو أبو زبيد الطائى . له حديث فى الأسد ومنه ... ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يفخرون أحياناً ببشراكهم الذئب فيما يصفونه به ... خبر مع الذئب فى إطعامه لحم شاة له . خسة ... ١٠٠ .

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

Marfat.com

وهو يُظهر السَّببَ فى جَودةِ معرفِة الأَعرابِ للحيوان ، بقوله[1] :

« ورّبما ، بل كثيراً مايُبْتلَوْن بالنّاب والمخلب ، واللَّدْغ واللَّسع ، والعضِّ والأكل . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّف حالِ الجانى والجارح والقاتل ؛ وحالِ المجنىِّ عليه والمجروح والمقتول ؛ وكيف الطّلبَ والهرب ، وكيف الدّاءُ والدّواء ؛ لطول الحاجة . ولطول وقوعِ البصر . مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاء والدَّواء » .

والـكتابُ مفصَّل بكثير من الشعر العربى ، موشَّع بعيون مانظم العرب والأعراب فى الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة فى الشّعر العربى . فهو يصدِّره فى الرَّدّ على أرسطو ، ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو فى عقوق العُقاب[2] : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمَّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك . قال دريد بن الصِّمّة[3] :

وكلّ لجوج فى العنانِ كأنها ... إذا اغتمست فى الماء فتخاءُ كاسرُ

لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له ... كما مَهَدَتْ لبَعْلِ حسناءُ عاقرُ »

والمادة الثالثة من مواد الـكتاب : هى (كتاب الحيوان لأرسطو[4]) .

وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الـكثرة بمكان . ولـكنها من القيمة والنّفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر . فهو لايقبل هذه النُّصوص

---

(١) حيوان (٦ : ٢٩) .

(٢) حيوان (٦ : ٣٧) .

(٣) فى الأغانى (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٠) أنه دعثر بن حمار البارقى .

(٤) سبق التعريف بهذه الـكتب ص ١٠ .

Marfat.com

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحَن ، ولا يطأطئ بفكره لها ، وإنما يصعد به عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقلّما ترك واحداً منها إلاّ تكلم فيه ، وعرضَه على الحجّة .

فمن ذلك ماقال[1] : « وقد ذكر صاحبُ المنطق أنّه قد أبصر ثوراً وثب بعد أن خصى ، فنزا على بقرة فأحبلها » ، وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت فى الكلام الذى أسلفتُ . ردّه عليه بالشعر العربى .

وقال أرسطو فى الفيل[2] : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من البرد » . فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد . فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيل الأبيض . والفيلَ الأبقع . وجاء فلانٌ على الفيل الأسود ؟! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو[3] : « وقد سمعنا ماقال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلّد على نفسه فى الكتب شهادت لايحققها الامتحان . ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يعتذر صاحبنا عن أرسطو . بأن مترجمين نقلته يخطئان النقل . ولم يتوخيا الدقة والمطابقة . فهو يقول[4] : « لعل مترجم قد أساء فى الإخبار عنه » ويقول[5] : « فكيف أمكن بعد هذا إلى أخبار المخبرين

---

(١) حيوان (٥ : ٥٠٢) .

(٢) حيوان (٨ : ٢٢٦) .

(٣) حيوان (١ : ١٢٥) .

(٤) حيوان (٢ : ٥٢) .

(٥) الحيوان (٣ : ١٥) .

Marfat.com

وأحاديث السماكين ، وإلى مافى كتاب رجل – يعنى أرسطو – لعلَّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المِصْطبة ، ويبرُأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ؛ بسوء ترجمته » .

وله نحوٌ من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع أخر من كتابه[1] نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلامُ الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيَّار العارم ، إلى مواطنَ شتَّى من نواحى الحجاج والجَدَل . وكأنّما خلق اللهُ كلَّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرُّف والعمل . فهم إن فَرَغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّانحة والخاطرة ، وفيما يَظهَر للعَين أنَّه دَقيقٌ مَهين .

والكتاب معرِض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيَّما الجزأين الأوَّل والثانى منه . فكثيراً مايمرُّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنَّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصّ ، فى المقايسة بين الكلب والديك . يتقدَّم الفريقَ الأوَّلَ أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعَّم الزَّهط الآخر مَعبد[2] .

كما أنَّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضَّرْب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلِّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

---

(١) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

132358

Marfat.com

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردًّا مسهباً ، صدَّره بقوله[1] : « فإن قلت : وأى شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرَّغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتَّنْويه بذكرهما ، شيخان من عِليَة المتكلِّمين ومن الجلَّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إنَّ البحث فى شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ماأبدع وبَرَا .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، فى عنايته بالحيوان والحديث فيه . أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه . وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونبّه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة . والموعظة البليغة[2] » .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة . سمّيت بالبشرية[3] وتوفى سنة ٢١٠هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين فى جزء خامس من الحيوان ، وتكلّم فيهما كلاما طويلا . استغرق نحو نصف جزء .

والمادة الخامسة من مواد الكتاب هى بحث فى الشخصية . ذلك الذى كان يدفع بصاحبنا إلى السؤال عمّن يتكلم فيه العلم . وقد

(١) الحيوان ١ : ٩٣ .

(٢) الحيوان ١ : ٩٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٩٠ .

Marfat.com

بطبعه شعبياً ، مع أنَّه كان مقرّباً نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلفاء[1] . فهو قد جالس الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك مايقول[2] : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحى الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . »

وهو يتحدّث مع صائد العصافير ويقول[3] : « وخبَّرنى من يصيد العصافير . . » .

وأحياناً يخالط الحوّائين ، ويقف منهم موقفَ المستَمِع إلى الشَّكوى . وفى ذلك يقول[4] : « وشكا إلىّ حوّاءٌ مرةً فقال : أفقرنى هـذا الأسودُ ومنعَنى المكسبَ ؛ وذلك أنَّ امرأتى جهِلت فرمَتْ به فى جُونةٍ فيها أفاعى ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعهنَّ كلَّهن — وأرانى حيّة منكرة ! »

وله نِقاش فى شأن الفيل مع عبدٍ يدعى « غانما[5] » . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوى الخصام والجدل كما عرفت .

٤ – متى ألف كتابَ الحيوان

قيل لأبى العيناء : ليت شعرى ، أىّ شىء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعرى . أىّ شىء كان الجاحظ لايحسن[6] ؟! .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حالى أن الوزير يتكل برأيى ، وينفذ أمرى . ويؤاثر (صوابها : يواتر) الخليفة الصلات إلى » .

(٢) حيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) حيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) حيوان ٦ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) حيوان ٦ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصرى ١٦٥ .

Marfat.com

نعم ،،كان الجاحظ أعجوبةَ الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأتَ كتاب الحيوان ولمستَ مايحتاج إليه من جُهد ، وما يتطلبه من وَعىٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفتَ بعد ذلك كلّه أن تلك المعلمةَ الخالدةَ ، صنعها صاحبُها وأتمَّ حوكَها ، وهو فى سنٍّ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول فى شِكاية مرضه : « أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ماعلمت به ، ومن جانبى الأيمن مُنقْرَس ، فلو مرّ به الذُّبابُ لأَلمت ! ! [1] » .

قال الحُصْرى [2] : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » ، يعنى السنَّ العالية ، والمَفالج الشديد .

وما بالنا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول [3] : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوّل ذلك العلّة الشديدة . . » .

وهنا مشكلةٌ تطلعُ علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج فى آخر أيامه [4] وقالوا كذلك إنّه ألّف كتابَه الحيوان باسم محمد بن عبد الملك الزيّات [5] المتوفى سنة ٢٣٣ . وأنّه أهدى إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار [6] . فهل نقول إنّ الجاحظ فالج فمكث مفلوجا ثلثين وعشر بن سنة [1] فى الأقل ؟ ! ذلك ماتنفيه العادة . ويجعله يكتب من الوقع فيما يملى عليه ،

---

(١) بن حبيب .

(٢) فى جمع جمهرة [illegible] .

(٣) الحيوان [illegible] ٢٠١ .

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

Marfat.com

ولـكنّنا نرجع إلى تاريخ علّته من المراجع التى بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون[1] » قد عنى بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدةَ ابن أبى دواد ، وفى الطَّعام سمكٌ ولبن ، وكان ابن بَخْتِيَشُوعَ الطَّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمْع بينهما ، فقال الجاحظ : إنَّ السمكَ إن كان مضادًّا للَّبن فإنِّى إذا أكلتهُما دفَعَ كلٌّ منهما ضررَ الآخر . وإن كانا متساويين فكأنِّى أكلتُ شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لاأحسن الـكلام ، ولـكن إن شئت أن تُجَرِّب فكُلْ . فأكل فأصابه فالجٌ عظيم » .

فإذا عرفنا أنَّ أحمد بن أبى دوادٍ قد توفّى سنة ٢٤٠[2] وابُتلى بالفالج بعد موت عدوِّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً فى سنة ثلاث وثلاثين[3] . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنَّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنىَّ بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحبُّ أن أشير هنا إلى أنَّ الجاحظ ابتدأ فى تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ فى صِنوه الآخر فى الذَّيع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصٍّ قاطعٍ فى البيان[4] يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كلِّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

---

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثل هـذا النص مضطرباً فى عيون الأنباء ١ : ١٨١ .

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

Marfat.com

مقطَّعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لِما ذكرت من عَجَبِك بذلك . فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر ، إن شاء الله تعالى » .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أنَّ الجاحظ كان يسمِّى كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفى النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً فى نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ فى تاليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول[1] : وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلّة الشَّديدة . والثانية : قلّة الأعوان . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أنّى لو تكلَّفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه . ثمّ كان من كتب العرض والجوهر . والنَّتفة والتوليد والمداخلة ، والغرائز والنّحاس[2] لكان أسهلَ وأقصرَ أيّاماً وأسرع فراغا ؛ لأنّى كنت لاأفزع فيه إلى تلقّط الأشعار وتتبُّع الأمثال واستخراج الآى من القرآن . والحجج من الرواية . مع تفرُّق هذه الأمور فى الكتب .

بهذا شرح صاحبنا جهده فى تأليف الكتاب . وبيّن ما يكتنفه من عوائق وجمعه . من عنت ومشقّة .

(١) الحيوان ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) النحاس هنا بمعنى الصياغة .

Marfat.com

٦ — عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألاّ يتقيَّدوا فى النَّسخ أو الطَّبع بتقسيم المؤلِّف لـكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقَعَ هذا التَّصرُّف فى كتابنا هذا ، وأدركنى الرَّيبُ فى ذلك . ولـكنِّى وجدتُ من نصوص الـكتابِ مايشهد بأنّ تقسيم المطبوعةِ الأولى من الحيوان هو نفسُه تقسيم الجاحظ . ففى الجزء السابع بالصفحة التاسعة . نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستَّة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذى ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا . . . » .

ونجد فى ثنايا الـكتاب نصوصاً أخر تشهد بصحة هذا التقسيم[1] .

وإنّ فى مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « سه » التى يصرِّح فيها بختام كلِّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » — إن فى ذلك لدليلا آخر على صحة التقسيم التى سنتبعه .

٧ — قيمة كتاب الحيوان

لايعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلاَّ من نظر فيه طويلا . وتناول نواحِيَه بالدَّرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصِّص بالحيوان وما يتمُّ إليه بسبب . ولـكنّ

---

(١) حيوان : ٥ : ٥ ، ٥ : ٦ ، ٥ — ٦ ومما يضم إلى ذلك قول ياقوت فى معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

Marfat.com

الحقَّ أنَّ الـكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبَّاسى ، المتشعِّبة الأطراف .

فقد حوى الـكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعيّة[1] . والمسائل الفلسفيَّة ، كما تحدَّث فى سياسة الأقوام والأفراد . وكما تـكلَّم فى نزاع أهل الـكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الـكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية . وفى خصائص كثير من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر . كما تناول أحاديث فى الأجناس البشرية وتبايُنها . وكما عَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراض الحيوان والإنسان وبيان لـكثيرٍ من المفردات الطبيَّة . نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب . وأحوالهم وعاداتهم ، وعن نهضتهم وعلومهم ، كما أفاض القولَ فى حَى الـكتاب العربىّ . وحديث الرسم العربىّ . وكما فصَّل بعضَ مسائل الفقه والدين .

والـكتاب كذلك ديوانٌ جمع للمُلَحة عن خير النثر بنوعيه ونادره . وناحيك باختيار أبى عثمان ! وإن أردت بيانَ فهمه فى هذا فانظر منها القدرَ الـكبير . أو أحببت الحديث فى تبويبه وتقسيم أبوابه وفصوله وجدتَ ما ترتاح إليه نفسك وتطمئن .

أمّا فـكاهة الجاحظ فهذه هى [illegible]

بين الفينة والأخرى . متمثلة فيما [illegible]

(١) والمراد هنا بالطبيعيات [illegible]

Marfat.com

وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبى عصر الجاحظ ، التى لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية .

هذه صفةٌ للكتاب مجملة ، أوجَزْتها إيجازًا ولم أُردْ تفصيلَها ، فذلك إنَّما يكون فى كتاب .

على أنَّ الفهرس الذى ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلِّى للقارئ أشياءَ وأشياءَ غيرَ ماذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ مِمَّا كمن فى جَنَبات ذلك الكنْز القَيِّم .

Marfat.com

تصحيح الكتاب

حفظ

١ — قراءة الكتاب

كان أوّل عهدى بدراسة هذا الكتاب منذ أربع سنوات مضين ، وكنت أجدُنى أمضى فى الكتاب وأتابع قراءته ، رغمَ ما كان يحفل به من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجّع قارئه على المتابعة ؛ ممّا كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتى أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما استطاعه جهدى ، كما عنيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على تثبيت ما يريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلّم حريص على إفادة تلميذه ؛ ولكنّ تلميذه لا يجلسُ بين يديه . أو يسايرُه ليتلقّى عنه المعرفة . بل يؤلّف له أستاذُه الكتابَ جامعا . ويدعُه يُفيد ممّا يقرأ ويتفهّم . ولنا بحث كلام فى هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان[1] . ولقد نفعنى هذا التكرار فى مقارنة النُّصوص وتصحيحها .

(١) ص ٨٥ .

Marfat.com

٢ ـ البدء فى تحقيقه

وعُدْت لقراءة الحيوان فى الصّيفَ الماضى . فطلب إلىّ حضرات ناشرى هذا الكتاب أن أقومَ بإعداده للطَّبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أنَّ من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطيّة والمصورة المودعة دارَ الكتب المصرية . حتى يخرج الكتابُ للنَّاس أقربَ ما يكون إلى السَّلامة .

شرعتُ فى مقارنة النُّصوص بالنُّسخ . فهالنى الأمرُ واستعظمت التَّبِعة التى أُلقيت على عاتِقى ؛ للتَّخالُف الشَّديدِ مابين النسخة والأخرى فى صور الألفاظ . وفى الزيادة والنقص ، والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكِصَ وأرتدَّ عن الميدان الذى هابه قبلى رجالٌ ورجل .

لولا أن شدَّ من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث فى مصر غيرَ مدافَع ، « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » . فقد قرّبَ ـ حفظه الله ـ إلىَّ الأمرَ . واستنهضنى ، وبسط لى من عَونه الأدبىّ ، ماهوّن على . ما كنت أعدُّه فى المحال .

وإنى لأسجّل له هنا شكرًا صادقا ، واعترافاً بما أسدى وأرشد . وما أعان وعضد . فجزاه الله خير مايجزَى به عالمٌ فاضل !

٣ ـ مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى . فكنت أجد بها تصحيحات عجيبة لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص . وفى كتب ابن

Marfat.com

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقاتٍ جمَّةً للأخبار والأعلام ، وما قيل فى الحيوان[1] . ولعل السرَّ فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[2] ، وأنه كان معاصراً له[3] .

ولست أغْمِط سائر الكتب ، التى أفردْتُ لها ثَبَتا ، حقَّها من الاشتراك فى إقالة عثْرة هذا الكتاب الجليل .

٤ ـ تنظيم الكتاب

كان لابدَّ لى وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على الناس فى ثوبٍ عصرهم ، وأن أخرُج به من ظلام الماضى إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ جهدى فى أن أرتِّبه ترتيباً حديثاً لا يُخِلُّ بوضعه الأوَّل . ولا يعتدى على حقِّ مؤلِّفه . فلم أبتدعْ فيه إلا الضَّبْطَ والتَّرقيم ، بعد عرْض كلماته على المعجمات .

وثانيةً أنِّى فصلت أثناءه بعنوانات تميِّز مسائله . وتظهرها أعلاماً لطريقه المنهج الممتدّ . ولم أشأْ أن أجعلَها معوجَّة المنهجة مسايرة لما طرأ على لغة هذا الزَّمن من أساليب الأعاجم . بل قرَّبتها تقريبا من لغة الجاحظ نفسه ، واقتبستها اقتباسا من تضاعيف كلامه ، ليكون بذلك التَّساوُق والتَّناسب . وقد ميَّزْت هذه العنوانات الإضافيَّة بأقواس خاصة ، وتركت الأصيلة منها مجرَّدة من الأقواس . فبهذا فصْلٌ ما بين هذه وتلك .

---

(١) فى عيون الأخبار : ٢ : ٢٢ ، ١٠٤ ، ... ، ٩ ، ... ، ... ، ...

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارَض بعضه ببعض . وأن يقارَنَ بين نصوصه المتشابهة — وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيّةً ثانية ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشاركها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصّة من هذا الكتاب .

٥ — أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [ ] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل . أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة « كوبريلى » المرموز إليها برمز « ل » وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ (١) .

٦ — النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاج مابين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ — فأوّل تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى . وهذه النسخة جيِّدة مقروءة، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ — ١٠٦ .

Marfat.com

مجلدات، هى الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها فى التحقيق بالرمز « ل » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ ش وهى نسخة كاملة فى مجلّدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهى فى جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « ش » .

٣ وثالثها النسخة الخطية التى تحمل رقم ٥٦٠ فى دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة ، وكتب فى صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية فى ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز « م » .

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ ش بدار الكتب المصرية . خطّها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهى فى بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ ش » .

٥ — وخامسها النسخة التيمورية . برقم ٤٥ طبيعيات . كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢١٠ وصار فى ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستمامت مساعيه . طالعه كاتبه الفقير على النبتى خادم الإمام . وفيه وفيه فليتأمل قاريه » وفى نهايتها : « برسم كتبية العبد الحقير موسى بن جرجس ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب اشتراه من الشاكر الشاعر فى سنة ١١٥٠ هجرية . ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على النبتى وهذه النسخة مثل سابقتها فى البدء والانتهاء . وهذه هى التى رمزت إليها بالرمز « ت » صرحت باسمها .

Marfat.com

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة فى المطبعة الحميدية، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولـكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة :

« كما فى النسخ التى بأيدينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ — مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم ١٤٠ R,F, D . وهى تحتوى على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تمليك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصوّر . وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ — تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداعاً ، فلهم فضل السبق .

ولا ريب أن الفهارس للـكتب العربية ، ولا سيّما القديم منها ، هى بمكان الحيا للأرض الطيبة . به تؤتى نفعها وثمرها ، وبخاصّةٍ فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهباً مقسما بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة . فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجةٍ ملحّة إلى مايمكّنه من تحصيل الـكثير فى اليسير من الزمن ، وإلى مايدلل له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الـكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الـكتاب هى كما ترى :

Marfat.com

١ – فهرس تفصيلى لأجناس الحيوان .

٢ – فهرس لأعلام الحيوان .

٣ – فهرس لأعلام الناس .

٤ – فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .

٥ – فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .

٦ – فهرس للأمثال .

٧ – فهرس للشعر .

٨ – فهرس للأرجاز .

٩ – فهرس للغة .

١٠ – فهرس للكتب .

١١ – فهرس لأيام العرب .

١٢ – فهرس للمعارف العامة .

وقد أفردت لها مجلدا كبيراً . يلحق بالكتاب فى نهايته إن شاء الله وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .

والفهرس الأخير منها . وهو فهرس المعارف . قد قسمته على أجزاء الكتاب . فجعلت لكل جزء نصيباً منه . كى يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره . ثم أضم شرفه فأجعل منها . فهرساً واحداً .

وسيجد القارئ فى نهاية كل جزء . فهرس خاصة به . يحصيها على ترتيب طريف . مقتبساً ثانيها وثالثها ورابعها . من [illegible] الكتاب . [illegible] والإخلاق منها .

Marfat.com

* * *

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أنْ ليس يوجد فى عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذى أخرجتُه ، مبرّأً من العيب ، سليمًا من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن النّاس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية فى عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجَد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيى الناشرون من أثر الأسلاف .

وأمَّا أنا فلستُ بمكان من يدَّعى العصمة ، أو يَخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلاّ لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولكنّنى يعجبنى أنِّى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى التزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أُسقط حرفاً ولم أزِدْ حرفاً ، إلا استأذنت القارئ ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبَّهت القارئ إلى ماصنعت .

وجعلت من دأبى فى الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاً على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئنّ القارئ ، وليكون شريكاً فى النَّظر والتأمُّل .

وعسى أن أكون قد أصبت فى عملى هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحقّ .

Marfat.com

ومن، الله أستمدّ العون فى هـذا العمل ، الذى أستهِمُ به فى بعث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفى خدمة هـذه اللغة الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبداً فى طريق الإخلاص ، وعلى نهج الحقّ والإنصاف .

منشية البكرى
فى يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

Marfat.com

تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملى هذا سيلقى تقديرا ، فقد كنت أهونَ على نفسى فى مقام العلم وجلاله، أن يسوقنى هذا العمل إلى أن أغترّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترّ بعض الناس أو يُخدع . ومن نعمة الله علىّ — وله الفضل — أننى وقد علتْ بى السنُّ لاأزال ، كما كنت فى صدر الشباب . أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم، ولا أزال أشعر فى صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة . ومن الرجوع إلى الحق حينما يلمع نوره . ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علَّم حرفاً .

وقد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى — وذلك نحو من سبعة وعشرين عاما — أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يظهر من أجزائه ، وأعنى بتنقيحه وإصلاح مايبدو فيه من هنات .

وأتاحت لى فرصة إخراجى وتحقيق الكثير من كتب التراث العربىّ أن تظهر فى أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدوّنها على جوانب نسختى ، انتظارا لليوم الذى أتمكن فيه من إعادة طبع هذه المعلمة الضخمة .

وكنت قد اعتمدت فى إخراج النشرة الأولى على ست مخطوطات منها فى تقديم النشرة الأولى [1] . أما السادسة فهى نسخة الشيخ [illegible]

(١) ص ٣٤ – ٣٦ .

Marfat.com

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك فى ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهى نسخة حديثة فى ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمرانى سنة ١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده فى نسخة الشنقيطى مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث ، ولكن لم أجد ذلك فى الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات فى هـذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأنى لاأومن بأن يكل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثمانى سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هى ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة فى مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو فى إيطاليا برقم R.F.D ١٤٠ وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم فى نشريات جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة مايقابلها من الجزأين الأول والثانى من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأنى كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة فى بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول (١) .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

---

(١) انظر ص ٣٢ ، ٣٥٠ ، ١٤٢٠ ، ١٤٩٠ ، ١٨٧٠

Marfat.com

المصورة التى وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهى مختلّة الترتيب اختلالا بيّناً، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التى وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة فى المعارضة . وقد أذن لى معهد المخطوطات فى إجراء ذلك الترتيب العلمى فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت فى ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثانى. وتاريخ تمليكها سنة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهى دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص. وبالصفحة ١٧ سطرا ماعـدا الصفحات التى تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذى يرد له ذكر فى الكتاب . ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو فى تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسى .

وقد أجريت معارضة لهذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق فى أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ماعثرت عليه من نصوص الجزء الثانى فقد احتل مكانه الطبيعى بين نصوص وحواشى ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز ب .

وإليك بيانين :

أحدهما للوضع الذى كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها، وهو الذى تقوم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا فى مكتبتها .

والآخر للوضع الصحيح الذى يمكننى البحث من أن أشهد فيه وفيما يلى نصها .

Marfat.com

١ — الترتيب الذى عليه مخطوطة الأمبروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
١ — قطعة من الجزء الأول		١٢ ا	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١
١ ب	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١٢ ب	٢٠٣ . ١ — ٢٠٤ : ٤
٢ ا	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	١٣ ا	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨
٢ ب	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	١٣ ب	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٣	١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣
٣ ب	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	١٤ ب	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧
٤ ا	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	١٥ ا	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠
٤ ب	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	١٥ ب	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧
٥ ا	٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	١٦ ا	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢
٥ ب	٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	١٦ ب	١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	١٧ ا	١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	١٧ ب	١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١
٧ ا	٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٢	١٨ ا	١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢
٧ ب	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	١٨ ب	١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥
٨ ا	١٩٣ : ١٠ — ٢٩٤ : ١٢	١٩ ا	١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢
٨ ب	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	١٩ ب	١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧
٩ ا	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٢٠ ا	١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١
٩ ب	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٢٠ ب	١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧
١٠ ا	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	٢١ ا	١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢
١٠ ب	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	٢١ ب	١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦
١١ ا	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	٢٢ ا	١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣
١١ ب	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	٢٢ ب	١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦

Marfat.com

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ — ١٤٩ : ٤
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢
٣٠ ب	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧
٣١ ا	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١
٣١ ب	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٨
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ — ١٥٩ : ١٦
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤
٣٤ ا	١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦
٣٥ ا	١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨
٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣
٣٦ ب	١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤
٣٧ ا	١٢٢ : ٤ — ١٢٦ : ١٠
٣٧ ب	١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨
٣٨ ا	١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠
٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢
٣٩ ا	١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨
٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣
٤٠ ا	١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤
٤٠ ب	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣
٤١ ا	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢
٤١ ب	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣
٤٢ ا	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٥
٤٢ ب	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩
٤٣ ا	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤
٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩
٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٠
٤٤ ب	١٤١ : ٣ — ١٤٢ : ٧
٤٥ ا	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣
٤٥ ب	١٦ : ١٤ — ١٦ : ٥
٤٦ ا	١٧ : ١٩ — ١٢ : ٦
٤٦ ب	١٢ : ١٠ — ١٢ : ١٤
٤٧ ا	١٢ : ١ — ١٢ : ١٥
٤٧ ب	١٢ : ١٥ — ١٢ : ١٨

Marfat.com

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٤٨ ا	٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٦٠ ا	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧
٤٨ ب	٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠	٦٠ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥
٤٩ ا	٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٦١ ا	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠
٤٩ ب	٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٦١ ب	٣٥ : ٢ — ٣٧ : ٤
٥٠ ا	٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٦٢ ا	٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠
٥٠ ب	٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٦٢ ب	٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣
٥١ ا	١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٦٣ ا	٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤
٢ — قطعة من الجزء الثانى		٦٣ ب	٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢
٥١ ب	١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٦٤ ا	٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢
٥٢ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٦٤ ب	٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧
٥٢ ب	١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦	٦٥ ا	٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠
٥٣ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٦٥ ب	٥٩ : ١ — ٦٢ : ١
٥٣ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٦٦ ا	٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤
٥٤ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٦٦ ب	٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤
٥٤ ب	١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٦٧ ا	٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠
٥٥ ا	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٣ — قطعة من الجزء الأول	
٥٥ ب	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٦٧ ب	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤
٥٦ ا	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٦٨ ا	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦
٥٦ ب	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٦٨ ب	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠
٥٧ ا	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٦٩ ا	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥
٥٧ ب	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٦٩ ب	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠
٥٨ ا	١٣٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٧٠ ا	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣
٥٨ ب	١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦	٧٠ ب	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥
٥٩ ا	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٧١ ا	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤
٥٩ ب	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٧١ ب	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢

Marfat.com

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات	رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
١ ٧٢	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٨٠ ب	٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧
٧٢ ب	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	١ ٨١	٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥
١ ٧٣	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٨١ ب	٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦
٧٣ ب	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	١ ٨٢	٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨
١ ٧٤	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٨٢ ب	٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣
٧٤ ب	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	١ ٨٣	٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١
١ ٧٥	٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٨٣ ب	٤٠ : ١ — ٤١ : ٥
٧٥ ب	٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	١ ٨٤	٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨
١ ٧٦	٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٨٤ ب	٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢
٧٦ ب	٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	١ ٨٥	٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤
١ ٧٧	٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٨٥ ب	٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١١
٧٧ ب	٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣	١ ٨٦	٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥
١ ٧٨	٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٨٦ ب	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠
٧٨ ب	٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٨٧	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣
١ ٧٩	٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٨٧ ب	٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨
٧٩ ب	٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	١ ٨٨	٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣
١ ٨٠	٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤		

Marfat.com

٢ — الترتيب الصحيح لنسخة الأمبروزيانا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
الجزء الأول	
٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨	٨٧ ب
٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣	١ ٨٨
٢٣ ١٤ — ٢٥ : ٣	٧٧ ب
٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	١ ٧٨
٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٧٨ ب
٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	١ ٧٩
٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٧٩ ب
٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥	١ ٨١
٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦	٨١ ب
٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤	١ ٨٠
٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧	٨٠ ب
٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨	١ ٨٢
٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣	٨٢ ب
٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١	١ ٨٣
٤٠ : ١ — ٤١ : ٥(١)	٨٣ ب
٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨	١ ٨٤
٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢	٨٤ ب
٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤	١ ٨٥

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨	٨٥ ب
٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥	١ ٨٦
٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠	٨٦ ب
٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣	١ ٨٧
٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤	٦٧ ب
٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦	١ ٦٨
٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠	٦٨ ب
٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥	١ ٦٩
٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠	٦٩ ب
٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣	١ ٧٠
٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥	٧٠ ب
٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤	١ ٧١
٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢	٧١ ب
٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	١ ٧٢
٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٧٢ ب
٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	١ ٧٣
٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٧٣ ب
٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	١ ٧٤
٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٧٤ ب

(١) هذا نتيجة لاضطراب نصوص النسختين .

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٧٥ أ
٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٧٥ ب
٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٧٦ أ
٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٧٦ ب
٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٧٧ أ
٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩	٤٥ ب
٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣	٤٦ أ
٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٩	٤٦ ب
٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١	٤٧ أ
٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣	٤٧ ب
٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٤٨ أ
٩٢ : ٩ — ٩٣ : ١٠	٤٨ ب
٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٤٩ أ
٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٤٩ ب
٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٥٠ أ
٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٥٠ ب
١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٥١ أ
١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤	٣٦ ب
١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠	٣٧ أ
١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢	٣٨ ب
١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨	٣٩ أ
١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨	٣٧ ب
١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠	٣٨ أ
١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣	٣٩ ب
١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤	٤٠ أ

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ١	٤٠ ب
١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢	٤١ أ
١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣	٤١ ب
١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤	٤٢ أ
١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩	٤٣ ب
١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧	٤٤ أ
١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩	٤٢ ب
١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤	٤٣ أ
١٤١ : ٤ — ١٤٢ : ٧	٤٤ ب
١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣	٤٥ أ
١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٢٦ ب
١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٣١ أ
١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٢٧ ب
١٤٥ : ١١ — ١٤٦ : ٣	٢٨ أ
١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٢٨ ب
١٤٨ : ٧ — ١٤٩ : ٤	٢٩ أ
١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١١	٢٩ ب
١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٣٠
١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ١	٣٠
١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٣١
١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦	٣١
١٥٥ : ١ — ١٥٦ : ٣	٣٢
١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ١	٣٢
١٥٨ : ١ — ١٥٩ : ١٦	٣٣
١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤	٣٣

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٣٤ ا
١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٣٤ ب
١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٧	٣٥ ا
١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨	٣٥ ب
١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣	٣٦ ا
١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤	١٦ ب
١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢	١٧ ا
١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١	١٧ ب
١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢	١٨ ا
١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥	١٨ ب
١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢	١٩ ا
١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧	١٩ ب
١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١	٢٠ ا
١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧	٢٠ ب
١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢	٢١ ا
١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦	٢١ ب
١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣	٢٢ ا
١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦	٢٢ ب
١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٢٣ ا
١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٢٣ ب
١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٢٤ ا
١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٢٤ ب
١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٢٥ ا
١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٢٥ ب
١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٢٦ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧	١٥ ب
١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢	١٦ ا
١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	٧ ب
١٩٣ : ١٠ — ١٩٤ : ١٢	٨ ا
١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	٨ ب
١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٩ ا
١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٩ ب
١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	١٠ ا
١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	١٠ ب
١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	١١ ا
٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	١١ ب
٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١	١٢ ا
٢٠٣ : ١ — ٢٠٤ : ٤	١٢ ب
٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨	١٣ ا
٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣	١٣ ب
٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣	١٤ ا
٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧	١٤ ب
٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠	١٥ ا
٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١ ب
٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	٢ ا
٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	٢ ب
٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٢	٣ ا
٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	٣ ب
٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	٤ ا
٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	٤ ب

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	٥ ا
٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	٥ ب
٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	٦ ا
٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	٦ ب
٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٣	٧ أ
الجزء الثانى	
٣٥ : ٢ — ٤٧ : ٤	٦١ ب
٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠	٦٢ ا
٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣	٦٢ ب
٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤	٦٣ ا
٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢	٦٣ ب
٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢	٦٤ ا
٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧	٦٤ ب
٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠	٦٥ ا
٥٩ : ١ — ٦٢ : ١	٦٥ ب
٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤	٦٦ ا
٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤	٦٦ ب
٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠	٦٧ ا
١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٥١ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٥٢ ا
١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦	٥٢ ب
١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٥٣ ا
١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٥٣ ب
١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٥٤ ا
١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٥٤ ب
١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٥٥ ا
١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٥٥ ب
١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٥٦ ا
١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٥٦ ب
١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٥٧ ا
١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٥٧ ب
١٨٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٥٨ ا
١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦	٥٨ ب
١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٥٩ د
١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٥٩ ب
١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ١	٦٠
١٤٢ : ١ — ١٤٤ : ٥	٦٠ —
١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠	٦١

وقد عنيت فى هذه النشرة بإضافة تحقيقات وتعليقات ...

قبل ، كما أبدلت أرقام الإشارة إلى صفحات الديوان بأرقام ...

فى هذه النشرة الثانية أن أحتفظ بنظامها وعددها لأجل التنبيه ...

أشير فى الحواشى إلى أرقام صفحات هذه الطبعة الثانية .

Marfat.com

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام نشرتى الثانية له ، وصنعت مثل ذلك فى بعض الكتب التى تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة : وحذفت الفهارس التى كنت ألحقها بكل جزء لأننى استنفدتها فيما بعد فى صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبق إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإنى أحمد الله أن أمكننى من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفّق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ؟

مصر الجديدة فى { ٢٠ من ربيع الثانى سنة ١٣٨٥
١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبْهة ، وعَصَمك من الحَيرة ، وجَعَل بينك وبين المروءة نسباً ، وبين الصدق سَبَباً ، وحبَّب إليك التثبُّت . وزيَّن فى عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوةَ التقوى ، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقّ . وأودَعَ صدرَك بَرْدَ اليقين[1] وطرد عنك ذلَّ اليأس . وعرَّفك مافى الباطل من الذلَّة . وما فى الجهل من القِلَّة . ٢

ولعمرى لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ فى أمرك . وأدلَّ على مقدارِ وزنك . وعلى الحال التى وضعْتَ نفسك فيها . ووَسَمت عرضَك بها . ورضيتها لدينِك حظًّا[2] . ولمروءتك شِكْلا . فقد تنبئ إلىَّ مَيلُكَ على أبى إسحاق . وحَملك عليه . وطعنك على عَيْبه . وتنقّصك له فى الذى كان جَرَى بينَهما فى مساوِى الدِّيك ومحاسنه . وفى غير ذلك من مذاهب الكلب ومضارّه . والذى خرجَا إليه من استقصاء ذلك وجمعه . ومن تأليفه ونظمِه . ومن الموازنة بينهما . والحُكْم فيهما . ثم ببقى بكتاب الحيوان اللصوص . وكتاب غشّ الصناعات . وعبقرى بكتاب البيان والتبيين وما حَرَّ من النوادر وبَرْد . ومما عاد بارده[3] حارًّا لتخيُّر بارده حتى

(١) فى ط : « البر واليقين » . وما أثبته فى ب ، ل ، س ، ن ، ك .
(٢) كذا فى ل ، ١٠ س ، وهو تصحيح ما فى ط ، ب ، ن ، ك : « حظها من السلام » .
(٣) فى ل : « وعاد باردها » وما هنا من ب ، ط ، ن ، ك .

Marfat.com

أمتَعَ بأكثرَ من إمتاع الحارّ ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضَتِهم للسُّمَحاء ، والقولِ فى الفرق بين الصدق[1]] إذا كان ضارًّا فى العاجل ، والكذب إذا كان نافعاً فى الآجِل ، ولِمَ جُعل الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرق بين الغَيرة وإضاعة الحُرْمة ، وبين الإفراط فى الحميّة والأنَفَة ، وبين التقصير فى حفظ حقِّ الحرمة ، وقلّة الاكتراثِ لِسوء[2] القالَة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، أم بعض مايعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيُّد فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك فى طباع الحريّة ، وحقيقة الجوهريّة ، ما كانت العقولُ سليمة ، والآفات منفيَّة[3] والأخلاطُ معتدلة .

وعبتَنى بكتاب الصُّرَحاء والهُجَناء . ومفاخرة السُّودان والحمران ، وموازنةِ مابين حقِّ الخئولة والعمومة ؛ وعبتَنى بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب . وأقسام فضول الصناعات . ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل مابين الرجال والنساء ، وفرقِ مابين الذكور والإناث ، وفى أىِّ موضع يَغلبن ويفضُلْن . وفى أى موضع يكنَّ المغلوباتِ والمفضولات ، ونصيب أيِّهما فى الولد أوفَر ، وفى أىِّ موضع يكون حقُّهنّ أوجب ، وأىّ عملٍ هو بهنَّ أليق ، وأىّ صناعةٍ هنّ فيها أبلغ .

وعبتَنى بكتاب القحطانيّة و [كتاب] العدنانيّة فى الردّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكترث له : ماأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى النفى وشذ استعماله فى الإثبات .

(٣) هذا مافى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

Marfat.com

القحطانية ، وزعمتَ أنِّى تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبيَّة ، وأنِّى لم أصل[١] إلى تفضيل العدنانيّة إلا بِتنقُّص[٢] القحطانيّة . وعبتَنى ٣
بكتاب العرب والموالى، وزعمتَ أنِّى بخَسْت الموالىَ حقوقَهم، كما أنِّى أعطيتُ العربَ ما ليس لهم . وعبتَنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أنّ القولَ فى فرقِ مابين العرب والعجم ، هو القولُ فى فرقِ مابين الموالى والعرب ، ونسبتنى إلى التكرار والترادِ ، وإلى التكثير . والجهل بما فى المُعاد من الخَطَل ، وحَمْلِ الناسِ المؤن .

وعبتَنى بكتاب الأصنام . وبذكر اعتلالات الهند لها . وسبب عبادة العرب إيّاها . وكيف اختلفا فى جهة العِلَّة[٣] مع اتّفاقهما على جملة الديانة . وكيف صار عُبَّاد البِدَدَة[٤] والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة . والأصنام المنجورة . أشدَّ الديّانين إلْفاً لما دانوا به[٥] . وشغفا بما تعبَّدوا له[٦] . وأظهَرَهم جِدًّا . وأشدَّهم على من خالفهم ضِغنا . وبما دانوا ضِنًّا[٧] . وما الفرق بين البُدِّ والوثَن . وما الفَرق بين الوثَن والصنم . وما الفرق بين

---

(١) فى ل : « أصير » ومؤداهما واحد .

(٢) فى ط : « بتنقيص » والمثبت من ق ، وهو مقصود : يقع فيه ويذمه » .

(٣) فى ط : « العلة » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « عبادة البدرة » وهو تصحيف — بضم الباء — وهو الصنم ، معرب « بت » وجمعه البدة وأبدة .

(٥) فى ل : « أشد الناس إلفا لما دانوا به » .

(٦) فى ط : « وشغفا لما » وصوابه من ق ، وشغفا : علق قلبه به .

(٧) فى ل : « صبابة » بحب .

Marfat.com

الدُّمية والجثَّة ، ولِمَ صوَّروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوَرَ عظمائهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تأنَّقوا فى التصوير ، وتجوَّدوا[1] فى إقامة التركيب ، وبالغوا فى التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوَّليَّة تلك العبادات ، وكيف اقترفت تلك النِّحل ، ومن أىّ شكل كانت خُدَع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناسَ المختلفة .

وعبتنى بكتاب المعادن ، والقولِ فى جواهر الأرض ، وفى اختلاف أجناس الفِلِزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبطئ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ الألوان يَصبُغ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصْبُغ ، وبعضها يصبُغ وينصبغ ، وما القولُ فى الإكسير والتلطيف .

وعبتَنى بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين الجنّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنّ ، وكيف القولُ فى معرفة الهدهد واستطاعة العفريت[2] ، وفى الذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ، وما ذلك العلم[3] ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

---

(١) فى ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه ما فى ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) فى ط : « وكيف القول فى استيلاء العفريت على سليمان وفى الهدهد »، وهو كلام مشوه محرف وضعت بدله ما فى ل . ومعرفة الهدهد هى التى يشير إليها القرآن الكريم بآية « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو وفى قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى عرش بلقيس .

(٣) فى ط : « وما الذى هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه فى ل .

Marfat.com

وعبتنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ فى الأرزاق والإنفاقات [وكيف أسباب التثمير والترقيح[1]] ،وكيف يَجتلب[2] التجار الحُرَفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبتنى برسائلى] وبكلّ ماكتبت [به] إلى إخوانى وخُلَطائى ، من مَزْح وجِدٍّ ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافُل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال مِيسَمه باقياً، ومديح لا يزال أثرُه نامياً ؛ ومن مُلَح تُضحِك ، ومواعظَ تُبكى .

وعبتَنى برسائلى الهاشميّات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيَها ، وتصويرى لها فى أحسَن صورة ، وإظهارى لها فى أتمّ حلية . وزعمتَ أنّى قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيديّة ، ومن حدّ الاعتدال فى التشيُّع والاقتصاد فيه ؛ إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة الزيدية خطبة ،ومقالةِ الرافضة[3] ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة ،ومقالة الغالية[4] . وزعمتَ أنّ فى أهل القضيّة والذى جَرَتْ عليه العادة ، أن كلّ كبير ذنْبُه صغير ، وأنّ كلّ كثير فإنما هو قليل جُمع [من] قليل . وأنشدت لبعض الراجز[5] :

---

(١) ترقيح المال : إصلاحه ، [illegible]

(٢) فى ط : « تجدد ، وصوابه [illegible]

(٣) فى ط : « خطبة ، وصوابه [illegible]

(٤) فى ط : « خطيئة ، وصوابه [illegible]

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى الحيوان ، وأنشده [illegible]

Marfat.com

قد يَلحَق الصغيرُ بالجليلِ وإنّما القَرْمُ من الأَفِيلِ
وسُحُقُ النخلِ من النَّسيلِ

وأنشدتَ قول الشاعر (١) :

ربَّ كبير هاجَه صغيرُ وفى البُحور تَغرَق البحورُ

وقلتَ : وقال يزيدُ بن الحكم (٢) :

فاعلم بُنَيَّ فإنّه بالعلم يَنتفِع العليم
إنّ الأمورَ دقيقُها مما يَهيج له العظيم

وقلتَ : وقال الآخر :

صار جِدًّا ما مزحتَ به ربَّ جِدٍّ ساقه اللعبُ

وأنشدت قول الآخر (٣) :

ما تَنْظُرون بحقِّ وَردةَ فيكمُ تُقضَى الأمورُ ورَهطُ وَردةَ غُيَّبُ (٤)
قد يبعثُ الأمْرَ الكبيرَ صغيرُه حتَّى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب :

---

(١) البيت فى المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامى عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم أشهد أن عمّى ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) فى ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها فى ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان فى ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هى أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . . ماتنظرون : أى تنتظرون .

Marfat.com

جَدعتمْ بعبد الله آنُفَ[١] قومِه بنى مازن أَنْ سَبَّ راعى المحَزَّم[٢]

وقال الآخر[٣] :

أيّةَ نارٍ قَدَحَ القــادحُ وأىّ جِــدٍّ بَلَغَ المازحُ

وتقول [العرب]: « العَصَا من العُصَيَّة ، ولا تلد الحيّةَ إلا حَيَّةٌ[٤] » .

وعبتَ كتابى فى خلْق القرآن ، كما عبتَ كتابى فى الردِّ على المشبِّهة وعِبْتَ [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام . كما عبتَ كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه . وعبتَ معارضتى للزيدِيّة وتفضيلى[٥] الاعتزالَ على كلِّ نِحْلة . كما عبتَ كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود[٦] ثمّ عبتَ جملةَ كتبى فى المعرفة والتمست تهجينَها بكلِّ حيلة ، وصغَّرت من شأنها . وحطَطت من قدرها . واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها . فعبتَ كتاب الجوابات . وكتاب المسائل . وكتابَ أصحابِ الإلهام . وكتابَ الحجَّة فى تثبيت النبوّة . وكتابَ الأخبار . ثمّ عبتَ إنكارى بصيرةَ غناه المرتدّ . وبصيرة كلّ جاحد وملحد . وتفريقى بين اعتراض الغُمْر[٧] . وبين استبصار المحقّ . وعبت

---

(١) فى ط : « آناف » وأثبت ما فى ل ، س ، ١٠ س . وآنف جمع من أنف وآنف وآناف .

(٢) فى ط ، ل س ، ١٠ س : « المخزم » بالخاء . وصحيحه بالحاء كما فى بفسبط البغدادى ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ستة رواها البغدادى فى قصة طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والتبيين ٣ : ١٩٠ .

(٤) فى ط : « حية » ويغلب أن يكون تصحيف مطبع .

(٥) فى ط : « تفضيل » والوجه ما فى ل .

(٦) فى ط : « النصرانى واليهودى » وأثبت ما فى ل .

(٧) هذا ما فى ل ، س ، ١٠ س . وفى ط « تفريق بين اعتراض الجاهل الذى لم يجرب الأمور » .

Marfat.com

كتابَ الردِّ على الجَهْمِيّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجَهالات[١] ، وكتاب الفرقِ ما بينَ النبىّ والمتنبى ، والفرقِ ما بينَ الخِيَل والمخاريق[٢] ، وبينَ الحقائقِ الظاهرة والأعلام الباهِرة[٣] . ثمّ قصدتَ إلى كتابى هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض[٤] على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزَرَيت على نحْتِهِ وسَبكه ، كما زَرَيت على معناهُ ولفظِه ، ثمّ طعنتَ فى الغرض الذى إليه نزعْنا ، والغاية التى إليها قَصَدنا[٥] . على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ ، وحقيقتهُ آنَقُ من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسِّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى[٦] ، ويحتاج إليه الرَّيِّض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيض فللتعلُّم والدرْبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرينِ وتمْكين العادة ؛ إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدِّماته مرتبةً وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفايةِ المُؤنة ؛ لأن كلَّ من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمَّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمه ، وعلى مؤلّفه غُرمُه ، وكانَ له نفعُه ، وعلى صاحِبِهِ كَدُّه ، معَ تعرُّضِهِ لمطاعِن البُغَاة ، ولاعتراض المنافِسين ، ومع عرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهابِذة ، وتحكيمِه فيه المتأوِّلين والحسَدَة . ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم ، أو هجَمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافِه ، ونَشِيط جَامٌّ ،

---

(١) ما عدا ل : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « الناهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابهما مافى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والانتقاض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا مافى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

Marfat.com

ومؤلِّفه مُتعَبٌ مكدود ، فقد كُفِى مَؤُونَة جمعه وخزنِه ، وطلبِهِ وتتبُّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ ، وأدرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعَلَ هُجومَه عليه من التوفيق ، وظفَره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمم ، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيًّا ، وإسلاميًّا جَماعيًّا ، فقد أخَذَ من طُرَفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْمِ التجرِبة ، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وِجْدان الحاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه الفِتيان كما تشتهيه الشيُوخ ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهوِ كما يشتهيه المجدّ[1] ذو الحَزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفَطِن .

وعبتَنى بحكاية قولِ العثْمانِيَّة[2] والضِّرَارية ، وأنت تسمعنى[3] أقول فى أوّل كتابى : وقالت العثمانية والضراريَّة ، كما سمعتَنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ علىَّ بالنصْب لحكايتى [قول العثمانية] ، فهلاّ حكمتَ علىّ بالتشيُّع لحكايتى [قول الرافضة] !! وهلا كنتَ عندك من الغالية لحكايتى قول الغالية ، كما كنتَ عندك من الناصِبَة لحكايتى قول الناصبة !! وقد حكينا فى كتابنا قولَ الإباضيَّة والنَّكْرية ، كما حكينا قول الزيدية والرافضة

---

(١) فى ل : « الجد » بصيغة ، وما أثبتناه عن ب .

(٢) فى ط : « بجحدية من قول العثمانية » وما أثبتناه عن ب وهى هى . وفى ل : « العثمانية » بصيغة ، وما أثبتناه عن ب .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « لما سمعنى » .

Marfat.com

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاَّ كنَّا عندَك من الخارجية ، كما صرنا عندَك من الضِّرَاريَّة والناصِبَة . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرَعَ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية[1] ، اللهم إلاّ أن تكون وجدتَ حكايتى عن العثمانيَّة والضِّراريَّة أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم]، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتنى قد وهَّنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ! ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ماادعيت واضحا] .

وعبتَنى بكتاب العباسية ، فهلاَّ عبتَنى بحكايةِ مقالةِ مَن أبى وجوبَ الإمامة ، ومَنْ يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أنّ تَرْكَ النَّاس سُدًى بلا قيِّم أردُّ عليهم . وهملاً بلا راع أربحُ لهم ، وأجدَرُ أنْ يجمع لهم ذلك بين سلامَةِ العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشَراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المَفاسِد ، وأجمعُ لهم عَلَى المراشد ! ! بل ليس ذلك بك ، ولكنَّه بهرَك ما سمعتَ ، وملأَ صدرَك الذى قرأت ، وأبعَلكَ وأبْطَرَك ، فلم تتّجه للحجّة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية[2] ، ولم تَعرِف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخَل ، ولم تعرِفِ المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغَ فى شفاء سَقَمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسان أحضَرُ لَذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَب ، ومِن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

---

(١) فى ل د : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .

(٢) فى ط : « وهى لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهى لا بادية » .

Marfat.com

ولو كنتَ فطِنت لعجْزك ، [و[1]] وصَلْتَ نقصَك بتمامِ غيرِك ، واستكفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحَبيسٌ على تقويم أشباهك ٧ كان ذلك أزينَ فى العاجِل ، وأحقَّ بالمثُوبة فى الآجل ، وكنتَ إنْ أخطأَتكَ الغنيمةُ لم تُخْطِك السلامة ، وقد سَلِم عليك المخالفُ بقدر ما ابتُلِى [به] منكَ الموافِق . وعلى أنَّه لم يُبتَل منك إلا بقدْرِ ما ألزمتَه من مُؤْنَةِ تثقيفك ، والتشاغُلِ بتقويمك . وهل كنتُ فى ذلك إلاّ كما قال العربىُّ :

« هَلْ يَضُرُّ السَّحابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلاّ كما قال الشاعر :

هل يَضُرُّ البحرَ أمسى زَاخِراً أنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحَجَرْ[2]

وهل حالُنا فى ذلك إلاّ كما قال الشاعر[3] :

ماضرَّ تغلِبَ وائلٍ أهجوْتَها أمْ بُلْتَ حيْثُ تناطح البَحْرَان

وكما قال حسَّانُ بنُ ثابت[4] :

ما أُبالِى أنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لحانى بظهْرِ غيْبٍ لئيمُ

وما أشكُّ أنَّكَ قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك . وه جَّهت حِلمَ عنك إلى الخوف منك . وقد قال زُفَرُ بنُ الحارث لبعض من لم يرَ حقَّ الصفح . فجعل العفْوَ سببا إلى سوء القول :

---

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٤٨ ، والعمدة ١ : ٢٥٠ ، وفيه ...

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨١٢ ، والبيان ٣ : ٢٤٨ ، والحيوان ٢ : ٤٠١ .

(٤) ديوانه ٣١٨ .

Marfat.com

فإنْ عدتَ وَاللهِ الذى فوقَ عَرْشِه مَنَحْتُكَ مسنون[1] الغِرَارَينِ أزْرَقا
فإنّ دواءَ الجهل أن تُضْرَبَ الطُّلَى وأنْ يُغْمس العِرِّيضُ حتى يغرّقا[2]

وقال الأوّل :

وضَغائنٍ دَاوَيتُها بضغائنٍ حتَّى شَفَيتُ وبالحقُودِ حُقُودا

وقال الآخر :

وما نَفَى عنك قوماً أنت خائفُهم كَمِثل وَقمك جُهَّالاً بجُهّالِ[3]
فاقْعَسْ إذَا حَدِبوا واحدَبْ إذا قَعسوا ووَازِنِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

فإنّا وإن لم يكن عندنا سِنَان زُفَرَ بنِ الحارث ، ولا معارضةُ هؤلاء الشرَّ بالشرّ ، والجهلَ بالجهل ، والحِقد بالحِقد ، فإن عندى ما قال المسعودىُّ[4] :

فمُسَّا تراب الأرضِ منه خُلقتُما وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تأنفا أن تَرْجِعا فتسلِّما فما كسيَ الأفواهَ شَرًّا من الكِبْرِ[5]

---

(١) فى ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لايوصف بالصقل ، وإنما يوصف باخدة . فالوجه (مسنون) كما فى ل وكما فى البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا

هكذا ورد البيت فى ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلى : الأعناق أو أصولها ، جمع طلية أو طلاة ، بضم الطاء فى كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت فى ط على هذه الصورة :

وما تبى عنك قوما أنت خائفهم كمثل زقمك جهالا بجهال

وصححناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى فى أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) فى الأمالى : « فما حشى الأقوام » وفى جمع الجواهر : « فما حشى الإنسان » . وفى ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما فى الخبر ٢٩٧ .

Marfat.com

فلو شئتُ أدْلَى[1] فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكُما ضَحِكْتُ له كيما يَلجَّ ويَسْتَشْرِى[2] ٨

وقال النَّمِر بن تَولَب :

جزَى اللهُ عنِّى جَمرَةَ ابنةَ نوفلٍ جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذِبِ[3]
بما خَبَّرَتْ عنِّى الوُشاةَ ليكذِبوا علىَّ وقد أوليتُها فى النوائِبِ

يقول : أخرجتْ خَبَرَها ، فخرج [إلى[4]] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْما ، وأصدقُ قِيلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ مَن تَرَكَ المعارَضَة فقد صفح ، كما أنَّه ليس من عارَضَ فقد انتصرَ . وقد قال الشاعر قولاً . إن فهمتَه فقد كفَيتَنا مَئُونَةَ المُعارَضَة . وكَفَيتَ نفسَك لزومَ العار . وهو قوله[5] :

إن كنتَ لا ترهَبُ ذمِّى لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِى عن المُذْنِبِ
فاخشَ سُكُوتِى إذ أنا منصت فيكَ لمسموعِ خَنَا القائلِ[6]
فالسامعُ الذمَّ شريكُ لهُ ومُطعِمُ الأكلةَ كالآكلِ

---

(١) فى ط : «أولى» . وصوابه فى ل ، ص ، ١٠ س والأغانى ، وبهامش ص ، ١٠ س ، ولو شئت انتابكما فتنى غير واحد .

(٢) فى ط «يلج» ، بالفاء ، وأثبت ماهو فى أمالى المرتضى ، ص ، ١٠ س ، ١٠ .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س ، ص ، ١٠ س ، نقل وأنقل بمعنى خان . وفى ط ، مغلا ، بالغين المعجمة ، وفى س : « خل ، بالخاء المعجمة والجيم ، أى مخدعة ، كما فى الأغانى ، ١٢ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ، والمعنى أنها أظهرت من حبها لهؤلاء الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابى فى الأغانى ١٢ : ١٠ ، بينما نسبه ابن دريد ٣٦٠ ، ٣ إلى عمارة بن عقيل ، والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزانة ، وجمع الجواهر ٣ ، وشرح بانت سعاد ٣ ، ٣ ، وفى ط ، ٢ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠

مقالةَ السُّوء إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إرَبَةٍ حرْبَ أخى التجرِبةِ العاقل
فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خَبَلٍ خابل
تُبْصرُ فى عاجلِ شَدَّاته عليك غِبَّ الضرَر الآجلِ

وقد يقال : إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعَفوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ تدريبْ

فإنْ كنَّا[1] أسأنا فى هذا التقريعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخُذ فينا بحُكم القرآنِ ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يَفزَع إلى مافى الفِطَن الصحيحة ، وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّردةُ ، والأمثالُ المضرُوبة ، والأشعار السائرة . أولَى بالإساءة وأحقُّ باللائمةِ ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النبىُّ عليه الصلاة والسلام : « لا تَجْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالك » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذى أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حُجَج العقول .

فأمَّا ما قالوا فى المثل المضروب [« رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانسَلَّتْ » . وأمّا] قولُ الشعراءِ . وذمُّ الخطباءِ لِمَنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره ، وما ضَرَبُوا فى ذلك من الأمثال . كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَه كذِى العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِعُ

---

(١) فى ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

Marfat.com

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرّ كَوَوُا السليمَ ليدفعَه عن السقيم ، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرتْ إبلُ أحدِهم فبَلَغَتِ الألف . فقَئُوا عَيْنَ الفحْل : فإنْ زادَت الإبلُ على الألْف فقئوا العينَ الأخرى . وذلك المفقَأُ والمعمَّى اللذان سمعتَ فى أشعارِهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى وبيتِ المُحْتَبِى والخافقاتِ (١)

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف (٢) والغارة ، فقال الأوّل :

فقأتُ لها عَيْنَ الفحِيل عِيافَةً وفيهنّ رَعْلاءُ المسامِع والحامى (٣)

---

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب . ويبعد من مثل الجاحظ أن يذكر فى الاستشهاد به فى هذا الموضع إذ لا علاقة له به . وإنما يشير الفرزدق بكلمة المفقئ إلى قصيدته التى يقول فيها مهاجيا جريرا :

ولست وإن فقأت عين [illegible]

وبكلمة المعنى إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما [illegible]

وبيت المحتبى إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة [illegible]

والخافقات يريد قوله :

وأين تقع المكرمات [illegible]

انظر ابن سلام : ٣٢٠ و [illegible]

وقد ورد البيت مصحفا [illegible]

(٢) السواف : [illegible]

(٣) العيافة فى البيت ٣ : [illegible]

Marfat.com

الرعلاء : التى تشقّ أذنها وتترك مدلّاة . لكرمها] .

وكانوا يقولون فى موضع الكَفَّارة والأُمْنِيَّة : كقول الرجل : إذا بلغَتْ إبلى كذا وكذا وكذلك غنَمى ، ذَبَحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر — والعتائر من الظباء — فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ ، استعملَ التأويلَ وقال : إنّما قلتُ إنّى أذبحُ كذا وكذا شاة . والظباء شاء . كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربانَ شاةً كلَّه ممَّا يَصِيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليشكُرىُّ :

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

بعد أن قال :

أمْ عَلَينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغْـ ـنَمَ غَازِيهُمُ ومِنَّا الجزاءُ

وكانوا إذا أوردُوا البقرَ فلم تشربْ ، إمَّا لكَدَر المـاء ، أو لقلَّةِ العطَش ، ضربوا الثورَ ليقتحِم الماء ، لأنَّ البقـرَ تَتْبَعه ، كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل ، وكما تتبع أتُنُ الوحشِ الحمار . فقال فى ذلك عَوْفُ بن الخرِع[1] :

تَمَنَّتْ طَيِّئٌ جَهْلاً وجُبْناً وقد خالَيتُهم فأَبَوْا خِلائى[2]

هَجَوْنى أنْ هَجَوْتُ جِبَال سَلمى كضَرْبِ الثَّورِ للبقرِ الظِّماء

وقال فى ذلك أَنَس بن مُدْرِك فى قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة :

إنّى وقَتْلى سُلَيْكًا ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافتِ البَقَرُ[3]

أنِفْتُ لِلمَرءِ إذْ زِلَّتْ حَلِيلَتُه وأن يُشَدَّ على وجعائها الثَّفَرُ[4]

---

(١) فى ط : عوض بن جلزع . وهو على الصواب كما أثبته ؛ فى ل : ...

(٢) خالَيتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن الشرب منه .

(٤) الوجيعة : الأكمة . والثفر بالمثلثة : نسير فى مؤخر السرج .

Marfat.com

وقال الهَيَّبان الفهمى[١] :

كما ضُرِبَ الْيَعْسُوب أَنْ عافَ بَاقِرٌ وما ذَنْبُهُ أَن عافَتِ المـاءَ بَاقِرُ

ولمّا كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعُه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمَّاه باسم أميرِ النحْلِ .

وكانوا يزعمون أنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الثِّيرانَ عن الماءِ حتى تُمْسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإنِّى وما كلَّفتُمونى — وربِّكم — لأعلَمُ مَنْ أمْسَى أعقَّ وأحوبا[٢]

لَكالثَّور والجنِّىُّ يَضرِبُ ظَهرَه وما ذنْبُه أن عافَتِ الماءَ مَشرَبا

وما ذنْبُه أَنْ عافَتِ المـاءَ باقِرٌ وما إن تَعافُ الماءَ إلاَّ ليُضْرَبا[٣]

كأنّه قال : إذا كان يُضْرَب أبداً لأنها عافت الماء . فكأنَّها إنما عافَتِ الماءَ ليُضْرَب .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلىّ فى ذلك :

لكالثَّور والجنىّ يَضْرِبُ وَجْهَه وما ذَنْبُه إن كانت لجَّ فى فعله

وقال نُهْشَلُ بنُ حَرِّىٍّ[٤] :

أتُتْرَكُ عارضٌ وبنو عَـ ـدِىّ وتغـ ـدو دارُهُ دارَ البَرَاءَهْ

كذأب الشَّوْرِ يُضْرَبُ باهْتِراءِ إذا ما عافَتِ البقرُ الحُمَاءَهْ[٥]

وكيف تكلّفُ الشعرَى سُهَيلا وتبعدُ عن مَنَازِلِهِ الثُّرَيَّا

---

(١) فى الأصل : هشام بن [illegible] الفهمى .

(٢) فى ط : [illegible]

(٣) فى ط : [illegible]

(٤) فى ط : [illegible]

(٥) فى ط : [illegible]

Marfat.com

وقال أبو نُوَيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بذَنْب العَطَرَّق (١) :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعلَمُ طاعَتى ونُصْحِى إذَنْ ما بِعتَنى بالمحلَّق (٢)

ولا ساقَ سَرّاق العِرَافة صالحٌ (٣) بَنِىَّ ولا كُلِّفْتُ ذَنْبَ العطرق (١)

وقال خِداش (٤) بن زُهير حين أُخِذ بِدماء بنى محارِب (٥) :

أُكلفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ولادارُهُمْ دارِى ولانصرُهُمْ نَصْرِى

أُكَلَّفُ قَتلَى العِيصِ عِيصِ شُواحِط وذلك أمرٌ لم تُثَفّ لَهُ قِدْرِى (٦)

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكت عِجْلٌ بنا ذنْبَ طيِّئٍ عَرَكْنا بتَيمِ اللاتِ ذنبَ بَنِى عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِىُّ أخا حنبض (٧) الضبابىّ فى منزله فَخصَاه فمات ، وأخَذَ حنبض بنى عَبْسٍ بجنايَة اليودىّ ، قال قيسُ بن زُهَيْر : أتأخذُنا بذنْبِ غيرِنا ، وتسألنا العَقلَ والقاتلُ يهودىٌّ من أهل تيماء ؟ فقال : والله أنْ لو قتلَتْه الريح ، لودَيْتُمُوه ! فقال قيس لبنى عَبْس : الموتُ فى بنى ذُبيانَ خَيْرٌ من الحَياةِ فى بَنى عامر ! ثم أنشأ يقول :

أكلَّفُ ذا الخُصْيَيْنِ إن كانَ ظَالماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطنا (٨)

---

(١) فى ط « العطرف » بالفاء ، وصوابه فى ل . س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إذن هاديتنى » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفى الخزانة : « والمحلق الضبىّ ولاه الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) فى ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س.

(٤) فى ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلى ، من أشراف بنى عامر

(٥) فى ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) فى ط : « عيص شواهد » وهو تحريف مافى ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك « لم يكلف له » وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س . وفى القدر : وضع هذا الأثافى . وانظر معجم البكرى ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنبض » . صوابه فى ل والميدانى ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

Marfat.com

خصاه امروٌ من آلِ تيماءَ طائر

ولا يَعْدمُ الإنسىُّ والجنُّ كائنا (١)

فَهَلاَّ بنى ذُبيانَ — أمُّكَ هَابِلٌ —

رَهَنْتَ بفَيفِ الرِّيحِ إن كُنْتَ رَاهِنا (٢)

إذا قلتُ قد أفلتُّ من شَرِّ حنبض

أتانى بأُخْرَى شرّه مُتَباطِنـــــا

فقد جَعَلَتْ أكبادُنا تجتويكُمُ

كما تجتَوِى سُوقُ العِضاهِ السكرازِنا (٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَلَ لُقمانُ بنُ عادٍ ابنتَه — وهى صُخْرٌ أختُ لقمانَ قتلَ حين قتلَها

أَلَسْتِ امرأة ! وذلك أنّه قد كان تزوج عِدَّةَ نساء . كلُّهنّ خيّرَه فى نفسهنّ .

فلمّا قَتَلَ أُخراهنّ ونزل من الجبل . كان أوّلَ من تلقّاه صخرٌ بنتُه . فوثبَ

عليها فقتلها وقال : وأنت أيضا امرأة ! وكان قد بقِىَ بأنّ أختَه كانت

مُحمِقة (٤) وكذلك كان زوجُها . فقالتْ لإحدى نسائه لتقتلنّ : هذه ليلةَ

طُهْرِى وهى ليلتُك . فادعينى أنامُ فى مضجعك . فإنّ لقمانَ رجلٌ مُنْحب .

---

(١) قال : من آل تيماء طائر ... ...

وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٨ ، والكامل ...

(٣) السكرزن : ... والسكر ...

(٤) المحمقة : التى أيضا ...

... على رجل أحمق .

Marfat.com

فعسَى أن يقَع علىَّ فأَنْجبَ . فوَقَعَ على أُختِه فَحَمَلَتْ بِلُقَيْم . فهو قولُ النَّمِرِ بن تَولَب (١) :

لُقيمُ بنُ لُقمانَ من أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَما
ليالِيَ حمّق فاستحصنَتْ عليه فغُرَّ بها مُظْلِما (٢)
فأحبَلَهَا رَجُلٌ مُحكِمٌ فجاءت به رجلاً مُحْكِماَ (٣)

فضربت العربُ فى ذلك المثلَ بقتل لقمانَ ابنتَه صُحرًا ، فقال خُفافُ ابن نَدْبة فى ذلك :

وعَيّاش يُدِبُّ لى المنايا وما أذنَبْتُ إلاَّ ذَنْبَ صُحْر (٤)

وقال فى ذلك ابن أُذَيْنَة (٥) :

١٢ أتجمَع تَهيَاماً بليلَى إذا نأَتْ وهِجْرانَها ظُلماً كما ظُلِمَتْ صُحْرُ

وقال الحارثُ بن عُبَاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّى لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ (٦)
لم أكنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ـهُ وإنِّى بحَرِّها اليومَ صالِى

وقال الشاعر . وأظنُّه ابنَ المقنَّع :

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا . وروى عنه حديثا . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .
(٢) فى ط « فعربه » . وغربها : خدع بها . ومظلما : فى الظلام .
(٣) المحكم : المنجب الذى يلد حكيما ، ويقابله المحمق : الذى يلد الحمق .
(٤) فى ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهد لى المنايا » وفى ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .
(٥) هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى. شاعر مقدم من أهل المدينة ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا. ولكن غلب عليه الشعر. وله ترجمة مستفيضة فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ — ١١١ .
(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أى بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجد .

Marfat.com

فلا تَلُمِ المرءَ فى شـــأنِهِ فربَّ مـــلومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُذْراً وأنتَ تَلُومُ وكم لائمٍ قد لَامَ وهْوَ مُليمِ [1]

(حديث ســـنمَّار)

وقال بعض العرب ، فى قتل بعضِ الملوكِ [2] لِسِنمَّار الرومى : فإنه لما علا الخَوَرْنَق ورأى بُنْياناً لم يرَ مثله . ورأى فى ذلك المستشرف . وخاف إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجل آخرَ من الملوك . رمَى به من فوق القصر . فقال فى ذلك الكلبى [3] فى شىء كان بينه وبين بعضِ الملوك :

جَزَانى جزاهُ اللهُ شرَّ جزائهِ جزاءَ سِنمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ

سِوَى رَصْفِهِ البنيانَ سَبعين حجَّةً يظلُّ عليه الدهرَ هو والمُكَلِّبِ

فلما رأى البنيانَ تمَّ سُمُوُّهُ

وآضَ كمثل المُقْعَدِ ذى ريح ناشب

وخلَّفَ سِنمَّاراً به كلَّ سحرةٍ وراءَ المَلِيِّ ذا ... وذا المُتَغَيِّبِ

---

(١) كذا . وبعضهم أن ... من الأبيات ...

قبل ... تعجل ...

(٢) قال ... بن عطية ... في ... الملك ...

هو ...

(٣) في ... عطية ... ١٠٥ ... أنه عبد العزيز بن ...

(٤) الخورنق : ... وفي ... الفقعسي ... بن ... ومعجم البلدان ...

(٥) في معجم البلدان ... الكلبي ...

(٦) في ل : ...

Marfat.com

فقال اقذِفوا بالعِلْجِ مِنْ رأسِ شاهقٍ فذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعظَمِ الخطْب

وجاء المسلمونَ ، يروى خَلَفٌ عن سَلَف ، وتابعٌ عن سابِق ، وآخَرُ عنْ أوّل ، أنَّهمْ لم يختلِفُوا فى عيبِ قول زِياد[1] : « لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، والسَّمِى بالسَّمِيِّ ، والجارَ بالجارِ » ، ولم يختلفُوا فى لَعْن شاعِرهم حيث يقول :

إذا أُخِذَ البَرِىءُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ ما يُحاذِرُه السَّقِيمُ

قال : وقِيل لِعَمْرو بن عُبَيد : إنّ فلاناً لما قدَّم رجلاً ليُضْرَبَ عُنُقه ، فقيل له : إنَّه مجنون ! فقال : لولا أنَّ المجنونَ يَلِدُ عاقلا لخلَّيت سبيلَه . قال : فقال عَمْرو : ماخَلَقَ اللهُ النَّارَ إلاّ بالحقّ !

ولمّا قالت التغلبيَّةُ للجَحَّاف ، فى وَقْعَة البِشْر[2] : فضَّ اللهُ فاكَ وأعماك ، وأطالَ سُهادَك ، وأقَلَّ رُقادَك ، فوَالله إنْ قَتَلْتَ إلاّ نساءً أعالِيهنَّ ثَدِىٌّ ، وأسافِلُهنَّ دُمًى ! ! فقال لِمَنْ حَولَه : لولا أن تَلِدَ هذِه مثلَها لَخلَّيتُ سَبيلَها ! فبلغ ذلك الحسنَ فقال : أمَّا الجَحَّاف فجَذْوةٌ من نارِ جهنَّم .

قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنَفِ بنِ قيس الكَمْأةَ بالسَّمْنِ ، فقال عند ذلك الأحنَف : « رُبَّ مَذْمُومٍ لاذَنْبَ لَه[3] » .

فبهذِه السيرةِ سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن[4] :

وإنّ امرأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمًا مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) هو ابن أبيه . والكلام فى خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) فى ط : « البسر » وهو تصحيف . والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر المعجم والمقتضى ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر فى البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

Marfat.com

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَرِ، وأربابِ النِّحَلِ، والعلماءِ وأهلِ البصر بمخارجِ المِلَل، وورثةِ الأنبياء، وأعوانِ الخلفاء، يكتُبُون كتبَ الظُّرَفاءِ والمُلَحَاء، وكُتب المُرَّاغِ والخَلَعاء، وكتبَ الملاهي والفُكَاهات، وكتبَ أصحابِ الخصومات. وكتبَ أصحابِ المِراءِ، وكتبَ أصحاب العصبيَّةِ وحَمِيَّةِ الجاهليّة ! ! ألأنَّهم لايحاسِبون أنفسهم. ولا يوازِنون بينَ ما عليهم ولهم. ولا يخافُون تصفُّحَ العلماءِ. ولا لأئمة الأرباءِ[1]. وشنف الأكْفاء. ومَشْنأة[2] الجلساء ! ؟

فهلاَّ أمسكتَ — يَرْحَمُكَ الله — عَنْ عَيْبها والطَّعْن عليها. وعن المَشُورَةِ والموعِظة. وعن تخويفِ مافي[3] سوء العاقبةِ. إلى أن تبلغ حدَّ العلماء. ومراتبَ الأكْفاء ؟ !

فأمّا كتابنا هذا. فسنذكرُ جُمْلَة المذاهب[4] فيه. وسنأتي بعد ذلك بما على التفسير. ولعلَّ رأيَك عند ذلك أنْ يتحوَّل. وقولك أن يتمثَّل. فتثْبت أو تكون قد نجوت من التوقُّف بنصيب. إن شاء الله.

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متّفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها فى جملةِ القول جمادٌ ونامٍ . وكان حقيقةُ القولِ فى الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نام . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامى اسماً ، لاتّبعنا أثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ جماد ، كدَلالةِ قولهم مَوَات . وقد يَفترِقان فى مواضِعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت[1] من العالَمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمر ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تجدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَماد ولا مَوات ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاءِ أنفُسِها لم تُسَمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبَّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخَّرة غير مسخَّرة[2] . ويجعلونها أحْيَا من الحيوان ؛ إذْ كان الحيوانُ إنَّمَا يَحْيا بإحيائِها لَه ، وربما تُعطيه وتُعيِره . وإنما هذا منهم رأى ، والأَمَمُ فى هذا كلِّه على خلافِهم . ونحنُ فى هذا الموضعِ إنَّما نعبِّر عن لُغَتنا ، وليس فى لُغتنا إلاّ ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربّما يَجعلونها مَوَاتاً إذا كانتْ لم

---

(١) فى ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

Marfat.com

تُنْبِتْ قديماً ، وهى مَوَات الأرض . وذلك كقولهم : مَنْ أحيَا أرضاً مواتاً فهى له .

وهم لايجعلون الماءَ والنارَ والهواءَ . جماداً ولا مَوَاتاً . ولا يسمُّونها حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النَّماء والخمسُ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة . التى هى الماءُ والأرضُ والهواءُ والنار ، والاسمانِ لايتعاوَرَانِ عندَهم إلاّ الأرض .

(تقسيم النامى)

ثمَّ النامِى على قسمين : حيوان ونبات . والحيوانُ على أربعة أقسام : شىءٌ يمشى . وشىء يطير . وشىء يسبَحُ . وشىءٌ يَنْسَاحُ[1] . إلاّ أنَّ كلَّ طائرٍ يمشى . وليس الذى يَمْشى ولا يَطِير يسمى طائرا . والنوعُ الذى يَمشى على أربعةِ أقسام : ناس . وبهائم . وسباع . وحشرات . على أنَّ الحشرات راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباعِ البهائمِ والسباع . إلاّ أنّنا فى هذا كلّه نتبع الأسماءَ القائمة[2] المعروفة . البائنات بأنفسها . المميزات عند سامعيها . مِنْ أهلِ هذه اللغةِ وأصحاب هذا اللسان . وإنما نفرد ما نفرد . ونَجْمَع ما جَمَعوا[3] .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ما أفرد ... ... »

Marfat.com

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبُعٍ وبَهيمة وهَمَج . والسباعُ من الطير على ضَربَيْن : فمنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحَ ، ومنها البغاث[1] وهو كلُّ ماعظمَ من الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَم والغِربان ، وما أشبهها مِنْ لئامِ السباع .

ثم الخَشاش ، وهو ما لطُف جِرمُه وصَغُر شخصه ، وكان عديمَ السلاح [ولا يكون[2]] كالزُّرَّقِ[3] واليُؤيُؤ[4] والبادنجار[5] .

فأما الهَمَج فليس من الطير ، ولكنَّه ممَّا يطير . والهمَجَ فيما يطيرُ ، كالحشراتِ فيما يمشى .

والخيّاتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أدخَلُ فى معنى السَّبُعيَّة مِنَ الأفاعى والثعابين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانتْ من ذوات لأنيابِ وأكَّالة اللُّحوم وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائم ، ولذلك تأكلُها الأوعَال[6] والخنازيرُ والقَنافِذُ والعِقبان[7] والشاهْمُرك[8] والسنانير ، وغير ذلك من البهائم والسباع . فمَنْ جَعَلَ الخيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك عندَ بعضِ القولِ والسببِ فقدْ أصابَ ، ومن جعلَ ذلك لها كالاسمِ الذى هو العلامةُ

---

(١) فى القاموس : البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغربان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا فى ط و س و ١٠ س . وفى ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) فى ط « الوعل » والتصحيح من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) فى ط « الغربان » .

(٨) الشاهمرك : الفرخ من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير . الدميرى .

Marfat.com

كالكَلْبِ والذئب والأسَد فقد أخطأ .

ومن سِباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سِلاحُه المخالبَ كالعُقابِ وما أشبهها . وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المناقيرَ كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغِرْبان . وإنَّما جعلْناها سباعاً لأنّها أكَّالةُ لحوم .

ومِنْ بهائم الطير ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها . ومنه ما يكونُ سلاحُه الأسنانَ كالبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها . ومنه ما يكون سلاحُه الصياصى كالدِّيَكَة . ومنه ما يكون سلاحه السَّلْح [1] كالحُبارى [2] والثعلب أيضا كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحمَ خالصاً . والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ خالصاً . وفى الفنِّ الذى يجمعها من الخلْقِ المركَّبِ والطبع المشتَرَك . كلامٌ سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشتَرَكعندهم كالعصفور ، فإنّه ليس بذى مخلَب معقّف ولا منْسَر [3] وهو يلقط الحبَّ . وهو مع هذا يصيد النَّمْل [4] إذا طار ، ويصيد الجراد . ويأكُلُ اللحم . ولا يَزْقُّ فِراخَه كما تَزِقُّ أخواتُه . بل يُلْقمها كما تُلْقمُ السباعُ من الطير فراخها . وأشباهُ العصافير من المشتَرَك كثير . وسنذكر ذلكَ فى موضِعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) السلح والسلاح كغراب : بيض .

(٢) فى ط « كالحبارى والصعو ... سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كمجلس ومقعد : ...

(٤) فى ط « النحل ... له الطير ان حين السحر ... إذا ...

Marfat.com

وليس كلُّ ما طار بجَناحينِ فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلاَنُ والجَحْلُ ، واليَعاسِيبُ والذّبابُ والزَّنابِيرُ والجَرادُ والنمْل والفَراشُ والبَعوضُ والأرضَة والنحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكرِ والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ أَطْيَر (١) ؛ والمثلُ المضروبُ به أشهر ؛ والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستْ من الطير . وجَعفر بن أبي طالب ذو جناحين يَطِير بهما في الجنَّة حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقَع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَناح . وليس بالريشِ والقَوادِمِ (٢) والأباهِرِ (٣) والخوافي (٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه يسْقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمْرَطَينِ ليس لهما رِيشٌ ولا زَغَبٌ ولا شَكِيرٌ ولا قَصَب (٥) وهما مشهورانِ بالحمل والولادة ، وبالرَّضاع ، وبظهور حَجْم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذاتُ ريشٍ ومِنقارٍ وبَيضٍ وجَناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه . ألا تَرَى أنّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ الماء ، وخِنزيرَ الماء ، وفيه الرَّقُّ (٦) والسُّلَحْفاة . وفيه الضِّفْدَع وفيه السرطان ، والبَيْنيبُ (٧) ،

---

(١) في ط : خير . والصواب من ق ، ل . وأطير : أشد طيرانا .

(٢) القوادم والقوادي : كجبرى — أربع أو عشر ريشات في مقدم الجنح . الواحدة قادمة.

(٣) الأباهر : جانب الأنف من الريش . جمعه أباهر .

(٤) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) الرق بكسر الراء وبالقاف : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح . والرق أيضا : الغطي من السلاحف . وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفا في جميع النسخ فهو في ط : البتيل . وفي ل : البنيل . وفي س « الثبتل » وكتب بالقاف في تعليق قال : « سمك مدور فيه سنك يجري معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المخطوطات ٢٥١ .

Marfat.com

والتِّمساح والدُّخس والدُّلْفين واللَّخْمُ والبنبك[1] ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوسَج والد اللَّخَم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةُ ذا يَعيش فى الماء ، ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، ويَبِيضُ فى الشطِّ ، ويَبيض بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْض وغِرْقِئٌ ، وهو مع ذلك ممّا يكون فى الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك فى لغة العرب من فصيح وأعجم . كذلك يقال فى الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَع صمتاً قطُّ ولا يجوز عليه خلافه ، والناطق لِمَا لَمْ يتكلَّمْ قطُّ . فيحملون ما يرغو . ويَثغو . ويَبقِ . ويَصْهِل ، ويَشْحَج . ويَخُور . ويَبْغِم . ويَعوِى . ويَنْبَح . ويَزْأَر . ويَفْغُو ، ويَهْدِر . ويَصْفِر . ويَصْوِى . ويُقَوْقِى . ويَنْعَبُ . ويَزُقّ . ويَنْزِبُ[2] . ويكِشُّ . ويَعِجُّ[3] . على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض ، ولذلك أشباهٌ . كالذكور والإناث إذا جمعت . وكالطير التى تعلّ فطيرة .

---

(١) فى الأصل : [illegible]
٢٢٥ فى [illegible]

(٢) فى [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وكالظُّعُن ؛ فإنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضُها إلى بعض ، أو أَخَذ بعضُها من بعض ، سُمِّيَتْ بأنَبه النوعَين ذِكْرًا ، وبأقواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهَمُ إرادتَه إلاّ ما كان من جنسه . ولعمرى إنا نفهم[1] عَن الفرَس والحمارِ والكلبِ والسِّنَّور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده[2] ، كما نفهم إرادةَ الصبىِّ فى مَهْده ونعلم[3] — وهو من جليل العلم — أنّ بكاءه يدلُّ على خلافِ ما يدُلُّ عليه ضَحِكُه . وحَمْحَمَةُ الفرَس عند رؤية المخلاة[4] ، على خلاف ما يدلُّ عليه حَمحمتُه عند رؤية الحِجْر ، ودُعاء الهِرَّةِ الهرَّ خلافُ دعائِها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح . وإنْ عبَّرَ عن نفسِه بالفارسيّة أو بالهنديّة أو بالروميّة . وليس العربىُّ أسوأ فهماً لِطَمْطَمَةِ الرومىِّ [من الروم] لبيانِ لسان العربىّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجَم . فهذا هو التأويل فى قولهم أعجم ؛ وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنَّما يَعْنُون أنَّه لا يتكلَّم بالعربيَّة ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كُثَيِّر :

فبُورِك ما أعطَى ابنُ لَيلَى بِذِيَّةٍ وصامتُ ما أعطَى ابنُ ليلى وناطقُه

---

(١) كذا عن الصواب فى ل . . وفى ط « إن التعميم » .

(٢) فى الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه . فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) فى ط : « وتفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) فى ط « الحسن » وليس بالوجه . والوجه ما فى ل . وورد فى ط زيادة « من » قبل « حمحمة » وهى بقيتها بنفس التركيب .

Marfat.com

ويقال « جاء بما صَأى [1] وصمت » . فالصامت مثل الذهب والفضّة ، وقوله صَأى [1] يعنى الحيوانَ كلَّه ، ومعناه نطق وسكَت . فالصامت فى كلِّ شىءٍ سِوَى الحيوان .

ووجدْنا كونَ العالَمِ بما فيه حكمةً . ووجدْنا الحِكمةَ على ضربَين : شىءٌ جُعِلَ حكمةً وهو لا يَعقِل الحكمةَ ولا عاقبةَ الحكمة . وشىءٌ جُعِل حكمةً وهو يَعْقِل الحكمة وعاقبةَ الحكمة . فاستوى بذلكَ الشىءُ العاقلُ وغيرُ العاقل ١٧ فى جهةِ ٱلدَّلالةِ على أنَّهُ حكمة ، واختلفا من جهةِ أنَّ أحدهما دَليلٌ لايَسْتَدِلّ . والآخر دليل يستدل . فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا . فشارك كل حيوانٍ سوى الإنسان جميعَ الجمادِ فى ٱلدَّلالة . وفى عدم الاستدلال [2] . واجْتَمَع للإنسان أنْ كان دليلاً مستَدِلاً .

ثُمَّ جُعِل للمستدِلّ سببٌ يدلُّ به على وجودِ استدلاله . ووجودِ ما نتج به الاستدلال . وسمّوا ذلك بيانا .

(وسائل البيان)

وجعل البيانُ على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد [3] ، وإشارة .

---

(١) فى ط صأى بالصاد المهملة وهو تصحيف

(٢) فى ط وفى عدم الاستدلال

بالصاد المهملة

(٣) لعله الخط من عقد

Marfat.com

وجُعِل بيانُ الدليل الذى لا يستدِلُّ تَمْكِينَهُ المستدِلَّ من نفسه ، واقتيادَه كلَّ من [1] فكَّر فيه إلى معرفةِ ما استُخْزِنَ من البرهان ، وَحُشِىَ [2] من الدَّلالة ، وأُودِع مِن عَجيب الحكمة . فالأجسامُ الخُرْسُ الصامتة ، ناطقةٌ مِن جهة الدَّلالة ، ومُعْرِبةٌ من جهة صحَّة الشهادة ، على أنَّ الذى فيها من التدبير والحِكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمَنْ استنطقه ، كما خبَّر الهُزَالُ وكُسُوف اللونِ ، عن سُوءِ الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَة ، عن حسن الحال . وقد قال الشاعر [وهو نصيب] :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أَنْتَ أَهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

وقال آخر :

مَتى تَكُ فى عدوٍّ أو صديقٍ تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقد قال العُكْلىُّ [3] فى صِدق شمِّ الذئب وفى شدّةِ حسِّه واسترواحه :

يَستخبِرُ الريحَ إذا لم يَسْمَعِ بمثل مقراعِ الصَّفا الموقَّعِ [4]

وقال عنترة ، وهو يصف نَعِيبَ غُراب :

خَرِقُ الجَناحِ كأنّ لَحْيَىْ رأسه جَلَمانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَعُ [5]

---

(١) فى ط « واقتياده فكل » وأصلحت العبارة من ل .

(٢) فى ط « وحتى » وهو تصحيف ظاهر توجيهه فى ل .

(٣) هو أبو الرديني العكلى ، كما فى البيان ١ : ٨٢ . وانظر اللسان (مخر) .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد .

(٥) فى ط « خرق » بالخاء وهو تصحيف ، صوابه فى ل وفى البيان . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٨٢ : « الخرق : الأسود ، شبه خبيه بالجلمين لأن الغراب يخبر بالغربة والفرقة ، ويقطع كما يقطع الجلمان » . وقد ذكر ابن رشيق هذا البيت فى العمدة ١ : ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم ، التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عنها .

Marfat.com

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه[١] : سَل الأَرْضَ ، فقلْ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؛ فإنْ لم تُجبكَ حِواراً ، أجابتْكَ اعتبارا .

فموضوعُ الجسم ونَصْبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة[٢] عليه . فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارَكَ فى البيان الإنسانَ الحىَّ الناطق . فمَنْ جَعَل أقسام البيانِ خمسة ، فقد ذهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ فى اللغة ؛ وشاهدٌ فى العقل . فهذا أحدُ قِسمَى الحكمة ؛ وأحَدُ مَعْنَيَىْ[٣] ما استخزنها[٤] ٩٨ اللهُ تعالى من الوديعة .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأُخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائر الحيوان . مِنْ ضُروب[٥] المعارف . وفَطَرها عليه من غريب[٦] الهداياتِ . وسخَّر جناجرَها لهُ من ضروبِ النَّغم الموزونة . والأصواتِ الملحَّنة . والمخارج الشجيَّة . والأغانى المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدَّلة . ومَوزونة موقعة . ثمَّ الذى سهَّل لها من الرفق العجيب فى الصنعة . مما ذكَاه لله تعالى لمناقيرها وأكُفِّها . وكيف فتحَ لها من باب المعرفة على قدْرِ ما هيَّأ لها من الآلة . وكيف أعطى كثيرا منها من الحسن لطريف . والصنعة البديعة . من غيرِ تأديب وتثقيف . ومن غير تقديم وتلقين . ومن غير تدريج وتمرين . فبلَغتْ بعفوها وتلقائها قدْرَ فوقها . من

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

والارتجال ؛ ومن الابتداءِ والاقتضاب ؛ ما لا يَقْدرُ عليه حُذّاقُ رجالِ الرأى ، وفلاسفةُ علماءِ البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ أكملُهُمْ خصالا وأَتمُّهُمْ خلالاً ، لا مِن جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من جِهة التعسُّف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأنِّى فيه ، والتأتِّى له ، والترتيبِ لمقدِّماته . وتمكين الأَسباب المُعِينةِ عليه . فصار جهد[1] الإنسان الثاقبِ الحسِّ ، الجامِعِ القُوى ، المتصرِّفِ فى الوجوه ، المقدَّم فى الأُمور ، يَعجِز عن عَفْوِ كثيرٍ منها ، وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجىء منها ، كما أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطِيَت السُّرْفَة ، وكما عُلِّم النحْل ، بل[2] وعُرِّفَ التُّنَوِّطُ مِن بديعِ المعرفة ، ومِن غَرِيبِ الصنعة ، فى غير ذلك مِن أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم[3] العجزَ فى أَنْفُسِهِمْ فى أكثر ذلك ، إلاّ بما قوى عليه الهَمَجُ والحْشَاشُ وصِغارُ الحشرات . ثم جعل الإنسان ذا العقلِ والتمكينِ[4] . والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجرِبَة ، وذا التأنِّى والمنافَسَة ، وصاحبَ الفهْمِ والمسابَقَة[5] . والمتبصِّرَ شأنَ العاقبة ، متى أحسَنَ شيئا كان كلُّ شىءٍ دونَه فى الغُمُوض عليه أَسهلَ ، وَجَعَل سائرَ الحيوانِ ، وإن كان يحسنُ أحدُها ما لايحسنُ أحذَقُ الناس متى أحسنَ شيئا عجيبا ، لم يمكِّنْهُ أن يُحسِن ما هو أقربُ منه فى الظنّ ، وأسهلُ منه فى الرأى ، بل لا يحسِنُ ما هو أقرب منه فى الحقيقة . فلا الإنسانُ جَعَل

---

(١) فى ط جملة ، وصوابه فى ل .

(٢) فى ط حرف ليس فى ل .

(٣) فى ط ، ل به حمده ، موضع يوجب لهم ، ومأثبته هو الوجه .

(٤) فى ط ، ل بعد الإنسان ذا الفهم والتمكين ، ووجهه ما قلنا لتتم المقارنة بقوله بعد :
وجعل سائر الحيوان . . . الخ .

(٥) فى ل بالنفس ، المسابقة ، وكتبت ، ، هو أشبه بالسكلام .

Marfat.com

نفسه كذلك ، ولا شيءٌ من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسَنَتْ هذه الأجناسُ
بلا تعلُّم ، ما يمتَنِع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ، إذْ كان ١٩
لا يطمع فيه ، ولا يحسُدُها ؛ إذ لا يؤمِّل اللَّحاقَ بها . ثمّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظِرين ، وتُجَاهَ أسماعِ المعتَبِرين ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتّعاظ والازدِجار . وعلى التعرُّفِ والتبَيُّنِ ،
وعلى التوقُّفِ والتذكُّر ، فجَعَلَها مذكِّرةً منبِّهة ، وجَعَلَ الفِطر تُنْشِئ(١)
الخواطرَ ، وتجُولُ بأهلها في المذاهب . ذَلِكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ . ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ
أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ .

(مزح الهزل بالجدّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٍ وتعريف وتفقُّه وتنبيه . وأنت قد عرفته قبل أن
تقف على حُدودِه ، وتتفكَّرَ في فصوله ، وتعتبِرَ[٢] بحُروفه وما دلَّت
بموارده ، وقد غلَطك فيه بعضُ ما رأيت ، في أثناء ما مزجتُه من مزح ، ما تعرف
معناه ، ومن بطالة ، ما تطَّلِعُ على غيرها ، وما تعلم ، ما خلطت ، ولا لأيّ
علّة تكلَّفت ، وأيّ شيء أُريغ به ، ولأيّ حدّ خصصتُ ذلك منه ، ولأيّ
رياضة تجشَّمتْ تلك البطالة ، وما تدري أنّ مزح جدّه ، كان
ليكون علّة للجدّ ، وأنّ البطالة وقار وزيادة ، إذ تكلفت
ولمّا قال الخليلُ بن أحمد : لا يصلح أحدٌ من هذا النحو ، ولا يفتح بابه ،

(١) هذا مأخوذ من ... ط ... سعيد ...
(٢) في الأصل ... ...

Marfat.com

حتَّى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يُتوصَّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يُحتاج إليه يُحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا ؛ لأنّه إن حَمَلْنَا جميعَ من يتكلَّف قراءةَ هذا الكتابِ على مُرِّ الحق ، وصُعوبة الجِدّ ، وثِقل المئونة ، وحِلية الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله إلاّ من تجرَّدَ للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزِّه ، ونال سروره على حسب ما يُورث الطولُ من الكَدّ ، والكثرةُ من السآمة . وما أكثر مَن يُقَاد إلى حظِّه بالسواجير [1] ، وبالسوق العنيف ، وبالإخافة الشديدة .

(نعت الكتاب)

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن على كلِّ كتاب لى بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى أنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ [2] بها الوجوه . وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ . ونعم الذخر والعقدة [3] هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخِيل ، ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِى ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدًّا :

---

(١) السواجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .
(٢) فى الأصل : « تصرف » .
(٣) العقدة ، بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

Marfat.com

إنْ شئتَ كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِهِ ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده ، وإن شئتَ ألهتْك طرائِفُه ، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ . وفى البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانئ[1] :

قُلْ لزُهيرٍ إذا انتحَى وشدا أَقْلِلْ أَوَ آكْثِر فَأَنْتَ مِهْذَارُ[2]

سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ ـتَّى صِرْتَ عِنْدِى كَأَنَّكَ النارُ[3]

لَايَعْجَبِ السامعُون مِنْ صِفَتِى كذلك الثلجُ باردٌ حارُ[4]

ومَنْ لَكَ بطبيب[5] أعرابىّ . وَمَنْ لَكَ بِرُومِىّ هِنْدِىّ . وبفارسى[6] يُونَانِىّ . وبقَدِيمٍ مولَّد . وبمَيِّتٍ مُمتِع[7] . وَمَنْ لَكَ بشىءٍ يَجْمَعُ لَكَ الأَوَّلَ والآخِرَ . والناقِصَ والوافِرَ . والخَفِىَّ والظاهِرَ . والشاهِدَ والغائبَ . والرفيعَ والوَضِيعَ . والغَثَّ والسمين . والشَّكْلَ وخِلافَه . والجِنْسَ وضِدَّه .

وبعد : فمتى رأيتَ بستانا يُحمل فى رُدْن[8] . وروضة تُقَلُّ[9]

---

(١) الأبيات فى الديوان ١٨١ ، ميمون بن هارون بن محمد ...

(٢) فى ط ... إذا انتحى للشدا ... مهذار ، بالذال .

(٣) فى أخبار أبى نواس لابن منقذ ١٤ : ... لحنه ، فإنهم يقولون : إن الحسن بن الهيثم ... بن السمسل يحمل ...

(٤) حفظه ... (ح) ...

(٥) فى ط ... بطب ...

(٦) فى ط ... بفارس ... والخليل ...

(٧) فى ط ... ممتع ... والخليل ...

(٨) الردن : أعلى ...

(٩) فى ط ... الخليل ...

Marfat.com

فى حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك بمؤنس لاينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَى ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ؛ ومن الأعْرَابِ المعرِبين[1] ؛ بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال . ومن العُميانِ قبلَ التمتُّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامَّةٌ لم تَنْقُص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة . فهى أقبلُ ما تكون للطبائعِ ، والقضيبُ رطبٌ . فهو أقربُ ما يكون من العُلوق ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلُق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا . ولم تتفرَّق قُواها . وكانت كما قال الشاعر[2] :

أتانِى هواها قبل أَنْ أَعرِفَ الهَوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

وقال عَبْدة بن الطَّبِيب[3] :

لاتأمَنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوةِ يُذْشَعُ[4]

ومن كلامهم : التعلُّمُ فى الصِّغَر كالنقشِ فى الحجر . وقد قال جِرَانُ العَودِ[5] :

[تُرِكْنَ برجلة الروحاء حتَّى تنكّرتِ الديارُ على البَصيرِ]

٢١ كُوَحْيِ فى الحِجارةِ أو وُشُومٍ بأَيْدِى الرُّومِ بَاقِيَةِ النُّئُور

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وإنّ مَن أدَّبتَه فى الصِّبَى كالعُود يُسْقَى الماءَ فى غَرْسِهِ

---

(١) فى ط « معربين » ولم يتعرب لأعاجم . وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) هو مجنون بنى عامر كما فى بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .

(٣) البيت ساقط من ل . . وفى ط « تميرة بن الطبيب » والتصحيح من س .

(٤) يشع الصبى وأشعه : أوجره . والتشوع : الوجور .

(٥) شاعر يُعرى عمر بن الحارث . لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :

خذا حذرا ياجرتى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلع

وله ديوان ضمن دار الكتب .

Marfat.com

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعدَ الذى قد كان فى يُبْسِهِ (١)

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيلِ الغُلامِ المؤدِّبُ ولايَنْفَعُ التأديبُ والرأسُ أشيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَناءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ (٢) لعيسى بن عمر (٣) : اكتبْ شِعرى . فالكتابُ أحبُّ إلىَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابىَّ ينسى الكلمةَ وقد سهر فى طلبها ليلته . فيضعُ فى موضعها كلمةً فى وزنها . ثم يُنشِدها الناسَ . والكتاب لايَنْسَى ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ . ولا أعلمُ جاراً أبرَّ . ولا خليطاً أنصف . ولا رفيقاً أطوعَ . ولا معلماً أخضعَ . ولا صاحباً أظهرَ كفاية . ولا أقلَّ جانبية . ولا أقلَّ إمْلالاً وإبراماً . ولا أحفظَ أخلاقاً . ولا أقلَّ [illegible] . ولا أقلَّ غيبة . ولا أبعدَ من [illegible] . ولا أكثرَ أعجوبة [illegible] . ولا

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

تصلُّفاً وتكلُّفاً، ولا أبعَدَ مِن مِراءٍ ، ولا أتْرَك لشَغَب، ولا أزهَدَ فى جدالٍ ، ولا أكفَّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ قريناً أحسنَ مُوَافاةً ، ولا أعجَل مكافأة ، ولا أحضَرَ مَعُونةً ، ولا أخفَّ مَئُونَة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيَبَ ثمرةً ، ولا أقرَبَ مُجتَنى ، ولا أسرَعَ إدراكاً ، ولا أوجَدَ فى كلِ إبَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ نِتاجاً فى حَدَاثةِ سنِّه وقُرْب ميلادِه ، ورُخْص ثمنه ، وإمكانِ وُجوده ، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة والعلومِ الغريبة ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة ، ومِنَ الحِكَم الرفيعة ، والمذاهب القويمة[1] ، والتجارِبِ الحكيمة ، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية ، والبلادِ المتنازِحة ، والأمثالِ السائرة ، والأمم البائدة ، مايجمَعُ لك الكتابُ . قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ ، تبارك وتعالى ، بأنْ علَّمَ بالقَلَم ، كما وصف نفسَه بالكرَم ، واعتدَّ بذلك فى نِعَمه العِظام ، وفى أياديه الجِسام . وقد قالوا : القَلَمُ أحدُ اللسانَين ، وقالوا : كلُّ مَنْ عَرَفَ النِّعمةَ فى بَيان اللسانِ ، كان بفضل النِّعمة فى بيانِ القلم أعرَفُ . ثمَّ جَعَلَ هـذا الأمرَ قرآناً ، ثمَّ جعلَه فى أوَّل التنزيل ومستفتَح الكتاب .

(كون الاجتماع ضروريا)

ثمَّ اعلمْ ، رحِمَك الله تعالى ، أنَّ حاجةَ بعض الناس إلى بعضٍ ، صفةٌ لازمةٌ فى طبائعِهم ، وخِلقةٌ قائمةٌ فى جواهِرِهم ، وثابتةٌ لاتزايلُهم ، ومُحيطةٌ بجماعَتِهم ، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم ، وحاجَتُهُمْ إلى ما غاب عنهم —

(١) فى الأصل « القديمة » بالدال .

Marfat.com

مما يُعيشُهم ويُحييهم ، ويُمسِك بأرْماقِهم ، ويُصلِحُ بالهم ، ويَجْمَع شملَهم ، وإلى التعاوُنِ فى دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه — كَحاجَتِهم إلى التعاون على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التى لم تَغِبْ عنهم ، فحاجَةُ الغائبِ مَوصُولةٌ بحاجةِ الشاهد ، لاحتياج الأدنَى إلى معرِفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفةِ الأدنى . معانٍ متضمّنةٌ ، وأسبابٌ متّصلة ، وحبالٌ منعقدة . وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلَنا ، كحاجةِ [من كان قبلنا إلى أخبار مَنْ كان قبلهم . وحاجةِ] من يَكُونُ بعدَنا إلى أخبارِنا . ولذلك تقدّمت فى كتب الله البِشارات بالرُّسل ، ولم يسخِّر لهم جميعَ خلْقه . إلاّ وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلْقه . وجعلَ الحاجَةَ حاجَتَين : إحداهما قِوامٌ وقوت . والأخرى لذّةٌ وإمْتاعٌ وازديادٌ فى الآلَة . وفى كلّ ما أجذلَ النفوس . وجمع لهم العتاد[1] . وذلكَ المقدارُ مِنْ جميع الصِّنْفَين وفقٌ لكثرةِ حاجاتهم وشَهَواتهم . وعلى قدْر اتّساعِ معرفتهم وبُعْدِ غوْرهم . وعلى قدْرِ احتمال[2] طبع البشريَّة وفِطرةِ الإنسانيَّة . ثم لم يقطع الزيادة إلا لعجْز خلقتهم عن احتمالها . ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجْز . إلاّ بعلة الأحيان . إذ كان[3] العجزُ صفة من سمات الخلق . ونعتا من نعوت البشر . .

لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيعُ بلوغ حاجته بنفسه ، دون [4] . .

---

(١) فى ط : المعتد ... فى ...

(٢) فى ط : المثل ... فصحح ...

(٣) فى ط : إذا ... فى ...

(٤) فى ط : بنفسه ... فى ...

Marfat.com

ببعضٍ من سخَّرَ له ؛ فأدناهم مسخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهم ميسَّر لأدقِّهم .
وعلى ذلك أحوَجَ الملوكَ إلى السُّوقة فى بابٍ ؛ وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملوك
فى باب . وكذلك الغنىُّ والفقير ، والعبدُ وسيِّدُه . ثُمَّ جَعلَ الله تعالى كلَّ
شىءٍ للإنسان خَوَلاً ، وفى يَدِه مُذَلَّلاً مُيَسَّرًا[1] إمّا بالاحتِيالِ له والتلطُّفِ
فى إراغَتِه واستِمالتِه . وإمّا بالصَّوْلةِ عليه ، والفتكِ به . وإمّا أَنْ يَأْتِيَهُ
سهواً ورهواً . على أَنّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صَالَ
٢٣ عليها . إلاّ أَنّ الحاجةَ تفتَرِق فى الجنس والجهةِ والجِبِلَّة ، وفى الحظِّ والتقدير .

ثمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ فى أُمورِها ، والاعتبارِ بما يَرَى . ووَصَلَ بينَ عُقولهم وبَيْنَ معرفةِ تلك الحِكَم الشريفة ، وتلك الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكير ، وبالتنقيب[2] والتنْقير ، والتثبت[3] والتوقُّف ، ووَصَلَ معارفَهم بمَواقعِ حاجاتِهم إليها ، وتشاعُرِهم بمواضع الحكمِ فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضرورى للاجتماع)

وهو البيانُ الذى جعلَه اللهُ تعالى سبباً فيما بينَهم ، ومعبِّراً عن حقائق حاجاتِهم ، ومعرِّفاً لمواضع سدِّ الخَلَّة ورفْعِ الشَّبَة ، ومداواةِ الحَيرة ، ولأنّ أكثرَ المعانى عن الناس أفهمُ منهم عن الأشباحِ المماثلة ، والأجسامِ الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التى لا يُتعَرَّفُ ما فيها من دقائق الحكمةِ

---

(١) فى ط : مذللا ميسرا ، وفى ب ، ف ، ل ، م ، ن ، ه : مذللا ميسرا .
(٢) كذا فى ل : وهو تصويب . وفى ط : والتنقيب ، .
(٣) كذا فى ل وهو الوجه . والذى فى ط : والتثبيت ، .

Marfat.com

وكُنوزِ الآداب ، وينابيعِ العلم ، إلاّ بالعقلِ الثاقب اللطيف ، وبالنظرِ التامِّ النافذ ، وبالأداةِ الكاملة ، وبالأسبابِ الوافرة . والصبرِ على مكروه الفكر ، والاحتراسِ من وُجوه الخُدَع . والتحفُّظِ من دواعي الهوى ، ولأنَّ الشِّكْلَ أفهَمُ عن شِكله ، وأسكَنُ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ في أجناسِ البهائم ، وضُروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ له ، وله آنسُ وإليه أنزَع ، وكذلك العالِمُ والعالم . والجاهل والجاهل ، وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ لأنَّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعَه بطِباعه آنس ، وعلى قدْر ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصِنفٍ واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرِّق ، وكثَّر ولم يقلِّل ، وأظهَرَ ولم يُخْفِ ، وجعَل آلةَ البيان التي بها يتعارَفون معانِيَهم ، والتَّرْجمانَ الذي إليه يرجعون عند اختلافِهم ، في أربعةِ أشياء ، وفي خَصْلةٍ خامسة ، وإن انفصلت عن بعض هذه لم تبعُد في جوهرِها ، فقد تبدُّل بجنسِها الذي وُضِعت له وصُرِفت إليه ، وهذه الخصال هي اللفظ ، والخطّ ، والإشارة ، والعَقْد ، وخاصّة الخمسة أو جميع الحالات الدالّة ، وصدقِ الشهادة ، وإيضاحِ البرهان ، في لا حاجة بالمعنى الذي هو كذا ، والساكنة التي لا تتبيَّن (١) ، ولا تحسُن ، ولا تجيء ، ولا يدخل عليها ، أو عند كذا ، ثم قسّم الأقسام التي ذكر خمسة ، ... اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة ... ذلك ليس ...

(١) ...

Marfat.com

٢٤ العَقْد ، إلّا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ فى ذلك على قدْرِ نصيبِ الملامس . وجَعَلَ الخطّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه ، وسبباً موصُولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه ، ممّا قد أحصاه وحفِظه ، وأتقنه وجَمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائِق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهِندِ لضاع من الحساب الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت[1] مَعرِفةُ التضاعيف ، ولعَدِموا الإحاطةَ بالباورات وباورات الباورات[2] ، ولو أدرَكوا ذلك لمَا أدْرَكُوه[3] إلّا بعد [أَنْ] تغلُظَ المَئُونة ، وتنتَقِضَ المُنّةُ ، ولصارُوا فى حالِ مَعْجَزَةٍ وحسور ، وإلى حالِ مَضيعَةٍ وكَلالِ حدّ ، مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدَّلالةِ لكان أربحَ لهم ، وأرَدَّ عليهم ، أن يُصرَف ذلك الشغلُ فى أبوابِ منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلومٌ . والخلّةُ فى موضعِ فقدِه معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبَيَانِ عرَفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تبارَكَ وتعالى

---

(١) فى ط : ، ولبطلت .

(٢) رسمت هذه الكلمات بالتاء المفتوحة بعد الواو فى ط : ورسمت فى ل بحذفها .

(٣) فى ط : ولو أدركوه ذلك ما أدركوه ، وهو تحريف أصلحته من ل .

Marfat.com

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجْرَى الحسابَ مُجرَى البيان بالقرآن . وبحُسْبان منازلِ القمر ، عرَفنا حالاتِ المدِّ والجزْر ، وكيف تكونُ الزيادةُ فى الأهِلَّة وأنصافِ الشهور[1] ، وكيف يكونُ النقصانُ فى خلال ذلك . وكيف تلك المراتبُ وتلك الأقدار .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوَّنَة والأخبار المخلَّدة . والحِكَم المخطوطة التى تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب . لبَطَل أكثر العلم . ولغلَب سُلطانُ النِّسيان سلطانَ الذكْر . ولَمَا كان للناس مفزعٌ إلى موضع مستذكار . ولو تم ذلك لحرِمْنا أكثرَ النفع . إذ كنَّا قد علمْنا أنَّ مقدار حفْظ الناس لعهودِ حاجاتهم وأوائلها . لايبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ولا يُغْنى فيه غناء[2] محمودا . ولو كُلِّفَ عامَّةُ من يطلب العلم ويصطنع الكتب . ألا يكون حافظا لفهرست كتبه لأعجزه ذلك . ولتكلَّف شططا . ولشغله ذلك عن كثير ممَّا هو أولى به . وفيهمْ لمعانى كلام الناس . تقصُر عنه قوى قدْر فهْم عين النصوت مجرَّدا . وبعدُ فهمك لنصوت صاحبك وعادته والمعاون لذلك . ما كان صحيحا فيه قل . وعصمت وعصمت

يكون ذلك إلا وهو بعيدٌ من [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

لأقرَب الحاجاتِ . والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلا ، والكتابُ للنازح من الحاجاتِ . فأمّا الإشارة فأقربُ المفهومِ منها : رَفْعُ الحواجبِ ، وكسرُ الأجفان . ولىٌّ الشِّفاهِ وتحريك الأعناق ، وقبْض جلدةِ الوجه . وأبعدُها أن تلوِى بثوبٍ على مقطع جبل . تُجاهَ عينِ الناظر . ثمَّ ينقطع عملُها ويدرُس أثرها . ويموت ذكرها . ويصير بعدُ كلُّ شىءٍ فضَل عن انتهاء مدَى الصوت ومنتهى الطرف . إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فأىُّ نفعٍ أعظمُ ، وأىُّ مِرْفَقٍ أعوَنُ من الخطِّ . والحالُ فيه كما ذكرنا ! ! وليس للعَقْد حظٌّ الإشارةِ فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزّ وجلّ القلم فى المكان الرفيع . ونوَّه بذِكره فى المنْصِب الشريف حين قال ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسَمَ بالقَلَم كما أقسمَ بما يُخَطُّ بالقلم . إذ كان اللسانُ لا يتعاطى شأوَه ، ولا يشُقُّ غبارَه ولا يجرى فى حلبته . ولا يتكلف [بُعْدَ] غايتِه . لكنْ لما أنْ كانت حاجات الناسِ بالحَضْرة[1] أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمة واكدة . وراهِنةً ثابتة ، وكانت الحاجةُ إلى بَيانِ القلم أمراً يكونُ فى الغَيبة وعند النائبة ، إلاَّ ما خصَّت به الدواوين . فإنّ لسانَ القلم هناك أبسَطُ . وأثرَهُ أعمُّ ، فلذلك

(١) حضر بالتحريك والحضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

Marfat.com

قدَّموا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إنَّما هو فى منافع اليدِ[1] والمرافق التى فيها ، والحاجاتِ التى تبلَغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة . ثم نَصِيبُها فى تقويم القلم . ثم حَظُّها[2] فى التصوير . ثم حظُّها فى الصناعات . ثم حَظُّها فى العَقْد . ثم حَظُّها فى الدَّفْع عن النفس . ثمَّ حَظُّها فى إيصال الطعام والشراب إلى الفم . ثم التوضُّؤ والامتساح[3] . ثم انتقادِ الدنانير والدراهم ولبس الثياب . وفى الدفع عن النفس . وأصنافِ الرَّمْى . وأصنافِ الضرْب . وأصناف الطعْن . ثم التقْر بالعود وتحريكِ الوتر . ولولا ذلك لبَطَل الضرْبُ كلُّه عامَّته . وكيف لا يكون ذلك كذلك وهذا ضرْبُ العقيل والدَّنَ . وتحريك الصفاقتين[4] . وتحريك مفارق خروق المزمار . وهو فى ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكنْ فى اليد إلا إمساك العنان والزمام وتحضيد البكار من أعظم الخطوب .

وقد اضطربوا فى الحكم بين العقد والإطلاق . ولولا أن هذا فى هذا الكتاب سوى هذا الباب . لقلت جهد ما فى الحث أن يعد ما هو

---

(١) فى [illegible]

(٢) هذه [illegible]

(٣) فى [illegible]

(٤) الصفاقة [illegible]

Marfat.com

وخطاؤنا . فلا ينبغى لنا أيضاً أن نأخذ فى هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعدَ
٢٦ الفَراغ مِمَّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازِعْنى ، ولم تَعِبْ كتبى ، من طريقِ
فضل [1] ما بين العَقْد والإشارة ، ولا فى تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنَّما
قَصَدْنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هوالذى يؤدِّى إلى الناس كتبَ الدين [2] ، وحسابَ الدواوين
مع خفَّة نقلِه ، وصِغَر حجمه : صامتٌ ما أسكتَّه ، وبليغ ما استنطقته . ومَن
لك بمسامر لا يبتديك فى حالِ شُغْلك ، ويدعُوك فى أوقاتِ نشاطِك ،
ولا يُخوِجلك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه . ومَن لكَ بزائرٍ إن شئتَ جعل
زيارتَه غِبًّا ، ووِرُوده خِمْسا . وإن شئت لَزِمَك لزومَ ظلِّك ، وكان منك
مكانَ بعضِك .

والقلمُ مكتفٍ بنفْسه ، لا يحتاج إلى ما عندَ غيرِه ؛ ولا بدَّ لبيان اللسانِ
من أمور : منها إشارة اليد . ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك [3] خاصَّ الخاصِّ
إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل فى باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته . وليس
يكتفى خاصُّ [الخاصّ] باللفظ عمَّا أدّاه ، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ
التى بينه وبين أخصِّ الخاصّ .

والكتابُ هو الجليس الذى لا يُضْريك ، والصديق الذى لا يغْريك ،

---

(١) ه ك : وبينه وبين فصل .
(٢) فى ل : كتب علم الدين .
(٣) فى ط : عن ، وتصحيحه من ل .

Marfat.com

والرفيقَ الذى لا يَمَلُّكَ ، والمستَمِيح الذى لا يستَرِيثُك[1] ، والجارُ الذى لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحبُ الذى لا يريد استخراجَ ما عندَك بالمَلَق ، ولا يعامِلُك بالمَكر ، ولا يخدَعك بالنِّفاق ، ولا يحتالُ لك بالكَذِب . والكتابُ هو الذى إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك ، وشحَذَ طباعَك ، وبسَط لسانَك ، وجوَّدَ بَنانك ، وفخَّم ألفاظَك ، وبجَّح[2] نفسَك ، وعَمَّر صدرك . ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصَداقةَ الملوك ، وعَرفتَ به فى شهر . ما لا تعرفُه من أفواهِ الرجال فى دهْر ، مع السلامةِ من الغُرم ، ومن كدِّ الطلب . ومن الوقوفِ ببابِ المكتسِب بالتعليم ، ومِن الجُلوس بين يدَىْ مَن أنت أفضلُ منه خَلْقاً . وأكرمُ منه عِرْقا ، ومع السلامةِ من مجالَسَة البُغَضاء ومقارنةِ الأغبياء . والكتابُ هو الذى يُطِيعُك بالليل كطاعتِه بالنهار . ويطيعُك فى السفر كطاعته فى الحضر . ولا يعتلُّ بنوم . ولا يعتَريه كَلالُ السهر . وهو المعلِّمُ الذى إن افتقرت إليه لم يُخْفِرْك . وإن قطعت عنه المادّة لم يقطعْ عنك الفائدة . وإن عُزِلتَ لم يدَعْ طاعتَك . وإن هبَبْتَ ريحُ أعاديك لم ينقلبْ عليك . ومِن كنت منه متعلّقا بسبب أو معتصما بأدْنى حبْل . كان لك فيه عِزّ من غير ذُلّ . ولم تضْطرّك إلى معاناة وحشةِ الوحدة إلى حابس السوء . ومنعَك من فضله عليك . وإحسانه إليك . إلاّ منعه لك من الجلوس على بابك . والتعظيم المـازّة بك . مع ما فى ذلك من التعرُّض للحقوق التى تلزمه .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

النظر ، ومن عادةِ الخوض فيما لا يعنيك[1] ، ومِن ملابسةِ صغارِ الناس ، وحضورِ ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسِـدة ، وأخلاقهم الرديَّة ، وجَهالاتهم المذمومة ، فكان فى ذلك السلامة ، ثم الغنيمةُ ، وإحرازُ الأصل ، مع استفادةِ الفرغ . ولو لم يكن فى ذلك إلاّ أنّه يشغَلُك عن سُخْف المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكلِّ ما أشبهَ اللعب ، لقد كان على صاحبه أسبَغَ النعمةَ وأعظَمَ المِنَّة .

وقد علمنا أنَّ أفضلَ ما يقطع به الفُرَّاغ نهارَهم ، وأصحابُ الفُكاهات ساعاتِ ليلِهم ، الكتاب . وهو الشىء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ فى ازدِياد تجربةٍ ولا عقلٍ ولا مروءة ، ولا فى صونِ عرض ، ولا فى إصلاح دين ، ولا فى تثمير مال . ولا فى رَبِّ صنيعة[2] ولا فى ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء فى فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة . قال المهلَّب لبنِيه فى وصيَّتِه : يا بَنِيَّ لا تقعدوا فى الأسواقِ إلاّ على زَرَّادٍ أو وَرَّاق[3] .

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : قرأتُ على شيخٍ شاميٍّ كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلاّ من الكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى[4] يقول : غبَرت أربعين عاما ما قلتُ

---

(١) بدل هذه الجملة فى ط ومن عدة خرص .

(٢) رب الصنيعة : تعهدها .

(٣) الزرد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) فى ب ، د أبو الحسن اللؤلؤى » والصواب ماأثبته . والحسن هذا هو ابن =

Marfat.com

ولا بِتُّ] ولا اتكأت] إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدرى [١] .

وقال ابن الجهْم : إذا غشِيَنى النعاس فى غير وقتِ نوم — وبئس الشىءُ النومُ الفاضِلُ [٢] عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحِكَم ، فأجدُ اهتزازى للفوائِد ، والأريحيَّة [٣] التى تعترينى عند الظفر ببعض الحاجة ، والذى يغشَى قلْبى من سرور الاستبانة وعزِّ التبيين [٤] أشدَّ إيقاظاً مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهدْم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه — فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُ كم بقى من ورقِهِ مخافةَ استنفاده . وانقطاعِ المادَّة من قلْبِه . وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق . كثير العدد — فقد تمَّ عيشى وكمُلَ سرورى .

وذكر العتبى [٥] كتابا لبعض القدماء فقال : [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

لنسختُه . فقال ابن الجهم : لكنِّى ما رغّبنى فيه إلاّ الذى زهّدك فيه ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخْلانى من فائدة ، وما أُحصِى كم قرأتُ من صغارِ الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبى ذاتَ يومٍ لابن الجهم : ألا تتعجَّبُ من فلانٍ ! نَظَر فى كتابِ الإقليدس مع جارية سَلْمَويه[1] فى يومٍ واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغتِ الجاريةُ من الكتابِ وهو بعدُ لم يُحكِم مقالةً واحدة ، على أنّه حُرٌّ مخيَّر ، وتلك أمَةٌ مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءةِ الكتاب مِن سَلْمَوَيهِ على تعليمِ جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنّه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأُرَاك تزعم أنّه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبى : وكيف ظننتَ به هذا الظنَّ ، وهو رجلٌ ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأنّى سمعتُه يقول لابنِه : كم أنفقتَ على كتابِ كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال[2]] : إنّما رَغّبَنى[3] فى العلم أنّى ظننتُ أنّى أنفق عليه قليلاً وأكتسِبُ كثيراً ، فأمّا إذ صرتُ أنفِق الكثيرَ ، وليس فى يدى إلاّ المراعيدُ ، فإنّى لا أريد العلمَ بشىء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبى سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتى أحبين ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتبى وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشى البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لمّا مات سلمويه قال « سألحق به . لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله . فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه . وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتنى »

Marfat.com

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثرَ سماعُه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَماعِه ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُختَلَف [إليه][1] ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألذَّ عندَه من الإنفاق من مال عدوّه . ومَن لم تكن نفقتُه التي تخرج في الكتب ، ألذَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهترين بالبنيان[2] ، ثم يبلغ في العلم مبلغاً رضيّاً . وليس يَنتفِع بإنفاقه ، حتى يؤثِر اتّخاذَ الكتب إيثارَ الأعرابي فرسَه باللبن على عياله ، وحتى يأمَل في العلم ما يؤمّل الأعرابي في فرسه .

(حرص الجاحظ على تحسين كتبه)

وقال إبراهيم السندي مرة : وجدتُ أن الجاحظ يكتب بخط رديء المغالاة[3] بالورق النقيّ الأبيض ، وعلى تخيُّر[4] الحبر الأسود الذي ليس بالشاهي ، وعلى استجادة الخطّ والإرغاب لمن يخطّ . فإني لم أر كتبه تسوء خطوطها ولا كالخطوط التي فيها خطّاً . وإذا غرمتْ مالاً عظيماً مع حبها لمالها وشُغفِها بالغُرْم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم .

---

(١) ليست في ...

(٢) المستهترين : المولعين ...

المستهترين بالبنيان ...

(٣) في ط ... المغالاة ...

... يخطه ...

(٤) في ... تخير ...

Marfat.com

وتعظيمُ العلم دليل على شرف النفس ، وعلى السلامَة من سُكْر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البِيَع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ وسُنَنٍ [و]تبيُّنٍ وتبيين [1] ، أولو كانت كتبُهم كتباً تُعرِّف الناسَ أبوابَ الصِّناعات ، أو سُبُلَ التكسُّب والتجارات . أو كتبَ ارتفاقاتٍ ورياضاتٍ . أو بعض ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنْ كان ذلك لا يقرِّب من غِنًى ولا يُبْعِد من مأثَم — لكانوا ممَّن قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان . والرغبةُ
٢٩ في التبيُّن [2] ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانة . [و] على طريقِ تعظيم الملّة . فإنّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ النصارَى على صُلْبان الذهب . أو كإنفاق الهند على سَدَنةِ البِدَدَة . ولو كانوا أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً . وكتبُ الحكمة لهم مبذولةً . والطرقُ إليها سهْلةً معروفة . فما بالُهم لا يصنعون ذلك إلاّ بكتُب دُياناتهم . كما يزخرفُ النصارى بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسَناً عند المسلمين . أو كانوا يرون أنّ ذلك داعيةً إلى العبادة . وباعثةً على الخشوع . لبلَغُوا في ذلك بعَفْوهم ، ما لا تبلغه النصارى بغاية الجَهْد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْق . حين استجاز هذا السبيل ملِكٌ من ملوكها . ومَنْ رآه فقد علم أنّ أحداً لا يرومه . وأنّ الرومَ لا تسخوا أنفُسهم

(١) في الأصل : « تبيين وتبيين » وصححته بما ترى .
(٢) في ط : « التبيين »

Marfat.com

به ، فلمَّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّله بالجلال ، وغَطَّاه بالسكرابيس [1] ؛ وطبَخَ سلاسلَ القناديلِ حتَّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريق ؛ وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانِبٌ لسنَّة الإسلام ، وأنَّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدِّقاق ، مَذهَلةٌ للقلوب ، ومَشغَلةٌ دونَ الخشوع . وأنّ البالَ لايكون مجتمِعاً وهناك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا . أنّه ليس فى كتبهم مثلُ سائر . ولا خبرٌ طَريف . ولا صنعةُ أدبٍ . ولا حكمةٌ غريبة . ولا فلسفةٌ . ولا مسألةٌ كلاميَّة . ولا تعريفُ صِناعة . ولا استخراجُ آلة . ولا تعليمُ فِلاحة . ولا تدبيرُ [2] حرب . ولا مقارَعة [3] عن دِين . ولا مناضَلة عن نِحلة . وجُلُّ ما فيها ذِكر النور والظلمة . وتناكُر الشياطين . وتساقُط الملائكة . وذكر الصنديد . والتهويل بحمود السمنخ [4] . والإخبار عن ثقل . وعن [illegible] والخامة ! . وما كان [illegible] وعِيٌّ وخُرافة . وسخريةٌ وتهافُت . لا ترى فيه موعظةً حسنة . ولا حديثاً مُونِقاً . ولا تدبيرَ معاش . ولا سياسةً عادلة . ولا ترتيبَ خاصَّة [5] . فأىُّ كتاب أجهلُ . وأىُّ تدبيرٍ أسخفُ من سبب

(١) السكرابيس [illegible]

(٢) فى ط : [illegible]

(٣) مقارعة [illegible]

(٤) فى ط « الصنوبر »

(٥) فى ط [illegible]

Marfat.com

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع[1] بالديانة ، [لا[2]] على جهة الاستبصار والمحبَّة ؛ وليس فيه صلاحُ مَعاشٍ ولا تصحيحُ دين ! ؟ والناسُ لايحبُّون إلا ديناً أو دنيا : فأمَّا الدنيا فإقامةُ سوقها [وإحضار نفعها . وأما الدِّين فأقلُّ مايُطمع فى استجابة العامة] ، واستمالة الخاصَّة ؛ أنْ يصوَّر فى صورةٍ مغلَّطة ، ويموَّهَ تمويهَ الدِّينارِ الْبَهْرَج ، والدرهمِ [الزائف] الذى لايغلط فيه الكثير ، ويعرفُ حقيقته القليل[3] . فليس إنفاقُهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [اختلاطاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه[4] . ومن الاحتشاد له والتغليظ[5] فيه إلى أكثر . وقد علمْنا أنَّ النصرانيَّةَ أشدُّ انتشاراً من اليهوديَّة تعباً . فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدُهم فى تركيبه ، واحتفالُهم فى إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لى : اكتب كلَّ ماتسمعُ . فإن أخسَّ ماتسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض[6] .

---

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذى (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ما عدا ل « والتغليط » بالطاء المهملة .

(٦) هذا مافى ل . وبمقابلته مافى المحاسن والمساوئ ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى سائر النسخ « فإن مكان ماتسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن فى ط : « من مكان » .

Marfat.com

وقال الخليل بن أحمد : تكثَّرْ من العلم لتعرِف ، وتقلَّلْ منه لتحفَظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليلُ وحدَه للصدر .

وأنشَدَ قول ابن يَسير [1] :

أما لو أعِي كلَّ ما أسمَعُ ... وأحفَظُ من ذلك ما أجمعُ

ولم أستفِدْ غيرَ ما قد جمعـــتُ لقيلَ هو العالِمُ المصقع [2]

ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نو ... عٍ من العلم تسمعُه تنزعُ

فلا أنا أحفظُ ما قد جمعـــتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ

وأحصَرُ بالعِيِّ في مجلسي ... وعِلمي في الكُتْبِ مستودَعُ

فمن يكُ في علمه هكذا ... يكنْ دهرَهُ القهقرَى يرجعُ

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فجمعُك للكتب لا ينفعُ

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّف ابن يسير الكتب ما ... الكتبَ لا تحيي الموتى . ولا تحوِّل الأحمق ... ولكنَّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول . ... وترهِف وتشفي . ومن أراد أن يعلم كلَّ شيء . ...

---

(١) هو ... الأخبار من الكتب ... ولا ... من العلم ... ولا ... ولا ... ولا

فإنّ ذلك إنما تصوَّرَ له بشيءٍ اعتراه ! ! فَمَنْ كان ذكيًّا حافظاً فليقصِد إلى شيئين : وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزِع عن الدرس والمطارَحَة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرِ ما يجرى فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لايحفظ شيئاً ، إلّا نسيَ ما هو أكثرُ منه . فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدَّثنى موسى بنُ يحيى قال : ما كان فى خِزانةِ كتبِ يحيى ، وفى بيت مدارسه[1] كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بنُ العَلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيته ينظرُ فى دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد ، إلّا اعتقدتُ أنّه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قِيل لنا يوماً : إنّ فى دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة ، وهم جلوسٌ على خيرة لهم[2] ، وعندهم طُنبورٌ . فتسوَّرنا عليهم[3] فى جماعةٍ من رجالِ الحىّ ، فإذا فتًى جالسٌ فى وسط

---

(١) فى ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه فى ط . والمدارس : جمع مدرس بفتح الميم ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ماأثبته عن ط .

(٢) فى ط : « على خيرة » ومعناها عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . وكلاهما وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) فى ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) ومما سيأتى فى ص ٢٩٦ .

Marfat.com

الدار ، وأصحابُه حوله ، وإذا هم بِيضُ اللِّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءة فى ذلك البيت . وإنْ دخلتموه عثَرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتًى أصحابه شيوخ . وفى يده دفترُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريَّاء ! !

وأنشد رجلٌ يُونسَ النحويَّ :

استودَعَ العلمَ قرطاساً فضيّعَه فَبِئْسَ مستودَعُ العلمِ القراطيس

قال ، فقال يونس : قاتَلَه الله . ما أشدَّ ضَنانَتَه بالعلم . وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمَك مِن روحِك . ومالَكَ من بدنك . فضعْه من بدنك بمكان الرُّوح . وضعْ مالَكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحة — وأخرج كتاب أبى الشمقمق . وإذا هو فى جودة كوفيَّة . ودَفَّتين طائفيّتين [1] . بخطٍّ عجيب . فقيل له : لقد أُولِعَ من تجوَّدَ بشعر [2] أبى الشمَقْمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلم يُعطيكَ على حسابِ ما تعطونه . ولو استطعتُ أن أودعه سُويداء قلبى . لأبعدته من نظرى . فعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان فى بيته . [illegible] والرجالَ مُثولاً كأنَّ على رءوسهم الطير . وإذا [illegible] عليه وهو معزول . وإذا هو فى بيت [illegible] والقماطر والدفاتر والمحابر والخلق . قال : [illegible]

(١) فى ط : [illegible]
(٢) فى ل : [illegible]

Marfat.com

ولا أجزَل منهُ فى ذلك اليوم ؛ لأنَّه جمعَ مع المهابَة المحبَّة ، ومع الفَخامة الحَلاوة ، ومع السُّودَد الحِكْمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبد اللهِ بن عمر ابن الخطَّاب ، لايجالِسُ الناسَ ، وينزلُ مَقْبُرَةً من المقابر ، وكان لايكادُ يُرى إلَّا وفى يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِل عن ذلك ، وعن نزولِه المقبُرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمنَع [1] من كتاب ، ولا أسلَمَ من الوَحدة . فقيل له : قد جاء فى الوَحدة ما جاء ! فقال : ما أفسَدَها للجاهِل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعَة الخطِّ . قال الله تبارَك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلّ ﴿ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تكتب أعمالُهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظَ نسيانٌ ، ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنَّ كتابَ المحفوظِ ونسخَه ، أوكَدُ وأبلغُ فى الإنذار والتحذير ، وأهيبُ فى الصدور .

---

(١) كذا فى ط ؛ وفى المحاسن ص ٤ : ولا أكس ، فلعل صحة معناه : أمنع ، من الإمتناع .

Marfat.com

وخط آخر ، وهو خطُّ الحازى والعرَّاف[1] والزَّاجِر . وكان فيهم حليس[2] الخطَّاط الأسدىّ ، ولذلك قال شاعرهم فى هجائهم :

فأنتم عضاريط الحُمَيسِ إذا غزَوْا غَناؤكم تِلْكَ الأخاطيطُ فى التُّرْبِ[3]

وخُطوطٌ أخَر ، تكون مستراحًا للأسيرِ والمهموم والمفكِّر . كما يعترى المفكِّرَ من قَرْعِ السنِّ ، والغضبانَ من تصفيقِ اليد وتحجيظِ العين . وقال تأبَّطَ شرًّا :

لتَقْرَعَنَّ عَلَىَّ السنَّ مِنْ نَدَمٍ إذا تذكَّرتَ يومًا بعضَ أخلاقى

وفى خطِّ الحزينِ فى الأرض يقول ذو الرُّمَّة[4] :

عَشِيَّةَ مالِى حِيلةٌ غيرَ أنَّنِى بِلَقْطِ الحَصَى والخطِّ فى الدارِ مُولَعُ[5]

أخطُّ وأمحو الخطَّ ثم أعيدُه بكفِّى والغِرْبانُ فى الدارِ وُقَّعُ

وذكر النابغةُ صانعَ النساء . وفزَعهنَّ إلى ذلك . إذ شبَّين واغتربن وفكَّرن . فقال :

---

(١) فى ط : حدق و عراف ، والتصحيح من ب ، وحذق : صح ، كهنه فى المعرب ، و العراف : الكاهن أو المنجم ، وفى ب ، ط : عراف ، وهو خطأ ، والزاجر : صح ، كهنه

(٢) كذا فى ب : و سقط حليس من ، ط ، وفى ب : الحميس ، وقال فى تاج العروس : الحميس

(٣) الحميس : جمع حمس ، الشجاع ، والحمس : الشجعان ، وفى ب : الحميس ، وفى ط : الحمس ، وفى ب : التراب

(٤) قال الحميس فى ط : ذو الرمة

Marfat.com

ويخطُطْنَ بالعِيدانِ فى كلِّ منزلٍ ويَخبَأنَ رُمَّانَ الثَّدِىِّ النواهدِ

وقد يفزع إلى ذلك الخَجِلُ والمتعلِّل، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسم ابن أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت :

لاينقرون الأرضَ عند سُؤالِهم لتلمُّسِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ (١)

بل يبسُطُون وجوهَهم فتَرَى لها عندَ اللقاء كأحسَنِ الألوانِ

وقال الحارث بن الكِنْدىّ ، وذكرَ رجلًا سأله حاجةً فاعتراه العبثُ بأسنانه . فقال :

وآضَ بكَفِّهِ يختَكُّ ضِرساً يُرِينا أنَّهُ وَجِعٌ بضِرْسِ

وربما اعتَرَى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا فى موضعِ حصى ، ولم يكونوا فى موضع تراب . وهو قول امرئ القيس :

ظَلِلْتُ رِدَائِى فوقَ رَأسِىَ قاعداً أعدُّ الحصَى ما تَنْقَضِى حَسَرَاتِى

٣٣ وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

نَهَرًا جَارِيًا وبيتاً عَلِيًّا يعتَرِى المعتَفِين فضلُ نَدَاكا

فى تراخٍ من المكارمِ جَزْلٍ لم تعلِّلهمُ بلَقْطِ حَصَاكا (٢)

وقال الآخر . وهو يصِف امرأةً قُتِل زوجُها . فهى محزونةٌ تلقُط الحصى :

وبيضاءَ مكسالٍ كأنَّ. وشاحَهَا على أمِّ أحوى المُقْلَتَين خَذُولِ (٣)

---

(١) فى ط : « ينكبون » . وهو تصحيف . وفى س « ينكتون » ، وفى ل وكذلك عيون الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزبانى ٣٣٢ « لاينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب ١١٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعله « براح » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تعلِّلهم » هى فى ط : « تعلقيه » وليس بشئ . وفى ل « تعلق فيه » وهو خطأ كتابى .

(٣) فى ط : « المقلتين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعنى به الظبى . والخذول من وصف أمه ، وهى التى خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة عن ولدها . فهى لا تزال ناظرة من خشفها . وهى تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

Marfat.com

عَقَلتَ لهـا مِنْ زوجِهَا عَدَدَ الحصى

مع الصُّبح . أو فى جُنحِ كلِّ أصيلِ

يقول : لم أُعْطِهَا عقْلًا عن زوجها . ولم أُورِثْهَا إلّا الهمَّ الذى دعاها إلى لقط الحصى . يخبر أنَّه لمنعَتِه . لا يُوصَل منه إلى عقلٍ ولا قَوَد .

(أقوال الشعراء فى الخطّ)

ومِمَّا قالوا فى الخطّ . ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبى قال : قال المقنَّع الكِندىّ فى قصيدةٍ له . مدح فيها الوليدَ بنَ يزيد :

كالخطِّ فى كُتُبِ الغلام أجادَه[1] تمداده . وأسَدّ من أقلامه[2]

قلمٌ كخُرطوم الحمامةِ مائلٌ مُستحفِظٌ لمعالم من علّامه

يَسِم الحروفَ إذا يشاءُ بناءها لبيانها بالنَّقْط من أرسامه

من صوفةٍ نفثَ المِداد سُخامَه حتى تغيَّر لونها لسخامه

يَحْنى فيُقصِمُ من شعيرةِ نفسه[3] بقلامة الأظفور من وَلّامه

وبأنفه شقٌّ تلاءم فاستوى شقّ السِّداد . فزاد فى تكرُّمه

مُستعجمٌ وهو الفصيح إذا مشى نفس المسائل لا من استعجامه

---

(١) فى ...

(٢) فى ...

(٣) فى ...

Marfat.com

وله تراجمةٌ بألسنةٍ لهمْ تبيانُ ما يتلونَ من ترجامِه
ما خطَّ من شيء به كتّابه دا إن يبوحُ به على استكتامِه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلّقةٌ بأسفلِ لامِه

ثم قال :

قالتْ لجارتها الغزيّلُ إذ رأت وجهَ المقنّع من وراءِ لثامِه
قد كان أبيضَ فاعتراه أُدمةٌ فالعينُ تُنكره من آدهيمامِه
كم من بُويزِل عامِها بهريّة سُرُحِ اليدينِ ومن بُويزِل عامِه
وعتَ الوليدُ برَحْلها وزمامها[1] وكذاكَ ذاكَ برَحله . وزمامه
وقروحِ عتدٍ أُعِدَّ لنيِّه بنَ القُوحِ فعادَ مِلءَ حزامه[2]
وعتَ الوليدُ بسَرْجها ولجامها وكذاك ذاك بسَرجه . ولجامه
فهناك المقنّع للوليدِ قصيدةً كالسيفِ أُرهِف حدُّه بحُسامه
وله المآثرُ في قريشٍ كلِّها ولدُ الخلافةُ بعد موتِ هشامه

وقال الحسن بن جماعة الجذاميّ[3] في الخطّ :

---

(١) في ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) القوروح بالكسر : الشحم . القوروح : مصغر قارح . وهو من ذي الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجري . أو الشديد التام الخلق . اللقوح : الناقة قد لقحت . . وكان العرب يستقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج المعنّ (الحماسة ١ : ١٣٠) :

ألم تر سهل ماتزال تلجج تلوم وما أدري علام تروجع
ما ... أن أمنح الورد لقحة وما تستوي والورد ساعة تفزع
إذا ... قلت سامرا بشعلة خبيب لتوّاد رأسها مايقنع
... بيده بالجام ... شمال يجزل بما كلت أصنع

... بن منصور بن نصر الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٣) :

... في ياباتٍ ... ما حبست لقحة بمورد
... من حنانه لمسته ونصرن في مضمضه ...

(٣) ... وقد ورد جماعة بالضم في ط .

Marfat.com

إليك بِسِرِّى باتَ يُرقِلُ عالمٌ
أصمُّ الصدى مخرورفُ السِّنِّ طائع [1]

بَصيرٌ بما يُوحَى إليه ومالَهُ لسانٌ ولا أُذْنٌ بها هُوَ سامعُ
كأنَّ ضميرَ القلبِ باحٍ بِسِرِّه إليه . إذا ما احْتَثَّحَثَّتْهُ الأصابع
له رِيقةٌ من غير فرثٍ تمدُّه ولا مِنْ ضلوعٍ صدَّعتها الأضالعُ [2]

وقال الطائىُّ ، يمدح محمَّدَ بن عبدِ الملك الزَّيات :

وما بَرِحَتْ صُوراً إليكَ نوازعاً أعنَّتُها مُذْ راسلتْكَ الرسائل
لكَ القلمُ الأعلى الذى بشباته يُصَابُ من الأمرِ الكلىِّ والمفاصل [3]
لكَ الخلَواتُ اللاءِ لولا نجيُّها لما احتفلت للمُلْكِ تلك الخلائل [4]
لَعابُ الأفاعى القاتلات لُعابُهُ وأرْيُ الجَنى اجتلاتْهُ أيدٍ عواسل
له رِيقةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقعها بآثارها فى الشرق والغرب وابل
فصيحٌ إذا استنطقتَه وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل
إذا ما اعتلى أحشاءَ ملهوفةٍ أفاضَ عليها من شعابِ الذكى وهى حائل
أطاعتْه أطرافُ القنا وتقوَّضتْ لنجواه أطنابُ القباب الخواذل
فما استعزَّ مُذْ حلَّ وأنَّت بأيدى الثقل ما بين راكبٍ وراحل

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

Marfat.com

وقد رفدته الخِنْصَرانِ وسدَّدت ثلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأنامِلُ (١)

رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنى وسميناً خَطْبُه وهو ناحلُ (٢)

أرى ابنَ أبى مروانَ أدَّى لِقاؤُه فدانٍ وأمَّا الحكمُ فيه فعادلُ

٣٥ وقد ذكر البُحْتُرِيُّ فى كلمةٍ له . بعضَ كهولِ العسكر (٣) . ومن أَنْبَل أبناء كتّابهم (٤) الجِلّة فقال :

وإذا دجَتْ أقلامُه ثم انتحَتْ برقَت مصابيحُ الدُّجَى فى كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً فى الصخور . ونقشاً فى الحجارة . وخِلْقة مُرَكَّبةً فى البُنْيان . فربَّما كان الكتابُ هو البانِىَ . وربَّما كان الكتابُ هو الحفر . إذا كان تاريخاً لأمرٍ جَسيم . أو عهداً لأمرٍ عظيم . أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها . أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره . [أو تطويل مدته] . كما كتبوا على قُبَّة غُمْدان (٥) . وعلى باب القَيرُوان (٦) .

---

(١) فى ط : « وقد رمزته الخنصران وشددت » وهو تحريف ما أثبته من ل والديوان .

(٢) فى ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب . ولبيت شعرى لم يصرح الجاحظ باسمه . مع أن الجاحظ له رسالة إلى الحسن بن وهب . فى مدح النبيذ وصفة أصحابه . ذكر صدرا منها عبيد الله بن حسن . فى كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت الذى ذكره من قصيدة فى ديوان البحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل نعساتُ عن خطبه أو صادح مُتَحَسِّر عن ذنبه

(٤) فى ط : « أقيال ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وظفيرة . واختلف فى اسم بانيه . وله صفة عجيبة فى معجم البلدان .

(٦) هى المدينة المعروفة فى إفريقية . مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية .

Marfat.com

وعلى باب سَمَرْقَند[١] ، وعلى عمود مأرِب[٢] . وعلى ركن المشقَّر[٣] ، وعلى الأبلَق الْفَرْد[٤] ، وعلى باب الرها[٥] : يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ فى أبعدِ المواضع من الدُّثور ، وأمنَعِها من الدروس ، وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها . ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبَطَلت العهودُ والشروطُ والسِّجلاَّتُ والصِّكاك . وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان . وكلُّ عهدٍ وعَقْدٍ . وكلُّ جِوارٍ وحِلف . ولِتعظيمِ ذلك . والثقةِ به والاستنادِ إليه . كانوا يَدْعُون فى الجاهليَّة مَنْ يكتبُ ثم ذكرَ الحِلْف والْمُدْنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان . ولذلك قال الحارث بن حِلِّزة ، فى شأن بكر وتغلب[٦] :

واذكروا حِلْفَ ذِى المَجَاز وما قُـ ـدِّم فيه العهودُ والكفلاءُ

---

(١) بلدة عظيمة فى كستان ، والأصحّ ، وى أنه

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت ، من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين ، وهو ط : ... معجم ... ٣ .

(٤) قال ياقوت : ... حصن ... ، والفرد : ... والصحيفة : ... والخصيفة ... حجر .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث ... المعلقات ... :

وقد ... البيت ... المعلقات ... ٣ ... وقد ... البيت ...

... الخ .

Marfat.com

حَذَرَ الجَورِ والتَّعدِّى ، وهلْ يَنْـ ـقُضُ ما فى المَهارِقِ الأهواءُ !

والمهارق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ كتبَ دينٍ ، أو كتبَ عهودٍ ، ومِيثاقٍ ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقومِ والخطوط فَرق ، ولولا الرقوم لهلكَ أصحابُ البَزِّ والغُزول . وأصحابُ الساجِ وعامَّةِ المتاجر . وليسَ بينَ الوُسومِ[1] التى تكون على الحافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلفِ كلِّه ، وبين الرقومِ فرق ، ولا بينَ العقودِ والرقوم فرق . ولا بين الخطوط والرقوم كلِّها فرق ، وكلُّها خطوط . وكلها كتابٌ . أو فى معنى الخطِّ والكتاب . ولا بين الحروف المجموعةِ والمصوَّرَةِ من الصوت المقطَّع فى الهواء . ومن الحروف المجموعة المصوَّرة من السواد فى القرطاس فرق .

٣٦ والِلسان : يصنَع فى جَوبة[2] الفَمِ [وهوائه الذى فى جوفِ الفم] وفى خارجه . وفى لَهاته . وباطنِ أسنانه ، مثلَ ما يصنع القلمُ فى المدادِ والدِّيقةِ والهواء والقرطاس . وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخَلْقٌ مواثل ، ودَلالات ، فيعرف منها ما كانَ فى تلك الصُّوَر لكثرةِ تَردادها على الأسماع[3] . ويعرف منها ما كان مصوَّراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار . كما استدلُّوا بالضَّحك على السرور ، وبالبكاء على الألم . وعلى مثلِ ذلكَ سائرُ ما فى الصوتِ . وضروبَ صورِ الإشارات . وصورِ جميع الهيئات ،

---

(١) فى الأصل « الرسوم » والراء والواو فى « الوسوم » جمع « وسم » .

(٢) ما عدا ا : « جوبة » .

(٣) [illegible] نبرة فى ط بزيادة « الأعياد » .

Marfat.com

وكما عرف المجنون لقَبه ، والكلبُ اسمَه . وعلى مثل ذلك فهِم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد[١] . وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابّة مع رفع الصوت . حتّى إذا رأى سائسَه حمحم . وإذا رأى الحمامُ القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِ الحبّ ، قبل أن يُلقِيَ له مايلقطه . ولولا الوسومُ[٢] ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموالِ الخللُ الكثير . وعلى خزائنِ الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمّةٌ بها طِرْق[٣] أوْ فيها مُسْكة . ولا جبلٌ هم قبض وبسْط ، إلاّ وفيه خطّ . فأمّا أصحاب الملك والمملكة . والساسة والعبادة . والدّيانة والعبادة . فهناك الكتابُ المتقن . والحساب المحكم . ولا يخرج الخطُّ من الجزْم والمسند المنمنم والسمون[٤] كيف كان . [illegible] ذلك [illegible] ابن عدى [illegible] وابنُ الكلبي .

(تخليد الأمم لمآثرها)

[illegible] قال [illegible] : فكلُّ أمّة تعتمد في استبقاء مآثرها . [illegible] ضرب من الضروب . وشكل من الأشكال .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

(تخليد العرب لمآثرها)

وكانت العربُ فى جاهليَّتها تحتال فى تخليدها . بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفَّى . وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أنّ الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ . على الشاعر الراغبِ . والمادح ، وفضيلةَ المأثُرة ، على السيِّد المرغوبِ إليه . والممدوح به . وذهبت العجَم عَلَى أن تقيِّد مآثرَها بالبُنيان . فبنوا مثلَ كرد بيداد[1] . وبنى أرْدشير بيضاء إصطَخْر . وبيضاء المدائن ، والحَضْر . والمدن والحصون . والقناطر والجسور . والنواويس . قال : ثمَّ إنّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ فى البناءِ . وتنفردَ بالشعر . فبنوا غُمدان . وكعبةَ نَجْرَان[2] . وقصرَ مارد . وقصر مأرِب . وقصر شعوب[3] والأبلق الفرد ، و [فيه وفى[4]] مارد . قالوا « تمرَّدَ مارِدٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان . كما لا تبيح شريف الأسماء . إلاّ لأهل البيوتات ، كصنيعهم فى النواويس والحمَّامات والقِباب الخضر . والشُّرَف على حيطان الدار . وكالعَقْد على الدِّهليز وما أشبهَ ذلك . فقال بعض من

---

(١) كذا فى ط . ومكانه فى ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى ، على بناء الكعبة . وعظموها مضاهاة للكعبة . وكان فيها أساقفة معتمون . وهم الذين جاءوا إلى النبى ، صلى الله عليه وسلم . ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام . وصاحب هذا القول هو الزباء . فيما روى ياقوت فى رسم (مارد) قال فى مارد : « حصن بدومة الجندل . وفيه وفى الأبلق قالت الزباء ، وقد شزتهما . فامتنعا عليها : تمرد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

Marfat.com

حضر « كُتُبُ الحكماءِ وَما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصِّناعات. والآداب والأرفاق[1] ، من القرون السابقة والأمم الخالية . ومن له بقيَّة ومن لا بقيّة له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر ردًّا . لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها . وأحسنُ فى الأحدوثة . لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولَى من بُنيان الحجارة وحِيطان المدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمِسوا على آثارِ مَن قبلَهُم . وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم . فقد هدَموا بذلك السببِ [أكثرَ] المدن وأكثرَ الحصون . كذلك كانَ أيَّامَ العجَم وأيَّامَ الجاهليَّة . وعلى ذلك همْ فى أيّام الإسلام . كما هدم عُثمانُ صومعةَ غُمدان . وكما هدمَ الآطامَ[2] التى كانت بالمدينة . وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر وحِصن كان لابن عامر[3] . وكما هدم الحجاج [illegible] الشاذات[4] [illegible] .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوّلُ من نَهَجَ سبيلَه ، وسهّل الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة . وكُتُبُ أرسطاطاليسَ . ومعلّمِه أفلاطون ، ثم بَطْلَيموس ، وديمقراطس[1] ، وفلان وفلان . قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور[2] . والأحقاب قبلَ الأحقاب .

ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إنَّ بنى عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيَّعه الدُّخلُلون إذ غدَرُوا[3]

أدّوا إلى جارهم خفارته ولم يَضِعْ بالمغيب مَنْ نَصَرُوا[4]

لا حِمْيَرِىٌّ وَفَى ولا عُدُسٌ ولا استُ عَيرٍ يحكها الثَّفر[5]

لكنْ عُوَيرٌ وَفَى بذمَّتِه لا قِصَر عابَهُ ولا عَوَرُ[6]

فانظرْ . كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبى عليه الصلاة والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ . وجدْنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام — خمسين ومائةَ عام . وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام[7] .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب . وعلى من تكلَّم بلسان

---

(١) فى ط : « ذى بترا ط . . » وما أثبته فى ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) فى ل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون فى الأصل . ويظهر أنه تصحيح ما فى الديوان ١٥٩ . والمراد به النهوض والترحيل . والدخلل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه على غيره .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والخاء مثلثة .

(٥) حميرى : نسبة إلى حمير . وعدس : رجلان من بنى حنظلة .

(٦) أبو عمرو عن الكلبى : كان عوير قد أجار هندا بنت حجر أخت امرئ القيس ، فرآها بعد حين أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة . وقوله من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت فى الاستدراكات .

Marfat.com

العرب ، والشعر لايُستطاع أن يترجَم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب ؛ [لا] كالكلامِ المنثور . والكلامُ المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر . ٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين . والحكم فى الصناعات ، وإلى كلّ ما أقام لهم المعاشَ وبوّب لهم أبوابَ التمطّن . وعرّفهم وجوهَ المرافق ؛ حاجتهم كقديمهم . وأسودهم كأحرارهم . وبهائمهم كتمريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملةٌ لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلتْ كتبُ الهند . وتُرجمت حكمُ اليونانيّة . ونُقلت آداب الفرس ؛ فبعضها ازداد حسنا . وبعضها ما انتقص شيئا . وهل حاكت حكمه العرب . لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن . مع أنهم لو حاكوا لم يأتوا بمعانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم . الّتى وضعت لأشباههم وفطنهم وحكمتهم . وقد نُقلتْ هذه الكتبُ من أمّة إلى أمّة ، ومن قرن . ومن لسان إلى لسان . حتى انتهت إلينا . وما [illegible] وننظر فيها . فقد صحّ أنّ الكتب [illegible]

([illegible])

[illegible]

Marfat.com

ودقائِق اختصاراته ، وخفِيَّاتِ حدوده ، ولا يقدِر أَنْ يوفيَها حقوقَها ، ويؤدِّيَ الأمانة فيها ، ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِيّ[1] ، وكيف يقدِر على أدائِها وتسليمِ معانيها . والإخبار عنها على حقِّها وصدقها ، إلّا أَنْ يكونَ فى العلم بمعانيها ، واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها ، وتأويلاتِ مخارجِها . مثلَ مؤلِّف الكتاب وواضعِه . فمتى كان رحمه الله تعالى آبنُ البِطرِيق ، وآبن ناعمة ، وابن قرَّة ، وآبن فِهريز ، وثيفيل[2] ، وآبن وهيلى ، وآبن المقفَّع ، مثلَ أرِسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالدٌ[3] مثلَ أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدَّ للتَّرجُمَان من أن يكون بيانهُ فى نفس الترجمة ، فى وزْن علمه فى نفس المعرفة . وينبغى أن يكون أعلمَ النلس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها ، حتّى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلَّم بلسانين ، علمنا أنّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما ، لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها ، وتعترضُ عليها . وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة . وإنَّما له قوَّةٌ واحدة . فإنْ تكلَّمَ

---

(١) فى الأصل : الجرى ، ولعله هو الجرمى ، وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس

(٢) فى الفهرست هو حبيب ، أبو عبيد يشوع بن فهريز ، ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو ، مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . . وقد قام بأول ترجمة فى الإسلام ، قال جاحظ فى البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وفصيحا جوادا ، وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب الطب والكيمياء » ، توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

Marfat.com

بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّة عليهما . وكذلك إنْ تكلَّم بأكثرَ مِنْ لغتين . على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلَّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق . والعلماءُ به أقلَّ . كان أشدَّ على المترجِم . وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء . ٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولُنا فى كتب الهندسة . والتنجيم . والحساب . واللحون . فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دِينٍ وإخبار عن الله — عزَّ وجلَّ — بما يجوز عليه ممَّا لايجوز عليه . حتَّى يريد أنْ يتكلَّم على تصحيح المعانى فى الطبائع . ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد . ويتكلَّمَ فى وجوهِ الإخبار واحتمالاته للوُجود . ويكونَ ذلك متضمَّناً بما يجوز على الله تعالى . ممَّا لايجوز . وبما يجوزُ على الناس مما لايجوز . وحتَّى يعلمَ مستقرَّ العادة والخاصَّ . والمقابلاتِ التى تلقى الأخبارَ العامَّية فتخرج فيجعلها خاصيَّة . وحتَّى يعرفَ من الخبر ما يخصُّه الخبر الذى هو أثر . ومما يخصُّه الخبر الذى هو قولٌ . وما يخصُّه العقل مما تخصُّه العادة أو الحال الدالَّة عن العين . وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً . وما لايجوز أن يسمَّى صدقاً ولا كذباً . وحتَّى يعرفَ اسم الصادق والكاذب . وما هى الأشياء التى تضع ذلك الاسم . وكذلك ... التصحيح . وأىّ شىء تأويلُ المحال . وما هى الأشياء ... ذلك . وأىّ القولين أفحشُ : المحال أو الكذب . وما ... محال أفظع [1] . والكذب أسمع . وحتَّى يعرف ... والشنيع . وأين

(١) فى الأصل أبين

Marfat.com

والكناية . وفصْل ما بين الخطَلِ والهَذْر ، والمقصورِ والمبسوط والاختصار ؛ وحتّى يعرف أبنيةَ الكلام . وعاداتِ القوم ، وأسبابَ تفاهمِهم ، والذى ذكرنا قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطأَ فى تأويل كلامِ الدين . والخطأُ فى الدين أضرُّ من الخطأ فى الرياضة والصناعة . والفلسفةِ والكَيْمِيَاء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجِم الذى قد ترجَم لايكمل لذلك ، أخطأ على قدْرِ نقصانه من الكمال . وما عِلْمُ المترجِم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علْمه بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخِلْقيّة ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام . وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمُه ببعض الخطرفة لبعض المقدَّمات ؟ وقد علمنا أنّ المقدّمات لابدَّ أنْ تكون اضطراريّة ، ولا بدَّ أن تكون مرتّبة . وكالخيط المعدود[1] . وابنُ البِطريق وابن قرّة[2] لايفهمان هذا موصوفاً منزّلا . ومرتّباً مفصّلا : من معلّمٍ رفيقٍ . ومن حاذقٍ طَبٍّ ؛ فكيف بكتابٍ قد تداولتْـــه اللغاتُ واختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ المِلل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيّين يرمى إلى الحاذق بلسان العربيّة ، ثم كان العربىُّ مقصّراً عن مقدار بلاغة اليونانىّ ، لم يجد المعنى والناقل التقصير . ولم يَجد اليونانىُّ الذى لم يرضَ بمقدار بلاغته فى لسان العربيّة بُدّا من الاغتفار والتجاوز ، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ، وذلك أن نسخته لا يَسلَمها الخطأ ، ثمّ ينسخُ له من تلك النسخة

(١) [illegible] كالخيط المعدود [illegible]

(٢) [illegible] وابن قرة .

Marfat.com

مَن يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة . ثمّ لاينقص منه ؛ ثم يعارض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله . إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذى لايجدُه فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولرُبَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلِح تصحيفاً . أو كلمة ساقطة . فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ [1] من حرّ اللفظ وشريف المعانى ؛ أيسَرَ عليه من إتمام ذلك النقص . حتى يردَّه إلى موضعه من اتّصال الكلام . فكيف يُطيق ذلك المعارض المستأجَر . والحكيمُ نفسه قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنّه يأخذ بأمرَين : قد أصلحَ النماسخُ وزادَ الصالح صلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر . فيصير فى الورّاق الثانى سيرة الورّاق الأوّل . ولا يزال الكتاب يتولّد منه الجانية . والأغراض المفسدة [2] . حتى يصير [illegible] فى ظنّكم بكتاب تتعاقبه المئون بالإفساد . وتتعاوره [illegible] ذات أو بمثله . كتاب تتقاذفه [illegible] ؟

(بين أسماء الكتاب وأسماء الشعر)

قالوا : فلِمَ سمّيت هذا الكتاب [illegible] ؟ قال الأحمر : [illegible] الشاعر على [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

معلوماً أَنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُه وسُؤرُه وصُبَابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداوُلِ النقص ، حرىٌّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيلِ على البنيان[1] ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حُوِّل تهافَتَ . ونفعُه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ، ومن المنافع الاصطلاحيَّة وليست بحقيقة بيِّنة[2] ، وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات[3] في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننَا وبينكم ، مثل كتاب أُقليدِس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسْطي[4] ، ممّا تولّاه الحجَّاج[5] ،
٤١ وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومغيَّرة[6] ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلًا لتسلُّط النطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكيناه . ومنتهى نفعِه إلى حيث انتهى بذا القول[7] .

---

(١) في ط : على البيان ، وإنما هو البنيان ، كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .
(٢) في ط : وليست بحقيقته بينة وصوابه في ل .
(٣) في ط : فهي جردت ، وأصلحت تشويه العبارة من ل .
(٤) في ل : فجسطي ، بالشين . وإنما هو المجسطي كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قديمًا : وصحح المأمون كثير من حسبه وأقيست خيفة الأرض بالدرجة بأرضية . فكان أرصد سنة أول أرصاد في إمرته . وسموا مجموع أرصادهم الزيج المأموني .
(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي . كذا في أخبار النحويين مقتضبًا ٤٦ — ٤٨ .
(٦) في ط : ومضيرة .
(٧) في ل : بهذا القول ، وسقط في ط .

Marfat.com

وحسبُك ما فى أيدى الناس من كتب الحساب ، والطبّ . والمنطق . والهندسة ، ومعرفةِ اللُّحون ، والفِلاحة ، والتِّجارة ، وأبواب الأصباغ . والعِطر ، والأطعمة . والآلات . وهم أتَوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التى فى الحمَّامات وفى الأصطرلابات . والقَرسطونات [1] وآلات معرفة الساعات . وصُنعة الزجاج والفُسَيفِساء [2] . والأسرنج [3] والزنجفور [4] واللازَورد [5] والأشربة . والأُنْبَجات [6] . والأيارجات [7] ولكم المينا . والنشادر

---

(١) هذا اللفظ وجدته فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (عيون الأخبار ١ : ٢٦٢) قال : وصانعوا من المنفع كالقرسطونات والقبانات . . . الخ ووجدته فى كتاب التربيع والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع السامرى قال : . . . عن القرسطون كيف أخرج أحسن فيه الثمانية وعلى زاد ذلك أم نقص . . . جميعه على ما وصفنا زاد ذلك أو نقص . وظنى أنه مأخوذ من قولهم بالكلمة (القبان) وهى لغة فى مصر (القبانى) . وانظر النزهة المشجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : أعوان من الحجر تركب فى حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الجواليقى فى المعرب : . . . حتى يختمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة فى بعض النسخ . . . صبغ معروف . . . وهذه فى بعض . . . من الزنبق . . . من الحجر .

(٥) الجواليقى : . . . .

(٦) الأنبجات : جمع . . . . فى حواشى الأصل . . . .

(٧) فى الأصل . . . . الأيارجات . . . .

Marfat.com

والشَّبَه[1] وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَاسْتَج[2] . وتعليق الخَيش ، واتِّخاذ الجمَّازات[3] . وعمل الخرَّاقات[4] . واستخراج شراب الداذِىّ[5] وعمل الدّبابات[6] .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجَّاجُ أوّلَ مَن أجرى فى البحر السفن المقيَّرة المسمَّرة غيرَ المخرَّزة ، والمدهونة والمسطّحة ، وغيرَ ذواتِ الجؤجؤ ؛ وكان أوَّلَ مَن عمِل محامل . ولذا قال بعضُ رُجَّاز الأكرياء[7] :

أوَّلَ خَلْقٍ عَمِلَ المحامِلا أخزَاهُ ربِّى عاجلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغِى فهُنَّ بيضُ ، مَحَامِلُ لِقِدَّها نَقِيضُ[8]

وقال آخر[9] :

---

(١) فى ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادى . وانظر التفسير الآتى .

(٢) فى ط : « النستاستج » وهو تحريف ما فى ل . قال فى القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الخراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادى . الداذى : شراب للفساق .

(٦) فى ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب . فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام فى البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه فى البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما فى اللسان (قرض) .

Marfat.com

شيَّب أصداغِى فهن بيَّضُ مَحَامِلٌ فيها رجال قبَّضُ

لو يتسكون ســـنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرَّفوكم من أبواب الحُمْلانات [1] لم تعرفوا صنعة الشَبَه ، ولولا غَضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغَضار . على أنَّ الذى عَمِلْتُم [2] ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينىّ . وعلى أن الشَّبَه لم تستخرجوه . وإنَّما ذلك من الأمور التى وقعت اتّفاقاً . لسقوط الناطف [3] من يد الأجير فى الصُّفْر الذائب ، فَخِفتم إفساده . فلَمَّا رأيتم ما أعطاه من اللون عَمِلْتم [4] فى الزيادة والنقصان . وكذلك جميعُ ما تهيَّأ لكم . ولستم تخرُجون فى ذلك من أحد أمرَين : إمَّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علمِ ما أورثوكم . وإمَّا أن يكون ذلك تهيَّأ لكم من طريق الاتِّفاق ! !

(الجمازات)

وقد علمتم أنَّ أوَّلَ شأن الجمازات . أنَّ أمَّ جعفر أرادت الخليفةَ أن يزيدَها فى سير الأجبية [5] التى كانت عليها . وخافت فوت الليل . فلما حُرِّكت مشت فصوبا دون المشى . وعلموا أن ليس [6] . وهذا

(١) فى ... من ... وهو ...

(٢) فى ط : ...

(٣) ... فى ط ... على ... الذى ...

(٤) فى ط : ...

(٥) فى ... :

(٦) فى ... : ... وهذا ...

Marfat.com

خلال ذلك . ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً . ومع الراحة لذَّة . فأمرتْهم أن يسيروا بها فى تلك السِّيرة . فما زالوا يقرِّبون ويبعِّدون . ويخطئون ويصيبون . وهى فى كلِّ ذلك تصوِّبهم وتخطئُهم على قدر ما عرفَتْ . حتى شَدَوا من معرفة ذلك ما شَدَوا ، ثمَّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمَّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميعُ أمركم : من أن يكون اتِّفاقاً . أو اتِّباعَ أثر .

(الترغيب فى اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب فى اصطناع الكتاب . والاحتجاج على مَنْ زَرَى[1] على واضِع الكتب . فأقول : إنّ من شكر النعمة فى معرفة مغاوى الناس ومَرَاشِدِهم . ومضارِّهم ومنافِعهم . أن يُحْتَمَلَ ثِقْلُ مئونتهم فى تقويمهم . وأن يُتَوَخَّى إرشادُهم وإن جهِلوا فضلَ ما يُسْدَى إليهم . فلن يُصَانَ العلمُ بمثل بذْله . ولن تُستَبقى النعمةُ فيه بمثل نشره . على أنَّ قراءةَ الكتبِ أبلغُ فى إرشادهم من تلاقيهم : إذ كان مع التّلاقى يشتدُّ التصنُّع . ويكثُر التظالُم . وتُفرط العصبيّة . وتقوَى الحَمِيَّة : وعند المواجَهةِ والمقابلَة . يشتدُّ حبُّ الغلَبة . وشهوةُ المباهاةِ والرياسة . مع الاستحياء من الرجوع . والأنفةِ من الخضوع : وعن جميعِ ذلك تحدُث الضغائن . ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفةِ وعلى هذه

---

(١) أثبت ما فى ل ، وهى فى ط : « ذرى مصحفة . . وزرى عليه كأزرى : عابه ؛ والأول أكثر .

Marfat.com

الهيئة ، امتنعتْ من التعرُّف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست فى الكتب عِلَّةٌ تمنَع من دَرْك البُغْية ، وإصابة الحجَّة ، لأنَّ المتوحِّد بدَرْسها[1] ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسَه ولا يغالب عقلَه ، وقد عَدِم مَنْ له يُباهى وَمِنْ أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضُل صاحبَه ، ويتقدَّم مؤلِّفَه ، ويرجِّح قدمَه على لسانِه بأمور : منها أنّ الكتابَ يُقرأ بكلّ مكان ، ويظهرُ ما فيه على كلّ لسان ، ويُوجَد مع كلِّ زمان ، على تفاوُتِ ما بينَ الأعصار ، وتباعُدِ ما بين الأمصار ، وذلك أمرٌ يستحيل فى واضع الكتاب ، والمنازع[2] فى المسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهذه لا تجوزان[3] عليه ، ولا تبلغ حيلتِه ، وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه ، ويذهب العقل ويبقى أثرُه ، ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ فى كتبها ، وخلَّدت من عجيب حكمها ، ودوَّنت من أنواع سِيَرها ، حتى شاهدْنا بها ما غاب عنّا ، وفاتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا ، فجمَعنا إلى قليلنا كثيرَهم ، وأدركنا بها ما لم نكن[4] ندركه إلاّ بهم ، لقد خسّ[5] حظُّنا من الحكمة ، وضعف سببُنا إلى المعرفة ، ولو لجأنا إلى قدر قوّتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنتهى نظرنا

(١) فى ط : ... بها ... بفهمها ... إلى حد ما ذكره ...

(٢) فى ط : ... والمتنازع ...

(٣) فى ط : ... لا يجوزان ...

(٤) فى ط : ... لما حسن ... العبارة من هنا ... إلى أن نهايته ... ما ذكره ...

Marfat.com

لما تدركه حواسُّنا . وتشاهدُه نفوسنا . لقلَّت المعرفةُ ، وسَقَطت الهِمّة ، وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأىُ عقيماً . والخاطِر فاسدا ؛ ولَكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبهم نفعاً . وأشرف منها خَطَرا ، وأحسنُ موقعا ، كتُبُ اللهِ تعالى . فيها الهُدَى والرحمة . والإخبارُ عن كلِّ حكمة . وتعرِيفُ كلِّ سيِّئةٍ وحسَنة . وما زالت كتبُ الله تعالى فى الألواحِ والصُّحُف ، والمهارِق[1] والمصاحِف . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقال ﴿ مَا فَرَّطْنَا فى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . ويقال لأهل التَّوراةِ والإنْجيل : أهلُ الكِتاب .

(مواصلة السير فى خدمة العلم)

وينبغى أن يكونَ سبيلُنا لِمَنْ بعدَنا ، كسبيلِ مَن كان قبلنا فينا . على أنَّا وقد وجدْنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا . كما أنَّ مَن بعدَنا يجدُ من العِبرة أكثرَ ممّا وجدْنا . فما ينتظرُ العالمُ بإظهار ما عندَه . وما يمنَع الناصرَ للحقِّ من القيامِ بما يلزمُه . وقد أمكن القولُ وصلَح الدهرُ وخَوى نجم التَّقيَّة[2] ،

---

(١) فى ط : « المحار » وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) فى ل : « حوى نجم التقية » وفى ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى. وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

Marfat.com

وهَبَّتْ رِيحُ العلماء ، وكسَدَ العِيُّ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !

وليس يجدُ الإنسانُ فى كل حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقوِّما يثقِّفه . والصبرُ على إفهام الريِّض شديد . وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالم أشدُّ منه ، والمتعلِّمُ يجدُ فى كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائما وما أكثرَ مَن فرَّط فى التعليم أيَّام خُمولِ ذكره . وأيَّام حَداثةِ سنِّه ! ! ولولا جِيادُ الكتبِ وحسنُها . ومُبيِّنُها ومختصَرها . لَمَا تحرّكت هممُ هؤلاء لطلب العلم . ونزعت إلى حبِّ الأدب ، وأنِفَتْ من حالِ الجهل . وأن تكون فى غِمار الحَشْو ، ولَدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرَّة ، ومن الجهل وسوء الحال . ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره . إلّا بالكلام الكثير . ولذلك قال عمرُ رضى الله تعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبى حنيفة)

وقد نجد الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآن . ويجالس الفقهاء حينا عاماً . وهو لا يُعدُّ فقيهاً . ولا يُجعَل قاضيا . فما هو إلا أن يقلِّب فى كتب أبى حنيفة . وأشباه أبى حنيفة . ويحفظ كتب النثر من [illegible] أو سنتين . حتى تمرّ ببابه فتظنّ أنه من بعض الخدّام [illegible] ألّا يمرّ عليه من الأيام إلّا اليسير . حتى يسير حكمًا على بعض من [illegible] أو بلدٍ من البلدان .

(١) قول : « با [illegible]

(٢) رسمت هذه الكلمة بالياء المنقوطة من الكتابة [illegible] بالألف . قال صاحب القاموس [illegible] بكذا وحرى كعنى وحرا [illegible]

Marfat.com

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

ينبغى لمن كتَبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلّا على أنَّ النَّاس كلَّهم له أعداء . وكلُّهم عالمٌ بالأمور . وكلُّهم متفرِّغ له ؛ ثمَّ لا يرضى بذلك حتى يدَع كتابه غُفْلا . ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْباً . فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة . وتراجَعَتِ الأَخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرة ، أعاد النَّظرَ فيه . فيَتوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه[1] فى السلامة أنقَصَ من وزنِ خوفِه من العيب . ويتفهَّم معنى قولِ الشاعرِ[2] :

إنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خلوتُه حتَّى يَلِجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ

وقفَ عند قولهم فى المثل : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ يُسَرُّ[3] » فيخاف أن يعتريَه ما اعترى مَنْ أجرى فرسَه وحدَه . أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهلِ منزلتِه من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

---

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ سنى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ . وقد رواه الصولى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

Marfat.com

فمَا أكثر من يَعزِم على خمسةِ أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنَّه ابتدأ الضربَ وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرَّك دمُه ، فأشاع فيه الحرارةَ فزادَ فى غضبه ، فأراه الغضبُ أنّ الرأى فى الإكثار . وكذلك صاحب القلم : فمَا أكثرَ من يبتدئ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكَن ، وهو مع الإكثار أبعَد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقلَ إنْ لم يكن بالمتبوع . فكثيرًا مايعتريه مايعترى من ولده ، أنْ يحسُنَ فى عينه منه المقبَّحُ فى عين غيره . فليعلمْ أنَّ لفظَه أقربُ نسباً منه من ابنه . وحركتَه أمسُّ به رحماً من ولَده ؛ لأنَّ حركته شىءٌ أحدثه من نفسه وبذاته . ومن عين جوهره فتصلت[1] . ومن نفسه كانت ؛ وإنَّما الولدُ كالنخلة يتعهَّدها . والنُّخامة يقذفها . وما سوء إخراجُك من جزئك شيئاً لم يكن منك . واظهارُك حركةً لم تكن حتى كانت منك . ولذلك تجدُ فتنة الرجُل بشعره . وفتنته بكلامه وكتبه . فوق فتنته بجميع نعمته .

(ما ينبغى أن تكون عليه فى الكتب)

وليس [illegible]

(١) [illegible]

Marfat.com

السامع لما فيه من الرويَّة . ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ
٤٥ ألفاظ السِّفْلَةِ والحَشْو[1] . ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيِّ الكلام ،
وليس له أَنْ يهذِّبَه جدًّا . وينقِّحَه ويصفِّيه ويروّقه . حتى لاينطِقَ
إلّا بِلُبِّ اللُّبِّ . وباللفظ الذى قد حذف فُضُولَه . وأسقَطَ زوائِدَه[2] .
حتَّى عاد خالصاً لاشَوْب فيه . فإنَّه إنْ فعل ذلك . لم يُفْهَمْ عنه إلّا بأن
يجدِّد لهم إفهاماً مِرَارا وتَكراراً . لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدُوا المبسوطَ من
الكلام . وصارت أفهامُهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها
ويؤخذ بها . ألا تَرَى أَنَّ كتاب المنطق الذى قد وُسم بهذا الاسم ،
لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب . لما فهموا أكثرَه ،
وفى كتاب أُقليدِسَ كلامٌ يدور . وهو عربىٌّ وقد صفِّى ، ولو سمِعه بعضُ
الخطباء لما فهمه . ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه . لأنَّه يحتاج إلى
أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر . وتعودَّ اللفظ المنطقىَّ[3] الذى استُخرِج
من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، و نقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان . رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَارٍ العبدى[4] :

---

(١) فى ط : « الخشوة » وكذا صحيح ومعناه : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش ، وقيل ابن عباس — بن شراحيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان . له محبة وأخبار حسنة . وكان نسابة ، توفى نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

Marfat.com

ما الإيجاز ؟ قال : أَنْ تجيبَ فلا تبطئ . وتقولَ فلا تخطئ . قال معاوية : أو كذلك تقول ! ! قال صحار : أقِلْنِي يا أميرَ المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .

فلو أنَّ سائلاً سألك عن الإيجاز . فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ . وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان[1] . لما عرَف بالبديهة وعندَ أوَّلِ وهلة . أنَّ قولَك « لا تخطئ » متضمّنٌ بالقول . وقولَك « لا تبطئ » متضمّن بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه . ولو أن قائلاً قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنّه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنَى به قلّةُ عدد الحروف والألفاظ . وقد يكونُ الإيجاز في الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطنَ طُومار[2] فقد أوجز . وكذلك الإطالة . وإنَّمَا ينبغي له أن يخاف بقدرِ ما لا يكون سببا لإغلاقه . ولا يزيد على ما يَكتفي في الإفهام بشطره[3] . فما فضل عن المقدار فهو خطل .

(استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلتُ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم [illegible]

(١) هو خالد بن صفوان بن [illegible]
[illegible] بن عبد العزيز وحشمه [illegible]
ولم يتولّ [illegible] سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار : الصحيفة [illegible]

(٣) في ط : « لا [illegible] يكون من الإفهام [illegible]

Marfat.com

كتبَك مفهومة كلَّها ، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها ، وما بالُك تقدِّم بعضَ العويصِ وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبى هذه لله ، وليست هى من كتبِ الدين . ولو وضعتُها هذا الوضع [1] الذى تدعُونى إليه ، قلَّت حاجاتُهم إلىَّ فيها . وإنَّما كانت غايتى المَنَالة ، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع [1] المفهومَ ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهِموا إلى تماس فهْمِ مالم يفهموا . وإنَّما قد كسَبتُ فى هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى التكسُّب ذهبت . ولكنْ ما بالُ إبراهيمَ النظَّامِ ، وفلانٍ وفلان ، يكتبون الكتبَ لله بزعمِهم . ثم يأخذُها مثلى فى مواقفته [2] ، وحُسْنِ نظَرِه ، وشدَّةِ عنايتِه ، ولا يفهمُ أكثرَها ؟ ! ٤٦

وأقول : لو أنَّ يوسفَ السَّمْتىَّ ، كتب هذه الشروطَ ، أيَّامَ جلسَ سَلْمان بن رَبيعة [3] شهرين للقضاء ، فلم يتقدَّم إليه رجُلان . والقلوب سليمةٌ والحقوق على أهلِها موفَّرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتبَ فى دهره شروطَ سَلْمان ، لكان ذلك غَرارةً ونقصا ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ فى كلِّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناسَ إذا خطبُوا فى صلحٍ بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) بلدنا فى ط : « الموضع » والوجه ماأثبت من ل .

(٢) فى ط : « موافقته » والوجه مافى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سَلْمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

Marfat.com

الشعر بين السِّماطين فى مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّى أتّكل على أنَّك لا تملُّ بابَ القولِ فى البعير حتَّى تخرجَ إلى الفيل ، وفى الذَّرَّة[1] حتَّى تخرجَ إلى البعوضة . وفى العقربِ حتَّى تخرجَ إلى الحيَّة ، وفى الرجل حتَّى تخرجَ إلى المرأة . وفى الذِّبان والنحل[2] حتى تخرج إلى الغِرْبان والعِقْبان . وفى الكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك . وفى الذئب حتَّى تخرجَ إلى السبُع ، وفى الظَّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر . وفى الحافر حتَّى تخرجَ إلى الخُفّ . وفى الخفّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُن . وفى البرْثُن حتَّى تخرجَ إلى المِخلَب . وكذلك القول فى الطير وعامّةِ الأصناف . لرأيتُ أنّ جملة الكتاب[3] . وإنْ كثُر عددُ ورقه . أنّ ذلك ليس مما يُمَلُّ . ويُعتادُ عليّ فيه بالإطالة . لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنّه كتبٌ كثيرة . وكلُّ مُصحَفٍ منها فهو أمٌّ على حِدَة . فإنْ أراد قراءة الجميع لم يَعْمِل عينه إلّا بالبابِ الأوَّلِ حتَّى يهجمَ على الثانى . ولا الثانى حتَّى يهجم على الثالث . فهو أبداً مستفيدٌ ومستطْرِف . وبعضه يكون جماما لبعض . ولا يكون شىء منه زائداً . ومتى خرج من آى القرآن صار إلى الآى . ومتى خرج من الخبر صار إلى خبر . ثم يخرج من الخبر إلى شعر . ومن الشعر إلى رجز . ومن الرجز إلى النوادر إلى حكم عقليّة . ومقاييس سداد[4] . ثم لا يترك من ذلك الباب

(١) فى ط : الذرة صغيرة .
الفيل صغير .
(٢) هذا فى ل ... وفى ب
(٣) فى ط : ... رأيت ... جملة
(٤) فى الكتب : ... ثم

Marfat.com

أن يكون أثقَلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتَّى يفضِيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ، وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ سِيرة الحكماءِ ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل فى القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأَعْرَابَ ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحى والحذف . وإذا خاطَبَ بنى إسرائيل أو حكَى عنهم ، جعلَه مبسوطا ، وزاد فى الكلام . فأسلوبُ العمل اتِّباعُ
٤٧ آثار العلماء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأَخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء فى الكتب)

قال ابن يسير [1] فى صفة الكتب ، فى كلمةٍ له :

أقبلْتُ أهرُب لا آلو مُباعدةً ... فى الأَرض منهمْ فلَم يُحْصِنِّىَ الهربُ

بتصر أوس فما والت خنادقُه ... ولا النواويسُ فالماخورُ فالخَرب [2]

فأيُّهما دونَ منها اعتصمتُ به ... فمِن ورائى حثيثاً منهمُ الطلبُ

لمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزَهم ... فوتاً ولا هَرَبًا ، قرَّبت أحتجِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت فى ط بكسرة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتهما بما فى ل ، وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد الرؤساء الأمويين .

Marfat.com

فصرتُ فى البيت مسروراً بهم جَذِلا ... جَارَ البراءة لا شكوَى ولا شَغَبْ (١)

فرداً يحدِّثنى الموتى وتنطِقُ لى ... عن علمِ ما غاب عنِّى منهمُ الكتبُ

هم مُؤْنِسون وألَّاف غَنِيتُ بهمْ ... فليس لى فى أنيسٍ غيرهم أَرَبُ

لِلّهِ من جُلَسَاءٍ لا جَلِيسهمُ ... ولا عشيرهُمُ للسُّوءِ مرتَقِبُ

لا بادراتِ الأَذَى يخشَى رفيقُهمُ ... ولا يُلاقِيه منهمْ مَنْطِقٌ ذَرِبْ (٢)

أبقَوا لنَا حِكَماً تبقى منافِعُهَا ... أُخْرَى اللياليِ على الأيَّام وانشعبوا (٣)

فأيّما آدبٍ منهم مددتُ يدى ... إليه فهو قريبٌ من يَدِى كَثَبُ (٤)

إن شئتُ من مُحكَم الآثارِ يرفعُها ... إلى النبىّ ثِقَاتٌ خيرةٌ نُجُبُ

أو شئتُ من عَرَبٍ علماً بأوّلهم ... فى الجاهليّة أنبَتْنى به العرب (٥)

أو شئتُ من سِيَرِ الأملاكِ من عَجَمٍ ... تُنبِى وتُخبِرُ كيف الرَّأْىُ والأدبُ

حتَّى كأنِّىَ قد شاهدتُ عصرَهمُ ... وقد مضتْ دونَهم من دهرِهم حِقَبُ

يا قائلاً قصَّرتَ فى العمرِ لهفتَه (٦) ... أمسَى إلى جهلٍ فيما قال ينتسبُ

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعصرهمُ ... خلافَ قومٍ قد بانوا وقد ذهبوا

---

(١) فى الأصل ...

(٢) منقود ...

(٣) فى ط ...

(٤) فى ط ...

(٥) فى ط ...

(٦) ...

Marfat.com

ما مات منا امرؤ أبقَى لنا أدباً نكونُ منه إذا ما مات نَكتسِبُ[1]

وقال أبو وَجْزة[2] وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستِّينَ وَسْقًا :

راحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حقيبتِها ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأَدنى ولا السَّدَدا

ما إنْ رأيتُ قلوصاً قبلَها حَمَلَتْ ستِّينَ وَسقاً وما جابت به بلدَا[3]

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ ٱلدواة والقَلَمْ تبقى ويُفْنِى حادثُ ٱلدَّهر الغَنَمْ[4]

يقول : كتابُكَ ٱلذى تكتبُه علىَّ يبقى فتأخذنى به . وتذهب غنمى فيما يذهب .

(نشر الأخبار فى العراق)

وممَّا يدلُّ على نفع الكتاب ، أنَّه لولا الكتابُ لم يَجُزْ أن يعلمَ أهل الرَّقَّةِ والموصِل وَبغدادَ وواسط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

---

(١) فى ط : « مامات مثل امرئ » والوجه مافى ن .

(٢) فى ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاى ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن .. أظنّ النبى صلى الله عليه وسلم . وكان شاعرا مجيدا ، وهو أول من شبب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة فى ترجمته فى الشعراء ٦٨٤ . توفى أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) ن ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبته من ل . س ومن الكامل ١٠٧ ليبسمك . وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول . وآخر بعد الثانى . . قال المبرد فى شرح البيت الأول : « إنما أراد مايوجب ستين وسقا . لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث الشعر فى الكامل . ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير . فكتبوا إليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنة .

(٤) فى ط : « تعلمى أن » وصوابه فى ل .

Marfat.com

فى بياضِ يوم ، حتَّى تكونَ الحادثةُ بالكوفةِ غُدوة ، فتعلمُ بها أهلُ البَصرة قبلَ المَساء .

[وذلك مشهورٌ فى الحمام الهدَّى، إذا جُعِلت بُرُدا[1] ، قال الله -جلَّ وعزَّ — وذكر سليمانَ وملكَه الذى لم يؤتِ أحداً مثلَه — فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمْ يلبثْ أن قال الهُدْهُدُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ . وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده مَن يبلِّغ الرسالةَ على تمامها . مِن عِفريت . ومن بعض مَن عنده علم من الكتاب . فرأى أنَّ الكتابَ أبين وأنبَلُ . وأكرمُ وأفخمُ من الرسالة عن ظهر لسان . وإن أحاطَ بجميع ما فى الكتاب . وقالت ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدلك على اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة فى أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ الجُلَّة الحكيمة . وبعضُ الأدباء والحكماء . أن يعلم بعضَ من يجرى مجراه فى صناعة الأدب . إلى مأدبة أو خروج إلى متنزَّه . أو بعض ما شاء ذلك . مما [illegible]

(١) جمع برد . والحمام [illegible] أليفة .

(٢) يعنى [illegible]

Marfat.com

إرادته ومعناه ، لأصابَ مَن يُحسن الأداء . ويصدُق فى الإبلاغ ، فيرى أنَّ الكتاب فى ذلك أسرَى وأنبَه وأبلغ .

ولو شاءَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ألاّ يكتبَ الكتبَ إلى كسرَى ، وقَيْصَرَ ، والنَّجَاشىِّ ، والمقوقِس ، وإلى ابنى الجُلَنْدَى[1] ، وإلى العباهلة من حمير ، وإلى هوذَة بن على ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ، ولوجد المبلِّغَ المعصوم من الخطأ والتبديل . ولكنّهُ عليه الصلاة والسلام ، عَلِم أنَّ الكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغُ فى تعظيم ما حواه الكتاب .

ولو شاء الله أن يجعَل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزّ ، علم أن ذلك أتمُّ وأكمل ، وأجمع وأنبل .

وقد يكتب بعضُ من له مرتبةٌ فى سلطان أو ديانة ، إلى بعضِ من يشاكله ، أو يجرى مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتّى يخزمه ويختمه ، وربّما لم يرض بذلك حتى يُعَنْوِنه ويعظمه . قال الله جلّ وعزّ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ فذكر صحفَ موسى المجردة ، وصحفَ إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدارَ النفع ، والمصلحة فى الكتب .

(نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العَين ، وتورث البنين الدين : وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمئونة بالكافة ، وكانت تقول :

---

(١) الجلندى : اسم ملك عمان ، وفى الأصل « بنى الجلندى » والصواب ماأثبته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٨١١ ، وابنا الجلندى هما جيفر - بوزن جعفر - وعياذ (أو عباد) .

Marfat.com

لا تورثوا الابنَ من المال . إلاّ ما يكونُ عوناً له على طلب المال . واغذُوه بحلاوة العلم . واطبَعوه على تعظيم الحكمة . ليصير جمْع العلم أغلبَ عليه من جمع المال . وليرى أنّه العُدَّة والعَتاد . وأنّه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورِّثوا الابن من المال إلاّ ما يسد الخلة . ويكون له عونا على درك الفضول . إن كان لابُدَّ من الفضول . فإنّه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول فى فساده . وإن كان صالحا كان فيما أورثتموه من العلم وبقّيتم له من الكفاية . مايكسبه الحال . فإن الحال أفضل من المال . ولأن المالَ لم يَزَلْ تابعاً للحال . وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول بعرَض فساد . وعلى شفا إضاعة . مع تمام الخُنكَة . واجتماع القوّة . فى قُلّة يا مع غرارة[1] الخداثة . وسوء الاعتبار . وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما اكتسبتَ لا زمان الا ربحه . وأحمد بأصول المنفعة . وعجّل لك حلاوة الغبّة . وبقّى لك الاحدوثة حسنة . وأعطاك عاجل خير وآجله . وظهره وبطنه .

وليس يجمع ذلك إلاّ ثراء الكتب النفيسة . المشتملة على جوامع العلم . والجامعة لفنون الأدب . ذوات الفوائد . وهو ما لا بد .

وحجج الدين التى بصحته . وعند وصوح [illegible] . ومالح المصادر . وبعد انقلاب معده . [illegible] .

وهذه الكتب هى التى تزداد فى الغنى وتشهد [illegible] .

وتعوّدك الأخذ بالثقة . وتحبب [illegible] .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة . منبهة للمورِّث ، وكنز عند الوارث . إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة . ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة . ينقصها ما أخذ منها . كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه . ولا يزال بها المورِّث مذكوراً فى الحكماء ومنوَّهاً باسمه فى الأسماء . وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوبا . فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوبا ممنوعا . ولا تزال تلك المحبَّة نامية ، ما كانت تلك الفوائد قائمة . ولن تزال فوائدها موجودةً ما كانت الدار دار حاجة . ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر . ما كان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من[1] ورَّثته كتابا . وأودعته علما . فقد ورثته ما يُغِل ولا يَستَغِلّ . وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج إلى إثارة[2] . ولا إلى سقى . ولا إلى إسجال بإيغار[3] . ولا إلى شرط . ولا تحتاج إلى أكّار[4] . ولا إلى أن تُثار[5] . وليس عليها عُشر . ولا للسلطان عليها خَرْج . وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم . وسواءٌ دفْعُك إليه الكفايةَ . أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان . فمن لم يقدر إلاّ على دفع السبب . لم يجب عليه إحضار المسبَّب . فكتُب الآباء . تحبيب للأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

---

(١) فى الأصل : من ، والوجه ما أثبت .

(٢) والإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الإيغار هنا بمعنى نحو من المخابرة (والمخابرة أن يزرع الرجل أرض غيره ، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله لا تحتاج إلى إثارة ، فهو تكرار . أو فى الكلام تحريف .

Marfat.com

وقالوا : ومتى كان الأديب[١] جامعاً بارعا . وكانت مواريثه كتبا بارعة وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظا . وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه . ويرى تركه خطأ . وأجدرَ أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطئ له . وأجدرَ أن يسرى إليه عِرقُ مَن نَجَله . وسقى من غرسه . وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب[٢] . النظر فى الكتب . فلا يأتى عليه من الأيّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب . والاختلاف فى سماع العلم . إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنّما تُفسد الكفاية من [له][٣] تمت آلاته[٤] . وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدَث الغرير . والمنقوص الفقير . فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام . ويكمل الطلب . فخير ميراثٍ وُرّث كتبٌ وعلم . وخير المورّثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق . ويبصّر ولا يُعمى . ويُعطى ولا يأخذ . ويجود بالكلّ دون البعض . ويدع ذاك الكنزَ الذى ليس للسلطان فيه حقّ . والرّكاز[٥] الذى ليس للفقراء فيه نصيب . والنِّعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة . ولا للمُنغّص فيها رغبة . وليس لمخصم عليك فيه حجّة . ولا على الجار فيه مَئونة .

(قول ديقراط فى تأليف كتب العلم)

وما ديقراط فإنه قال : ينبغى أن يعرف [illegible] كتاب من وضعه الحكماء ثانية او [illegible] والنسخة . والصحّة . والتصنيف . والتأليف . والإملاء . [illegible]

(١) [illegible] الأديب الأدب .

(٢) [illegible] الحسب .

(٣) [illegible] زيادة فى الأصل [illegible] .

(٤) [illegible] وإنما [illegible] .

(٥) [illegible] .

Marfat.com

تكون لصاحبه همّة . وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنْسَب إليها . وأن يكون صحيحاً . وأن يكون على صِنف من أصناف الكتب معروفا به . وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة . وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة . وأن يكون له تدبير موصوف .

فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه فى هذا الكتاب ، وهو كتابه الذى يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة فى شأن الكلب)

وقولك : وما بلَغ من قدر الكلب مع لؤم أصله . وخُبث ضبعه . وسقوط قدره . ومهانة نفسه . ومع قلّةِ خيره وكثرة شره . واجتماع الأمم كلّها على استسقاطه . واستذاله . ومع ضربهم المثل فى ذلك كلّه به . ومع حاله التى يعرف بها . من العجز عن صولة السِّباع واقتدارها . وعَن [1] تمنُّعها وتشرُّفها ، وتوحُّشها وقلة إسماحها . وعن مسالمة البهائم ومواددتها . والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها . إذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها . ولا الاحتيال لمعاشها . ولا المعرفة بالمواضع الخريزة من المواضع المخوفة ، ولأنّ الكلب ليس بسبع تام . ولا بهيمة تامة . حتّى كأنه من الخلْق المركّب والطبائع المفترقة . والأخلاط المختلفة . كالبغل الماخوذ فى أشكاله . الكثير العيوب المتولّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما جاذبته الأعراق المتضادّة . والأخلاق المتفاوتة [2] . والعناصر المتباعدة . كالزاعىّ من الحمام . الذى ذهبت عنه هداية الحمام .

---

(١) فى الأصل : « ومن » .
(٢) فى الأصل : « المتفاوة » .

Marfat.com

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الوَرَشان ، وقوّة جناحه وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشَحْو[1] حلقه ، وشكل لحونه ، وشدّة إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفى الراعبى أنّه مُسرْوَل مثقل . وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمّه .

وكذلك البغل . خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما . ويعيش نتاجُهما ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم . ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر . فلو كان البغل عقيما . والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيَدَ فى قوتهما . وأتمَّ لشدتهما ، فمع البغل من الشَّبَق والنَّعظ ما ليس مع أبيه . ومع البغلة من السَّوَس[2] . وطلب السفاد ما ليس مع أمّها . وذلك كلُّه قدح فى القوّة . ونقص فى البنية[3] . وخرج خرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله . فترك شبههما . ونزع إلى شىء ليس له فى الأرض أصل . وخرج أطول عمراً من أبويه . وأصبرَ على الانتقال من أين .

أو كابن المذكّرة من النساء . والمؤنث من الرجال . فإنه يكون أقل نتاجا من البغل . وأفسد أعراقاً من السّمع . وأكثر ميلا من الع

ومنْ كلّ خلق خلق إذا تركب من خلقٍ . و

وليس يعترى مثلُ ذلك الخلاسىّ من

من الحمر .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

وكلُّ ضعف دخل على الخلقة ؛ وكل رقَّة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه . يظهر العجزُ والعيب .

وزعم الأصمعيُّ ، أنّه لم يسبق الحلبةَ فرسٌ أهضم قط .

وقال محمد بن سلاّم : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء[1] .

والهداية فى الحمام ، والقوَّة على بعد الغاية[2] . إنما هى للمصْمَتَة من الحُضر[3] .

(الشيات فى الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشِّياتِ كلَّها ضعف ونقص - والشِّيَة : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلّ وعزّ ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم[4] أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه . فتجتمع فيه عظامُ الدواهى ، وأعيان المساوى ، وأنّه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يَطمع فى علاجه طبيب ، وأنّه رأى فى دور ثقيف . فتًى اجتمعتْ فيه هذه الخصال . فما كان فى الأرض يومئذٍ ، إلّا وهم يتحدثون عنه بشىءٍ ، يصغُر فى جنْبِه أكبرُ ذنبٍ كان يُنسب إليه !

---

(١) [illegible] الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) [illegible] يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) مصمتة ! التى لا يخالط لونها لون آخر .

(٤) [illegible] بن صخر الثقفى ، [illegible] فى الأغانى (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

Marfat.com

وزَعَمْتَ أنَّ الكلب فى ذلك كالخنثى ، الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَر فحلا ، خرجَ من حدِّ كمال الذكَر بفقدان الذكَر ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ، وبقيّةِ الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أنَّه يصير كالنبيذ الذى يفسده إفراطُ الحرّ ، فيخرجه من حدّ الخل ، ولا يدخلُه فى حدّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام[1] :

سَقَينا عِقالاً بالثَّوِيّةِ[2] شَرْبةً ... فمالت بلُبِّ الكاهلىِّ عِقال

فقُلتُ اصطبِحْها يا عِقالُ فإنَّما ... هى الخمرُ خيَّلْنا لنا بخيال

رَمَيْتُ بأمِّ الخلِّ حبَّةَ قلبِه ... فلم يلتعش منها ثلاثَ ليال

فجعل الخمر أمَّ الخلّ قد يتولد عنها . وقد يتولّد عن الخل ، إذ كان خمرة — الخمرْ .

وقال سعيد بن وهب[3] :

هلاَّ وأنت بماء رجليك تُشتَهى ... ورْدُ الشباب قليلَ شعْرِ العارِض!

فالآن حين بلغتْ بخلك غيه ... ذهبتْ بضحك مثل كف القابض

مثل السلافة عاد خمرُ عصيرها ... بعد اللذاذة خلَّ خمر حامض

ويصير أيضا كالثلج البارد ، والماء البارد ، والشجرة الخضراء ، التى

(١) فى الأغانى ... (٢) ... (٣) ...

Marfat.com

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السِّن . ولم تخرُج من البرد إلى الحر فتضحك السِّن [1]] .

باب

ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاء

وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ريح مُنتِنةٍ ، وكُلُّ ذى دَفَرٍ وصُنَانٍ كريهِ المشَمَّةِ [2] . كالدَّسر وما أشبهه . فإنَّه متى خُصِى نقَص نتْنه وذهبَ صُنانه . غيرَ الإنسان . فإنَّ الخصىَّ يكون أنتنَ . وصنانُه أحدَّ . ويعمُّ أيضاً خبْثُ العرقِ سائرَ جسَدِه . حتى لتُوجَد لأجسادهمْ رائحةٌ لا تكون لغيرهم . فهذا هذا .

وكلُّ شىءٍ من الحيوان يُخصَى فإنَّ عظمَه يدِقُّ . فإذا دقَّ عظمُه استرخَى لحمه . وتبرَّأ من عظمه . وعاد رَخصاً رطْباً . بعد أن كان عَضِلاً [3] صُلْباً . والإنسان إذا خُصِىَ طال عظمُه وعرُض . فخالف أيضا جميعَ الحيوان من هذا الوجه .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ . واعوجاج فى أصابع اليد . والتواءٌ فى أطابع الرِّجْل . وذلك من أوَّلِ طعْنهم فى السنّ . وتعرِض لهم سرعة التغيُّر والتبدُّل . وانقلاب من حدّ الرطوبة [4] والبضاضة وملاسة الجلد . وصفاء اللون ورقَّته . وكثرةِ الماء وبريقه . إلى التكرُّش والسكمود .

---

(١) هذه نهاية الفصل الذى ابتدأ من ص ٩٧ .

(٢) ق ط : ... وقبل ذى ذفر وسنان وكريه المشمة ... وهو كلام مخرف .

(٣) ق ل : ... عضلا ، والوجه ما كتبت عن ط .

(٤) ق ل : ... والانقلاب من حد الرطوبة .

Marfat.com

وإلى التقبُّض والتخدُّد[١] . وإلى الهُزال . وسوء الحال . فهذا الباب يعرِض للخصيان . ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة[٢] مِن أهل الزرع والنخل . لأنَّكَ ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى لونه[٣] . وكأنَّه مِرْآة صينيَّة . وكأنه وَذيلة مجلوَّة . وكأنه جُمَّارَة رَطْبة . وكأنه قضيبُ فِضَّة قد مسَّهُ ذهب . وكأن فى وجناته الورد . ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْئات[٤] يسيرةً . حتى يذهبَ ذلك ذَهابا لا يعود . وإن كان ذا خصب . وفى عيش رَغَد . وفى فراغ بالٍ . وقلَّةِ نصَب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ . قوله فى الخصى .

وكان لغلبة السلامة عليه يتوهَّم عميه الغفلة . وهو الذى ذكر التقبير مرة فى قصصه فقال : التقبير رقته مألفة . وورده علقة . وجرْدقته فلقة . وسمكته ملقة[٥] . [illegible]

قالوا : ثم ذكر الخصىَّ فقال : إذا قامت خصيان . [illegible]

وسخُنت نعلته . ولانتْ جلدته . [illegible]

وكثُرت دعوته ! !

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

وقالوا . الخصىُّ لا يصلَح كما لا تصلَح المرأة ، وإذا قطع العضوُ الذى كان به فحلاً تامًّا . أخرجه ذلك من أكثرِ معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال . صيَّره كالبغل الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصيرُ طباعُه مقسومةً على طباعِ الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُص له الخلقُ ولم يَصْفُ . حتّى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء . ولكنَّه يقع ممزوجا مركبا ، فيخرج إلى أن يكون مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغْل عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام[1] .

(طلب النسل)

وقالوا[2] : وللإنسان قوًى معروفةٌ لمقدارٍ . وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوهِ حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها . لا يجوزُ تعطيلُها وتركُ استعمالِها ، ما كانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكَح من أكبرها ، وأقواها ، وأعمِّها .

ويدخل فى باب المنكَح ما فى طبائعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابه عظيم ، فمنهم من يطلبه للكثرة والنُّصرة . وللحاجة إلى العدد والقوّة . ولذلك استلاطت العربُ الرجالَ . وأغضتْ[3] على نسب المولود

---

(١) فى ط : « ... وهو كما ... » .

(٢) فى ط : « قال ... وله وجه ما » ل .

(٣) أغضت : ما لفظ ... كتب . وفى ط : وأغضيت ... وله وجه ما كتبته من ل .

Marfat.com

على فراش [أبيه][1] ، وقد أحاط علمُه بأنَّه من الزوج الأوَّل. قال الأشهب ابن رُمَيلة[2] :

قال الأقاربُ لا تغرُرْكَ كثرتُنا ... وأَغْنِ نفسَكَ عنَّا أيها الرجُلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرتَهم ... والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْباناً فيكتهل[3]

وقال الآخر[4] :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ... أفْلَحَ مَنْ كان له رِبْعِيُّونْ

يشكو كما ترى صِغَرَ البنين ، وضعف الأسر[5] .

وما أكثر ما يطلب الرجل الوَلَدَ نفاسةً بماله على بني عمّه ، ولإشفاقه من أن تليه القضاةُ وترتع فيه الأمناء ، فيصيرَ مِلكًا للأولياء ، ويقضيَ به القاضي الذِّمامَ ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكر ، ولرغبته في العقب ، أو على جهة طلبِ الثواب[6] في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ، أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنُّصْرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان .

ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبّ الذُّرِّيَّة وكثرة النسل ، [...] ٥٠

---

(١) في الأصل : « على ... وبلغت ... في ... »
وعلى الأصل أيضا لا نجد لفسير (...) ... جمع ...
(٢) وقيل الشعر للهيثم بن حنش كما في البيان ... والبيان ...
(٣) في البيان : « ... فصبهم ... في ط ... »
من ... والبيان . والنبع ...
(٤) هو أكثم بن صيفي ... في ...
إذا ترك النساء شبابهن ... »
« والربعيون : الذين ... »
« فصحيحه من ... »
(٥) في ط ... السن
(٦) في ط ... السن

Marfat.com

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك . وإن كان إذا جاءه الولد زاد فى هَمِّه ونصبه . وفى جُبْنِه وبخله . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل فى الولد المُؤَن المعروفة . والهموم الموجودة لغير شىء قصد له . وليس فى ذلك أكثرُ من طلب النطباع . ونزوع النفس إلى ذلك .

وذكر أبو الأخزر الحِمَّانى غير العانة [1] بخلاف ما عليه أصحابُ الزَّواج من الحيوان . فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبتَغِى الذرْء ولا بالعازِلِ [2]

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المُزَاوِج . إذا كرِهَ الولدَ عزَل . والمزاوج من أصناف الحيوانات إنَّما غايتُها طلبُ الذرْء [3] والولد . لذلك سُخِّرت . وله هُيِّئت . لِمَا أراد اللهُ تعالى من إتمامِ حوائِج الإنسانِ . والحمارُ لا يطلبُ الولدَ . فيكون إفراغه فى الأتان لذلك . ولا إذا كان لا يريد الولد عزَل كما يعزل الإنسان . غير أنَّ غايتَه قضاءُ الشهوة فقط . ليس يَخْطُر [4] على باله أنَّ ذلك الماءَ يُخلَق منه شىء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس فى البهائم شىء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامَّة اكتساب الرجال وإنفاقهم . وهمِّهم وتصنُّعهم . وتحسينهم لما يتملكون . إنَّما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء . ولو لم يكن إلاَّ التنمُّص [5] والتطيُّب والتطوُّس [6] [والتعرُّس [7]] والتخضُّب ،

---

(١) فى ط : « فذكر أبو الأخزر الحمانى غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف المشهورة .

(٢) فى ط : « لا مبتغى نتر ولا بالعازل . وفى ل : « النزء ولا العزل » والوجه ما أثبت .

(٣) فى ط : « النزء » .

(٤) فى الأصل : « يفكر » .

(٥) التنمص : نتف الشعر . والمتنمصة : المزينة بذلك والمطلوب .

(٦) التطوس : التزين . . وفى ط : « التطوس » وفى ط : « التطاوس » وليس بشىء .

(٧) التعرس : التحبب .

Marfat.com

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصِّبغ . والحَلْى . والكِساء . والفُرُش . والآنية . لكان فى ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها . وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها . لكان فى ذلك المؤْنة العظيمة . والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شرّه الخصى)

فإذا بطل العضوُ الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة . من اللذّة والألم . فباضطرار أنْ تعلمَ أنّ تلك القوى لم تبطل من التركيب . ولم تعدَمْها الخالقة . وإنما سُلّط دونها بسلّ . وأدخل عليها حجاب . فلا بدّ لها إذا كانت موجودة من عمل . لأنّ عمل كلّ جوهر لا يعدَم إلاّ بعدم ذاته . فإذ صُرفت من وجه فقد [illegible] ولا سيما إذا جمحت ونزعت . [illegible] وضمّت . [illegible] الوقع كلوقع [illegible] عليه باب مسلّح . [illegible] باب وحد كان [illegible] آكل من [illegible] قد [illegible]

Marfat.com

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن[1] أبواب الاستمراء ، والحركةَ من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور فى الطعام)

ودوامُ الأكل فى الإناثِ أعمُّ منه فى الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون المَرَس . وكذلك الرَّمَكة دونَ البِرذَون ، وكذلك النعجة[2] دونَ الكبش ، وكذلك النساءُ فى البيوت دونَ الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ فى المجلسِ الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنَّها تستوفى ذلك المقدارَ وتُربِى عليه مقطَّعاً غيرَ منظوم ، وهى بدوامِ ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامِها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْنَ الصبيانَ فى هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبىِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلَب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطُّعْم ، فللمرأةِ كثرةُ معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصير للخَصىِّ نصيبان : نصيبُه من شِبْه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوتيه فى بابٍ واحد ، أعنى شهوةَ المنكَح التى تحولت ، وشهوةَ المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أىُّ شىء آكَلُ ؟ قال : بِرْذَونَةٌ رَغُوث[3] .

ولشدَّةِ نَهَمِ الإناث ، صارت اللبؤة أشدَّ عُرَاماً وأنزقَ ، إذا طلبت الإنسانَ لتأكله ، وكذلك[4] صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أصيَدَ] ،

---

(١) فى الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) فى ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر فى البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) فى الأصل : « ولذلك » .

Marfat.com

كالإناثِ من الكلاب [والبُزاةِ] وما أشبهَ ذلك . وأحرصَ ما تكون عندَ ارتضاع جِرائها [من أطبائها] . حتَّى صار ذلك منها سبباً للحرص والنَّهم في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضوِ تغيُّرُ الصوت . حتى لا يخفى على من سمِعه من غير أن يرى صاحبَه أنَّه خَصِيٌّ . وإن كان الذى يخاطبه ويقابله الكلام أخاه أو ابنَ عمِّه . أو بعضَ أترابه مِن فحولة جنسه . وهذا المعنى يعرض لخِصيان الصقالِبَة أكثر ممَّا يعرض للخراسانية . ولمن هو من السِّنْد والحَبْشان . وما أقلَّ مَن تجده ناقصاً عن هذا المقدارِ . إلَّا وله نبضة أو عِرْق . فليس يُحتاج فى صحَّة تمييز ذلك . ولا فى دقَّة[1] حِسِّ فى ذلك إلى حِذقٍ بقيافة . بل تجد ذلك شائعاً فى طباع السَّفلة والغَثَرة[2] . فى الخصيان الصِّبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خُصِى قبل الإنبات لم يُنْبِتْ . وإذا خُصِى بعد [illegible] الشعر فى مواضعه . تساقط كلُّه إلَّا شعر العانة . فإنه وإن خُصِى [illegible] ومقدار عدده فإنَّ الباقى [illegible] ولا يعرض ذلك [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة . وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شَعرِ الرأس خلافُ حكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه من باب القول فى الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شَعر النساء . والخصيان والفحولة فيه سواء . وإنما يعرض لسوئى ٥٢ ذلك من الشعر الحادثِ الأصول : الزائدِ فى النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلَعُ . فناسبها [الخصىُّ] من هـذا الوجه . فإنْ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرَع . لامن جهة النَّزَع والجَلَح . [والجَلَه] والصَّلَع (١) وكذلك النساء فى جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان فى قُصَاص مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع . وليس ذلك بنزعٍ ولا جلَح . إذا لم يكن ذلك حادثا يُحدثه الطعنُ فى السنّ .

وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصاصه . كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصاصها . وليس شعرُها كلما دنا من موضع الملاسَة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلَّ . ولكنه ينبُت فى مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد . ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء . وتكون لها شَعَرَاتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالعذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخَصى إلا من علة فى الخصاء . ولا يرى أبداً بعد مقطَع من مكانه شيءٌ من الشَّعر . لا من رقيقه ولا من كثيفه .

---

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . والجلح : انحساره عن جانبى الرأس . والجلَه والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

Marfat.com

(ذوات اللحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك . وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدَّهاقين . وكذلك الغَبَب والشارب . وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بخُنْثى . بل [بَجِدها] أنثى تامَّة . إلا أن تكون لم تضرِب في ذلك بالسبب الذى يقوَى . حتى يظهر في غير ذلك المكان . [ولا تعرض اللحى للنساء . إلا عند ارتفاع الحيض]. وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهلُ بَغداد . أنَّه كان لابنةٍ من بنات محمَّد بن راشد الخنَّاق . لحيةٌ وافرة . وأنَّها دخلت مع نساءٍ متنقِّبات إلى بعض الأعراس لتَرَى العُرس وحلْوَةَ العَرُوس . ففطنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال[1] الخدم والنساءُ عليها بالضرب . فلم تكن لها حيلةٌ إلا التكشف عن فرْجِها . فنزَعن عنها[2] وقد كادت تموت .

ويفضل أيضا الخصىُّ المرأة في الأشعر والزَّعر . بأن تجد [ ] الذراعين والساقين . وتجد [ ] المرأة في الشعر كالذى [ ] ويعرض هذا الشعر في إبطيها [ ] ذلك .

[ ] يعرض بالخصى [ ] عرفه وطيبه .

والخصاء ينقص من [ ] ينقص [ ] معاقد العضب . ويقرب [ ]

---

(١) [ ] فأقبل .

(٢) [ ] فتكشفت .

(٣) [illegible] .

(٤) [illegible] .

Marfat.com

(مشى الخصى)

ويعرِض للخصىِّ أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السَّطح . حتى لو تفقَّدتَ وقعَ قدمه وقدَم أخيه الفحل [الذى هو أعبلُ[1] منه] لوجدتَ لوقْعِه ووطْئه شيئاً لاتجده لصاحبه . وكأنَّ العضوَ الذى كان يشدُّ توتير النَّسَا[2] . ومَعاقد الوركين[3] ومعاليق العصب . لَمَّا بطل وذهب الذى كان يمسكه ويرفعه . فيخفّ لذلك وقْعُ رجلِه . صار كالذى لايتماسَك ولا يحمل بعضه بعضا .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أنَّ أخوين صَقْلَبِيَّيْنِ مِن أمّ وأبٍ . لو كان أحدُهما توأمَ أخيه . أنَّه متى خُصِىَ أحدُهما خرَج الخصىُّ منهما أجوَدَ خِدمةً . وأفطن لأبواب المعاطاة والمُناولةِ . وهو لها أتقَنُ وبها أليق . وتجده أيضاً أذكى عقلا عند المخاطبة . فيُخصُّ بذلك كلِّه . ويبقى أخوه على غثارة[4] فطرته . وعلى غباوة غريزته . وعلى بلاهة[5] الصَّقْلَبيَّة . وعلى سوءِ فهم العجَميّة .

ويدُ الإنسان لاتكون [أبداً] إلا خرْقاء . ولا تصير صَناعا مالم تكنْ

---

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشتد يشد توتير النسا » وفى ل : « وكأن العضو الذى كان يشد توتير عرق النساء . وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق النسا . وإنما هو « النسا » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشىء .

(٤) فى ط : « مشوهة » وفى ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ماأثبت . والأعثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل : لئلا تتساوى الكلمات .

Marfat.com

المعرفةُ ثِقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأَ . ذاهباً فى طريق البيان . متصرفاً فى الألفاظ . إلا بعد أن تكونَ المعرفةُ متخلِّلَةً به . منقّلة له . واضعةً له فى مواضع حقوقِه . وعلى أماكن حظوظِه . وهو علّةٌ له فى الأماكن العميقة . ومصرِّفةٌ له فى المواضع المختلفة .

فأوّلُ ماصنع الخصاءُ بالصَّقْلَبِىِّ زكيةُ عقلهِ . وإرهافُ حدِّه . وشحْذُ طبعهِ . وتحريكُ نفسه . فلما عرَف كانت حركته تابعةً لمعرفته . وقوَّته على قدر ما هيّجه[1] .

فأمّا نساءُ الصقالبة وصبيانهم . فليس إلى تحويل طبائعهم . ونقْل خلْقتهم إلى الفطنة الثاقبة . وإلى الحركَة الموزونة . وإلى الخدمة الثابتــة الواقعة بالموافقة . سبيلٌ . وعلى حسَب الجنْس يكون الخُرْق . وعلى حسب المعرفة يكون الحذق . وهذا جملةُ القول فى نسائهم . وعلى أنّهنّ لا يحظوْن عند الخلوة . ولا نفاذ لهنّ فى صنــاعة . إذ كنّ قد يُبعَدْن فيهم عن اصطناع ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جــودة آلاتهم ووفارة صنعهم فى معرفــة باب الخدمة . وفى ستواء حالهم فى باب الاصطناع . ومع ما يجمعهم من نقاء وضاعة نسب إلى بعض الشفقة . وتعداد الى قلة [illegible] يعرفون بفعلهم الرديّة . والعهود بهذه الفحــولة . الا [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

Marfat.com

إلاَّ أنَّ الخصىَّ من صباه . يُحسِن صنعة الدُّبُوق[١] . ويُجِيد دُعاءَ الحمام الطُّوَّرِىِّ[٢] . وما شئتَ من صغار الصناعات .

وقد زعم البصريُّون أن حَديجاً[٣] الخصىّ ، خادمَ مُثَنَّى بن زُهَير ، كان يُجارى[٤] مُثَنَّى فى البصَر بالحمام . وفى صحّة الفِراسة . وإتقان المعرفة ، وجودة الرياضة . وسنذكر حاله فى باب القول فى الحمام إن شاء الله تعالى .

٥٤ هذا قولهم فيمن خُصى من الصقالبة . وملوكُنا لعقول خِصيان خُراسانَ أحمد . وهم قليل . ولذلك لم نأتِ من أمرهم بشىءٍ مشهور ، وأمر مذكور .

(خصيان السند)

وأما السِّند . فلم يكن فيهم أيضاً من الخِصيان إلاّ النَّفرُ الذين كان خصاهم موسى بنُ كعب . وقد رأيت أنا بعضَهم . وزعم لى أنَّه خَصَى أربعةً هو أحدهم . ورأيتُ الخِصاء . قد جذبَه إلى حبِّ الحمام ، وعمل التكك[٥] . والهراش بالديوك . وهذا شىءٌ لم يُجْرِ منه على عِرق . وإنما قاده إليه قطعُ ذلك العضو .

---

(١) الدبوق . هنا : جمع دبق بالكسر . وهو والدابوق والدايوقاء : غراء يصاد به الطير . والدبوق كتنور قال فى القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة فى هذا الكلام .

(٢) فى ط : « الصوارى » وفى ل : « الصوار » وصوابهما « الطوزى » وهو الوحشى .

(٣) فى ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت ما فى ل و س .

(٤) فى ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك . ويبدو لى أنها معربة . كما صرح بذلك الخليل فى شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

Marfat.com

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأمَّا الخصيان من الحُبْشان والنُّوبة وأصناف السودان . فإنّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم . وينقُصهم ولا يزيدهم . ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم . كما يزيد الصقالبةَ عن مقادير إخوتهم . لأن الحبشيَّ متى خُصِي سقطَتْ نفسه . وثقُلت حركته . وذهب نشاطه . ولا بدَّ أن يعرض له فساد . لأنه متى استُقْصِى جِبابُه لم يتماسك بوله[1] . وسلُس مخرجه . واسترخى المسك له . فإن هم لم يستقصوا جِبابه . فإنما يدخل الرجل منزلة مَن له نصفُ ذلك العضو[2] . وعلى أنك لا تجد منهم خَصِيا أبداً . إلاّ وبِسُرَّته بُجْرَةٌ ، ونفخة[3] شنيعة . وذلك عيبٌ شديد . وهو ضرب من الفتق ، مع قُبحِه فى العَين . وشُنْعَته فى الذكْر . وكلُّ ماقبح فى العين فهو مؤذٍ . وكل ماشنع فى النفس فهو مؤذٍ . وما أكثرَ ماتجد فيهم الأطلع[4] . وذلك فاشٍ فى باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدْلا . وكانت لشافرِ متنحيه . كانت أظهر تطلع . وهو ضرب من البرص . والبياض الذى يعترض لغرر الخيل وخُصَاها[5] . ضربٌ أيضا من البرص . وربما عرض على حشفةِ قضيب المختون . إمَّا لطَبَع الحديد . وإمَّا لقرب[6] عهده بالختان وسقْيِ الماء . إلاّ أنّ ذلك لا يعدو مكانه .

---

(١) فى ط : ... يتماسك به ... حتى ...

(٢) فى ... نقص ... ...

وكلما عظمت الخشفةُ انبسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها . وإنَّما ذلك كالبياض الذى يعرِض من حَرْق النـــار وتشييطها[1] . وكالذى يعرض للصقالِبَة من التَّعالُج بالكيِّ . وربَّما اشـــتدَّ بياضُه حتى يفحُشَ ويُرديه[2] . إلا أنَّه لا يفشو ولا ينتشر . إلاَّ بقدر ما ينبسط مكانه . ويتحوَّل صاحبه رِجْلاً . بعد أن كان صبيًّا[3] . وليس كالذى يعرِض من البلغم ومن المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن . وبعضُـــه لا يذهب ولا يقف . بل لا يزال يتفشَّى ويتَّسع حتى ربَّما سلخه . ولا يذهب إلاَّ بأنْ يذهب به نبى[4] . فيكون ذلك علامةً له . ومن البهق الأبيض مايكاد يلحق بالبَرَص[5] . ولكن الذى هوَّن أمره الذى ترونَ من كثرةِ بُرءِ الناس منه .

٥٥ ثمَّ الخصاءُ يكونُ على ضروبٍ . ويكون فى ضروب . فمن ذلك ما يعرض بعدَ سكِبَر للأحرار . كما يعرض للعبيد . وللعرب كما يعرض للعجم . كما خصى بعضُ عَبَاهلةِ اليمن[6] علقمةَ بنَ سهلٍ الخصىّ .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنَّما قيل لعلقمة بن عَبَدَةَ الفحلُ . حين وقعَ على هذا اسمُ الخصى .

---

(١) ر ص : ... .

(٢) ... أى يجعله رديئا ويفسده .

(٣) ... رجلا ، يكسه ... من ترجمة بعض لراء : بياض فى ... . أم صبيا فلعبيا ... . والمخصيت : الذى لا يخالط

(٤) ... ويكاد عيسى ... سلخه يذهب الأكمه

(٥) ... مستحقا بالبرص » .

(٦) ... .

Marfat.com

وكان عبـداً صالحا . وهو كان جَنَبَ الجديل[1] وداعراً ، الفحلين الكريمين ، إلى عمان . وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة ابنِ مَظْعونٍ فى شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمرِ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أتَقبَلُ شهادةَ الحصىِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبَلُ .

، وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة . فلمَّا سمّوه الحصىّ . قالوا لعلقمةَ بن عبدة : الفحل . وعلقمةُ الحصىّ الذى يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثَّتى[2] ولن يعـدَم الميراثَ منّى الموالِيـ
حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قَبْلَهم هَنِيئاً لهمْ جَمْعِى وما كنتُ والِيـ
ودُلِّيتُ فى زَوْراءَ ثُمَّتَ أعنَقوا لشأنِهمُ قَدْ أفْرَدُونِى وشانِيـ
فأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى . وكانَ المالُ بالأمس مالِيـ

وكما عرَضَ للدَّلال ونَومةِ الضُّحى . من خصماء عُثمانَ بن حيّان [المرّىّ] والى المدينة هنا . بكتاب هشام بن عبد الملك[3] .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فمن بنى مروان من يلمس أن عمرو بن عثمان ... يكن ... فى الكتاب : أحص من ... من ... فيك ... : أحص من فيك من

(١) ذو ... .

Marfat.com

المخنَّثين» . وذكر الهيثمُ عن الكاتب الذى تولَّى قراءة ذلك الكتاب ، أنَّه قال : وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمةً بنقطةٍ . كأنها سُهيل [أو تمْرةٌ صيحانية[1]] ؟ ! فقال اليقطرى[2] : ما وجْهُ كتابِ هشام فى إحصاءِ عدَد المخنَّثين ؟ وهذا لا معنى له . وما كان الكتابُ إلاّ بالخاء المعجمة دون الحاء المهملة . وذُكِر عن مشايخَ من أهل المدينة أنهم حكَوا عنهما أنهما قالا : الآن صِرنَا نساءً بالحقّ ! ! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارَا أن يكونا امرأتين ! قال : وذُكِر أنهما خرجا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث ، من فُتورِ الكلام ولِين المفاصل والعظام ، ومن التفكُّك والتثنِّى . إلى مقدار لم يرَوا أحداً بلغه . لا من مخنَّثات النساء . ولا من مؤنَّثى الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرَض لأبى همـام السَّنُوط[3] مِن امتلاخِ اللُّخم مذاكيرَه وخصيَيه[4] . أصابَه ذلك فى البحر فى بعضِ المغازى[5] . فسقطت لحيته . ولقّب بالسَّنُوط . وخَرَج لذلك نَهِماً وشَرِهاً .

---

(١) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم كبش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب إلى صيحان . وفى قطعة الأمبروزيانا : « كأنها تمرة » بنقط .

(٢) فى ط . ل . من . والامبروزيانا : اليقطرى » بالباء . وقد كتب بالياء فى مواضع متعددة من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ١٧٣ وجعله خرقا بالسوط . والسنوط بالفتح والتخفيف : الأحمق لا خلية له أصلا ، أو الخفيف العارضين .

(٤) فى ط : « من امتلاخ لحم مذاكيره وخصيه » وهو تحريف صوابه فى ل . وجاء فى القاموس : اللخم بالضم : سمك بحرى . وقد ضبط فى معجم المعلوف ص ٢٢٥ باللخ سهوا . قال : وهو يعرف بالترش فى سواحل البحر الأحمر .

(٥) فى ل : « أصابه ذلك فى البحر سمكة فى بعض المغازى » .

Marfat.com

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُه لا يحمل إلاّ الرُّطَب . وبعضُه لا يحمل إلاّ التمرَ ، وبعضُه لا يحملُ إلاّ المجزَّع [1] ، وبعضُه لا يحمل إلاّ البُسر . ٥٦
وبعضُه لا يحمل إلا الخلَال . وكنّا متى تناولْنا من الشِّمْراخِ بُسْرَةً . خلقَ اللهُ مكانها بُسرَتين . لَمَا كان بذلك بأس ! ثم قال : أستغفرُ الله ! لو كنتُ تمنيّتُ أن يكونَ بدل نواةِ التمر زُبدة كان أصوَب ! !

ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التى تعرِض للمذاكير والخصيتين . حتى ربما امتلخَهما طبيبٌ . وربّما قطَع إحداهما . وربما سقطتا جميعاً من تلقاءِ أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أنّ الولدَ إنّما يكونُ من البيضة اليسرى [2] . وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن علىٍّ ومواليهم . أنّ ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزلىّ . إنّما وُلِد له بعد أن نُزعت بيضتُه اليسرى . لأنه كان عرض له .

والخصىُّ الطيّان . الذى كان فى مسجد أبى زحبان [3] . وُلد له غلام . وكان ليس له إلاّ البيضة اليمنى . فجاء أشبه خلقِ الله بالغراب والغراب بالغرابِ . ولو أبصرَه أجهلُ خلقِ الله تعالى علم أنه من قِيافةِ . ومن خالَطَةِ الخصيين . أو من خالطة الأبوين .

---

(١) في ط . [illegible]

(٢) [illegible] ٣٣٠

(٣) في ط : [illegible]

Marfat.com

وخلاصته . لا يحتاج فيه إلى مجزِّز المُدْلِجِيّ[1] . ولا إلى ابن كريز[2] الخُزَاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصى ابنَه ويقفُه على بيت العبادَة . ويجعله سادِناً ، كصنيع الرُّوم . إلا أنهم لا يُحدثون فى القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين . كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحبالَ نسائهم ورواهبهم[3] فقط ! ! فأما قضاءُ الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلُغون من ذلك مبلغا لا يبلُغه الفحل . كأنهم يزعُمون أنه يستقصى جميعَ ما عِنادها ويستَجْلبه ، لفَرْط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خِصاءٍ فى الدنيا فإنما أصلُه من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى . وهم يدّعون من الرأفة والرحمة ، ورقّة القلبِ والكَبِد ، ما لا يدّعيه أحد من جميع الأصناف . وحسبك بالخِصاء مُثْلةً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جرَم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طلب النسل وتذكُّر الأحقاد ، عالمٌ يظُنُّ به عندهم ، ولا خافوه من قِبَلِهم ،

---

(١) [illegible] ثقة كان فى [illegible] والقدوس والإصابة . وهو صحابى [illegible] كان أول [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] والرواهب جمع راهبة .

Marfat.com

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانْ يَنْكِلون ؛ لأنَّ الرِّماية فيهم فاشية . وإن كان الخصيُّ أسواراً بلغَ منهم[1] ، وإن كان جمع معَ الرماية الثَّرْوة . واتخذ بطَرَسُوس ، وأذَنَة ، الضِّياعَ واصطنعَ الرجال ، واتخذ العُقَد المُغِلَّة[2] فضرَّة كلِّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بمَضَرَّةِ قائدٍ ضخم . ولم ترَ عَداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة فى النســاء .

وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضَعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا . وهذه خصلةٌ كريمة مع طالب المثوبة ، وحسن الأحدوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون . فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفسَه . فهو فى هذا الموضع قد تقدم الرومىَّ . فيما أظهرَ من حُسْن النيَّة ، وانتحل من الديانة والعبادة . خصاء الولد التامِّ[3] . وبإدخاله النقصَ على النَّسل . كما فعَل ذلك أبو المبارك الصابى . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويستدعون دعــوته ، ويسمعون عندهم . لَلَّذى يجدونه عنده من الفهم والإفهام . وطُرَف الأخبار . وغرائب الكتب . وكان قد أربى على المائة . ولم أسمعْ قطُّ بأغزل دعــوة . وإنْ كان يصدُق عن نفسه فما فى الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبيض منه ... وبالكسر : فائد الفرس ، والجيد الرمى بالسهم .

(٢) فى ط : « واتخذ العقد العبيد لغلته ... ».

(٣) فى ط : « خصاء الولد ».

Marfat.com

(حديث أبى المبارك الصابى)

حدَّثنى محمد بن عباد قال : سمعتُه يقول — وجرى ذكرُ النساءِ ومحلِّهن من قلوب الرجال . حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ على أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه . وكان أذهبَ له فى الناحيــة التى هى فى خلقتِه ومعناهُ وطبعهِ . إذ كان قد جُعِل رجلاً ولم يُجعل امرأة — قال ابن عبّاد . فقال لنا : ألستمْ تعلمون أنّى قد أربَيتُ على المائة . فينبغى لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الكِبَرِ . ونفادُ الذِّكْرِ (١) . وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبُوع النطْفة . قد أماتَ حنينه إلى النساء وتفكيرَه فى الغزَل ؟! قال : قلنا : صَدقتَ . قال : وينبغى أن يكون مَن عوَّد نفسه تركَهنَّ مُدداً ، وتخلى عنهن سنِينَ ودَهراً (٢) . أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة . وتوطينُ النفس . قد حطَّ من ثقل منازعة الشهوة . ودواعى الباءة . وقد علمتمْ أنَّ العادَة [التى] هى الطبيعة الثانية . قد تستحكم ببعض عمــلِ هَجْرٍ لملامسةِ النساء (٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ مَن لم يذُقْ طعمَ الخلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات . ولم يسمَعْ حديثَهنَّ وخِلابَتهنَّ للقلوب . واستمالتهن للأهواء . ولم يَرَهنَّ منكشفات عاريات . إذا تقدم له ذلك مع طولِ التَّرك . ألا يكون بقى معه من دواعيهن شىء ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكون لِمَنْ قد علِم أنه مجبوبٌ . وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ مخصوم . أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

---

(١) الذكر هنا فى معنى التذكر .
(٢) فى ل : زهدا بدل « مددا » وفى ط : منهن « موضع » عنهن .
(٣) فى ل : كبر موضع « عمل » و « هجرانى » موضع « هجر » .

Marfat.com

والسلوة . وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ من دعاهُ الزُّهــدُ فى الدنيا . وفيما يحتويه النساءُ مع جمالهنَّ وفتنةِ النُّسَّاكِ بهنَّ . واتخاذِ الأنبياء لهنّ . إلى أن خَصَى نفسه . ولم يُكْرِهْه عليه أبٌ ولا عدوٌّ . ولا سَباه سابٍ . أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذى يُميت الذِّكْرَ لهنَّ . ويُسَرِّى عنه ألم فقد وُجودِهنَّ[1] . وينبغى لمن كان فى إمكانه أن ينشئ العزم[2] ويختارَ الإرادة التى يصير بها[3] إلى قطع ذلك العضوِ الجامع لكبار اللذّات . وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر . وإلى ما فيه من المُثْلة والنَّقصِ الداخل على الخلقة . أن تكون الوساوس فى هذا الباب لا تعرُّد . والدواعى لا تقْرود[4] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى لِمَنْ سَخَتْ نفسه عن السَّكن وعن الوَلد . وعن أن يكون مذكورا بالعقب الصالح . أن يكون قد نسىَ هذا الباب . إن كان قد مرَّ به على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنى سَمِلْتُ عينى بيدى خصَيْتُ نفسى . فقد نسيتُ كيفية المنظر وكيف تروع . وجهلت ما هى منها . وكيف تراد . أفما كان[5] لمن كان كذلك أحرى أن تكون نفسه ساهية لاهية مشغولة بالباب الذى تحتمل له هذه المكاره[6] قال : قلنا : صدقت . قال : أو لعلى لم أكن هرما[7] . ولم يكن هذا طولُ اجتناب . وددت لآلة قائمة ألسعى[8] أنى لم أذق حرها قط .

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

(٧) ...

Marfat.com

سنة ولم تمتلِ عُروقى [1] من الشرابِ مخافةَ الزيادة فى الشهوة . والنقصانِ من العزم — أليسَ [2] فى ذلك ما يقطع الدواعى . ويُسْكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإنّى بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم . لأَسْمَعُ نغْمةَ المرأةِ فأظنُّ مرّةً أنّ كَبِدى قد ذابت . وأظنُّ مرّةً أنّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرّةً أنّ عقلى قد اختُلِس . وربّما اضطرَب فُؤادِى عند ضَحِك إحداهُنّ . حتّى أظنَّ أنّه قد خرجَ من ثمى . فكيف ألومُ علينَّ غيرى ؟ !

فإن كان — حفظك الله تعالى — قد صدَق على نفسه فى تلك الحال . بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال . فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستّين سنة أوْ سبعين سنةً ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخصاء بساعة ؟ ! وليس فى الاستطاعةِ ولا فى صفةِ الإمكان . أن يحتَجِز عن إرادة النساء . ومعَه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ فنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه . وأعدَلُ على عباده . من أن يكلِّفَهم هِجرانَ شىءٍ . قد وصلَه بتلوينهم هذا الوِصلَ . وأكّدَه هذا التأكيد .

وقد خصى نفسَه من الصابئين رجالٌ . قد عرَفناهم بأسمائهم وأنسابهم . وصفاتهم وأحاديثهم . وفى الذى ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون فى الخصاء)

وقد ذُكِر أنَّ عثمانَ بن مَظْعونٍ . اَسْتَأْذَنَ النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم فى السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِى الْجَمَاعَة » . واستأْذَنَه فى الخصاءِ فقال :

---

(١) فى ط : « تثمل » ومأثبته من ل .
(٢) فى الأصل : « فكذا » .

Marfat.com

« خِصاء أمَّتى الصوم : والصوم وِجاء » . فهذا خِصاءُ الديانة .

(خصاء الجلب وقسوته)

٥٩

فأمَّا من خصى الجَلَب [١] على جهة التجارة . فإنه يَجُبُّ التقضيب . ويمتلخ الأنثيين . إلاّ إن تقلَّصت إحداهما من فَرْط الفَزَع [٢] . فتصيرُ إلى موضعٍ لايمكن ردُّها إلاّ بعلاج طويل . فالخاصى عند ذلك ظلمٌ لا يفى به ظُلم . وظلم يُربى على كلِّ ظلم [٣] . لأنّه عندَ ذلك لا يخفِل بفوت المتقلِّص [٤] . ويقطع ما ظهر له : فإن برئ مجبوبَ التقضيب أو ذا بيضةٍ واحدة . فقد تركه لا امرأةً ولا رجُلا ولا خَصِيًّا . وهو حينئذٍ ممّن تخرُج خِيتُه . وممّن لا يلتفت الناسُ فى دُورهم ومواضعِ الخصوص من بيوتهم . فلا يكونُ مع الخصيان مقرَّبًا ومكرَّمًا . وخَصِيبَ العيش منعَّما . ولا هو إذا رُمى به فى التحويل . كان له ما للمحبول من لذّة غشيان النساء . ومن لذّة النسل والتمتع بالأولاد : فلا يزال عند المحبول مستضعفًا محتقرًا . وعند الخصىّ مُطّرحا [٥] . فهو أسوأ حالا من السّاده لمعنًى [٦] فلا أعلم فيه

---

(١) جلب ... مجبوب ...

(٢) فزع ... فصه ...

(٣) ... ظلم ...

(٤) ... المتقلص ...

(٥) ... مطرحا ...

(٦) ... لمعنى ...

Marfat.com

القتلُ قِتلةً صريحة[1] مُرِيحة – إلاّ أصغرَ عند الله تعالى . وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمِرصاد .

(خصاء البهائم)

وأمّا خصاءُ البهائم . فمنه الوِجاء . وهو أن يشدَّ عصَبُ مجامع الخُصيةِ من أصل القضيب . حتّى إذا نَدَرت البيضة . وجَحَظت الخُصية . وجأَها حتى يرضَّها . فهى عند ذلك تذبُل وتنخسف . وتذوِى وتستَدِقّ . حتى تذهبَ قُواها . وتنسدَّ المجارى إليها . ويسرىَ ذلك الفسادُ إلى موضع تربيةِ النُّطفة . فيمنَعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخثُر .

ومنها ما يكون بالشدّ والعصْب . وشدَّةِ التحزيق . والعَقْدِ بالخيط الشديد الوَتير الشديد الفتل . فإذا تركه على ذلك عمِل فيه وحزَّ . أو أكَلَّ ومنَعه من أن يجرىَ إليه الغذاءُ . فلا يلبثُ أن ينقطعَ ويسقط .

ومنه الامتلاخ . وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأمّا خصاءُ الناس . فإنّ للخاصى حديدةً مرهَفَةً مُحْماة . وهى الخاسمة . وهى القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَيت الدابة أخصِيها خِصاءً ، وجأتُها أجَأُها وِجاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخِصاء أو الوِجاء . ولا يقال ذلك إلاّ لمن كان قريبَ العهد لم يبرأ منه . فإذا برئ لم يُقَل له[2] .

---

(١) ل : « مريحة » .

(٢) في الأصل : « لم يقله » وهو خطأ في الرسم أوجبه تكرار الراء . والوجه ما كتبت .

Marfat.com

وأما الخِصاءُ فهو أنْ يسلَّ الخُصيتين ، والوجاء أن توجَأ العروقُ والخصيتان على حالهما . والمعصوب من التيوس الذى تُعصَب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخصيان خَصِىٌّ ومخصىّ . ويقال ملست الخصيتَين أملُسهما ملْسا ، ومتَنْتُهما أمتنهما متْنا . وذلك أن تشقّ عنهما الصَّفَن فتسلّهما بعروقهما . والصَّفَن : جلدة الخُصيتين .

(خصاء البهائم والدِّيكة)

والخِصاءُ فى أحداث البهائم . وفى الغنم خاصةً . يلذع اللحمَ وَخْصا ونديًّا عذبا ؛ فإنْ خَصَيْتَه بعد الكبر لم يقو خصاؤه بعد استحكام القوّة على قلْب طباعه . وأجود خصاء ما كان فى الصِّغَر . وهو يسمّى بالفارسية ثرخت[1] يُعنَى بذلك أنّه خُصِىَ رضيعا . والخصىّ من الخيل أعلَى للشحم . لعذوبة الشيْح والنَّعْظ . وخروج قوته فى اللحْمة[2] . وكذلك المُنْعَظ تورث الضعْفَ وتزيل فى جميع الحيوان . وقد ذكر بعضهم كثرة الجماع فقال : ما استقرّ به حمل إلا وأنت ذنبه فى فلانة .

والديك يُخصَى إذا طلب لحمه وطاب وعظم .

(خصاء العرب للعجولة لإبل)

وكانت العرب تخصى صحيحة لإبل

وتستبقى ما كان جيدا منها

---

(١) ثرخت : كلمة فارسية معناها الخصاء .

(٢) اللحمة : القطيع من الإبل .

Marfat.com

وكان شابًّا ولم يكن مِذكارا . وهم يسمُّون الإذكار المخْقَ الخَفِيّ[١] . وما كان منها عَيَاياءَ طَبَاقاءَ . فمنها ما يجعل السَّدِمَ المعنَّى . وإذا كان الفحلُ لايُتَّخذ للضِّراب . شدُّوا ثِيلَه شدًّا شديداً . وتركوه يهدِر ويُقَبقِب فى الهَجْمة ، ولا يصل إليهنَّ وإن أردنَه . فإذا طلبْنَ الفحلَ جِيءَ لهنَّ بفحلٍ قَعْسرىٍّ[٢] ويقولون: « لَقْوَةٌ لاقَتْ قَبِيسا ! » . والقَبيس من الجِمال : السريع الإلقاحِ ، واللَّقوة : السريعة القَبولِ لماءِ الفحلِ .

وشكت امرأةٌ زوجَها . وأخبرتْ عن جهلِه بإتيانِ النساء . وعِيِّه وعجْزِه ، وأنَّه إذا سقط عليها أطبَقَ صدرَه ــ والنساءُ يكرهْنَ وقُوعَ صدورِ الرجال على صدورهنَّ ــ فقالت : زَوْجِى عَيَاياءُ طَباقاء . وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !!

وقال الشاعر :

طَباقَاءُ لم يَشْهدْ خُصوماً ولم يَقُدْ رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف[٣]

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخْصُون الخيل لشبيه بذلك[٤] . ولعلَّة[٥] صهيلها ليلةَ البَيَات ، وإذا أكمنوا الكُمَناء أوْ كانوا هُرَّابا .

---

(١) ط : وهم يسمون المذكر الخق الخق ، وهو تحريف دقق .

(٢) تعسرى : تصغير الشيء . وفى الأمهرونيه : لخق وجن ، هى بفحل قبيس .

(٣) ط : فباكل و حين تعلف وفى ل و لامبروزيانا : ينيخ و حين تعكف ، وأصلحت البيت كما ترى من ل و ليبزك ١ : ١١٠ .

(٤) ط : للتشبيه بذلك .

(٥) ل : ولعلة .

Marfat.com

(القول فى كلمة خنذيذ)

ويزعم من لاعلم له : أنَّ الخنذيذ[١] فى الخيل هو الخصىُّ . وكيف يكون ذلك كما قال . مع قول خُفَاف بن نَدْبة :

وخناذيذ خصيةً وفُحولا[٢]

وقال بشرُ بنُ أبى خازم :

وخنذيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ منه كَطَىِّ البُرْدِ يَضويه التَّجَارُ[٣]

وليس هذا أرادَ بشر . وإنَّما أراد زمانَ الغزو . والحالَ التى يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى . كما قال جد الأحيمر[٤] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو ب ولا أُنيرُ على مُضَرْ
لكنَّما غزوى إذا ضَحَّ المُضَىُّ من الكَبَرْ ٦١

وإنَّما فخر بالغزو فى ذلك الزمان .

وأما الخنذيذ فهو الكريم التامُّ . وربَّما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيذ الضُّحَى متمطِّر وخَيْفانةٍ قد هذَّب الجرىُ حِنَّ[٥]

وقال القُطامى :

---

(١) يذكر فى ط ... أصحابه ... القصب ٢٠٣ ... حوين ...

(٢) بيت منسوب فى اللسان ... من ... فى الصحاح ... فيه ... البيت المذكور ...

(٣) ... البيت فى اللسان ...

(٤) ... الأحيمر ... كان من خصوص ... فيه ...

(٥) ...

Marfat.com

[على] كلِّ خنذيذ السَّراة مُقلِّصٍ تخنَّثَ منـــه لحمُه المتكاوِسُ[1]

ومن الدليل على أنَّهم ربما جعَلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ بعضِ التميسيين[2] ، مِن قيسِ بنِ ثعلَبة :

دعوتُ بني سعدٍ إليَّ فشمَّرتْ خناذيذُ مِن سعدٍ طِوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مرْوان ، حين فارقَ مُصعَبا :

بأيِّ بلاءٍ أم بأيَّةِ علَّـــةٍ يُقدَّم قبلي مُســـلِمٌ والمهلَّبُ

ويُدعَى ابنُ منجوف أمامي كأنَّه خَصِيٌّ دنا للماءِ من غير مَشْرَبِ[3]

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسَنُ من هذا ! قال : فلمَّا أخذتْه قيسٌ نصبُوه ، فجعَلوا يرمُونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازل[4] تَرَى؟!

[يريدون بيت ابن الحرّ[5]] :

ألم تر قيساً ـ قيسَ عَيلانَ ـ برقعت لِحاهَا وباعت نبلها بالمغازل

فلما أُتي مُصعبٌ برأسِه . قال لسُوَيد : يأبا المِنهال ! كيف ترى ؟ قال : أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذي أتَى الماءَ من غير مَشْرَب .

---

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « التميسين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوبا إلى العبسي ، فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « بن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار في البيان والأغاني .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين ، وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه في الفرات ، فمات غريقا سنة ٦٨ .

Marfat.com

وقال أعشَى هَمْدان :

وأبو بُريذِعةَ الذى حُدِّثْتَهُ فينا أذَلُّ مِن الخصىِّ الدَّيزجِ [1]

وتعرِض للخصىِّ سُرعة الدَّمعة ، وذلك مِن عادةِ طبائِع الصبيان ثم النِّساءِ ، فإنَّه ليس بعدَ الصبيان أغزَر دَمعةً من النســاء ، وكفاك بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعِبُ بالطير ، وما أشبهَ ذلك من أخلاق النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرَه عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ شىء ، وذلك مِن أخلاق الصِّبيانِ [ثم النِّساء [2]] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رُومان قيساً إذا غدَا خَصِىٌّ بَراذينٍ يُقَاد رَهيصُ

له مِعْدَةٌ لايشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرةٌ بالدورقين قَموصُ

ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضب والرضا . وذلك من أخلاق الصِّبْيان ٦٢
والنِّساء . ويعرض له حبُّ النميمة ، وضيقُ الصدر بما أُودِع من السرِّ ، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ، ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطِه . البصَرُ بالرَّفْع والوضْع . والتكبُّر والرشُّ ، والطَّرحِ والبسْطِ . والصبرُ على الخدمة . وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الريذع ، والصواب ما أثبت من ل ، والديزج : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ١٠٥ : « الأخضر ، ما فى كلام العجم الديزج » . وقال الجواليقى فى المعرب ص ١٢٣ : « والأخضر الأضخم المسمى بالديزج » .

(٢) التكملة من سياق الأمم وما بعدها .

Marfat.com

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثْرةِ الرَّكْض حتَّى يجاوز فى ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارِج . ومتى دفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل فى الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يترُكْ أن يُجرِىَ تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمى بالنُّشَّاب ، لِلَّذِى يدور فى نفسِه من حبِّ غزوِ الرُّوم. ويعرض له حبٌّ أن تَمْلكَه الملوك ، على أَلَّا تقيمَ له إلَّا القوتَ ، ويكونُ ذلك أحبَّ إليه من أنْ تملكَه السُّوقةُ ، وإن ألحقتْه بعيشِ الملوك ! !

ومن العجب أنَّهم مع خروجِهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يعرِض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنَّثاً متفكِّكا ، ومؤنثا يَسِيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مخنَّثين ، ورأيتُ ذلك فى الزِّنج الأقْحاح . وقد خبَّرنى من رأى كُردِيًّا مخنثاً ، ولم أَر خَصِيًّا قط مخنَّثاً[1] ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدرى كيف ذلك ولا أعرف المانعَ منه . ولو كان الأمرُ فى ذلك إلى ظاهِرِ الرأى ، لَقَدْ كان ينبغى لهم أن يكونَ ذلك فيهم عامًّا[2] !

ومما يَزيدنى فى التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرِض لهم من الْحلاَق[3] ، مع قلّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتِهم لشطرِ معانى الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ، وأهلِ التجرِبة المميِّزين ، أنّهم اختبروا أعمارَ ضروبِ الناس ، فوجدوا طولَ[4] الأعمارِ فى الخصيان أعمَّ

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) فى الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق ، كغراب : أن يفسد طباعه ، فينعكس ميله الجنسى .

(٤) فى ب « أطول » وتصحح من ل . وانظر مناظرة الحوارى والغلمان ١٢٤ .

Marfat.com

منه فى مثلِ أعدادهم [1] من جميع أجناس الرجال ، وأنّهم تفقدوا أعمارَهم وأعمارَ إخوتِهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَوْا ، فوجَدُوا طول العُمُر فى الحِصيان أعمَّ ؛ ولم يجدوا فى عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً ؛ كفلانٍ وفلانٍ من الفحول .

وزعموا أنّهم لم يجدوا لطول أعمارِهمْ علّةً إلّا عدَمَ النِّكاح . وَقلّة استفراغِ النُّطَف لقُوى أصلابهم .

قالوا : وكذلك لم نجدْ فيما يعايشُ الناسَ فى دُورهم ، من الخيل والإبل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكِلابِ ، والدَّجاج ، والحمام . والدِّيَكة ، والعصافير ؛ أطول أعماراً من البغال . ٦٣

وكذلك قالوا : وجدْنا أقلّها أعماراً العصافيرَ . وليس ذلك إلّا لكثْرة سِفادِ العصافير وقلّةِ سِفاد البغال .

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبويه دليلا على أنّ قول الناسِ : لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ . وأولئك إنما عنوا الناسَ دون جميع الحيوان .

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غرمولَ البغل أطولَ من غرمول الحمار والفرس والبرذون ، وهؤلاء أعمامه وأخواله ؛ فقد وجدْنا بعض النّتاج المركّب ، وبعضَ الفروع المستخرجة ، أعظمَ من الأصل . ووجدنا الحمامة الزّاعبى [2] أعظمَ من الوَرَشان الذى هو أبوه . ومن الحمامة التى هى أمّه . ولم نجاوِزْه أخذ من عمر الوَرَشان شيئا ، وخرج صَوْتُه من تقليب أصواتِهما ، [illegible] شحيج البغل من نهيق الحمار وصهيل الفرس ، [illegible]

(١) الأعداد : جمع عدد [illegible]

(٢) ط : [illegible]

Marfat.com

ولم يكن ذلك فى أبويه ؛ وخرَج مُثْقَلاً سيِّئَ الهداية . وللوَرَشان هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاءَ أعظمَ جُثّة من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفَس مِن ابتداءِ هَدِيله إلى منقطَعِه ؛ أضعافُ مقدارِ هديل أبويه .

وفَوالجُ البُخْتِ إذا ضرَبت فى إناث البُخْت ؛ لم يخرُج الحُوَارُ إلاّ أدَنّ[1] قصيرَ العُنق ؛ لا ينال كلأً ولا ماءً إلَّا بأنْ يُرْفَعا إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقْصان خلقه — جَزورَ لحم ؛ ولا يكون من اليعمَلات ولا من السابقة ؛ ولو عالُوه وكفَوه مُؤْنة تكلف[2] المأكولِ والمشروب ، ثم بلغَ إلى أنْ يَصيرَ جملاً يمكنُه الضِّراب . وكذلك [الأنثى التى هى] الحائل إلى أن تصيرَ ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصرَ عنقا من الفيل ، الذى لو لم يجعل اللهُ تعالى له خُرطوما يتناولُ به طعامَه وشرابه ، لمات جُوعا وهُزالا ؛ وليس كذلك العِرَاب . وإذا ضربت الفوالجُ فى العراب جاءت هذه الجوامز[3] والبُخْت الكريمة التى تجمع عامَّة خصال العراب وخصالِ البُخْت ؛ فيكونُ ما يُخرِج التركيبُ من هذين الجنسين أكرمَ وأفخمَ وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحولُ العرَاب فى إناث البُخْت جاءت هذه الإبل البَهْوَنِيَّة[4] [والصَّرصرانية[5]] فتخرج أقبح منظراً من أبويها ، وأشدَّ أسْراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهونى من الأباعر]

---

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل . والدنن ، محركة : انحناء فى الظهر ، ودنو وتطامن فى الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجوامين » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء فى القاموس « والبهونية من الإبل مابين الكرمانية والعربية ». وجاء فى المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى — بتقديم النون — من الإبل : مابين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل فى العربية » .

(٥) فى القاموس والمخصص : « الصرصريات : بين البخاتى والعراب ؛ أو الفوالج » وفى الأصل : «وهى الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

Marfat.com

وبعد ؛ فإنّ هذه الشِّهريَّة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ أمّهاتِها وآبائِها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتْق الخيل . ومن وثاجة[1] البراذين ؛ وليس نِتاجها كنتاج البِرذَونِ خالصاً والفرس خالصا .

وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمكة والحِجْرِ ؛ من قرابةِ الجمل الفالج ٦٤ البُخْتيِّ بقرابةِ القَلوص الأعرابيَّة .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّةٍ الأخدريَّة ؛ أطولُ تحميراً من وإنما هي من نِتاجِ الأخدَرِ ؛ فرس كانَ لأَرْدَشير بن بابك حمار وحشيًّا ؛ فحمَى عِدَّةَ عاناتٍ فضرب فيها . فجاء أولادُه منها أعظمَ من سائر الحمر وأحسن . وخرجَتْ أعمارُها عن أعمار الخيل وسائر الحمر ؛ فهي حمر للوحش فإنّ أعمارَها تزيد على الأهليّة مرارا عدّة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حمارا وحشيًّا عاش أكثر من أطول من عير أبي سيارة عُمَيلة بن أعزل[3] ؛ فإنهم لا يشكُّون أنّه دفع جاءه بأحد من عير حاملا ؛ قال الأصمعيُّ : لم يكن عيرا ، وإنما كان أتانا .

---

(١) ط : وشاحة ومراشي ... ظاهر ... أبدان ...

(٢) ط : ... حمار وحشيا ... القصة ... أبدان ...

(٣) ط : ... عميلة بن أعزل ... عير حمار ...

Marfat.com

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو فى كتبهم — أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك فى العوامّ .

وهم يزعمون أنّ فيروز بن قباذ[1] الملك الفارسىّ ؛ ألحَّ فى طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكِر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ فى ذلك ولجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألَّا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلاّ فرداً ؛ فحمل فرَسه عليه[2] ؛ فحطَّه فى خبَار[3] فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثَب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمَص به ؛ فضم فخذيه فحطّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عَيراً أخْدريًّا وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا[4] وسَمَه باسمه[5] وأرَّخ فى وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذى يقوم به بعدَه ؛ سار فيه مثلَه تلك السِّيرةَ وخلَّى سبيله ؛ فعرَف آخرُهم صنيعَ أوّلِهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

— على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل . ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اهـ . وقد أفاض الثعالبى فى ثمار القلوب فى الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين . وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ؛ وصحفها آخر فجعلها « خيار » .

(٣) ط : « خيبر » وصوابه فى ل .

(٤) ط : « مثيبا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

Marfat.com

(الحكمة فى تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل . وخصائصَ من كلِّ أمَّة . يلهجون ويَكْلَفون بتعرُّف معانى آخرين لدرستْ . ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزْرى على أولئك ، ويعجِّب الناسَ من تفرُّغهم لما لايجدى . وتركهم التشاغلَ بما يُجْدِى . فالذى حبَّب لهذا أن يرصُدَ عمر حِمار أو وَرَشان أو حيَّة أو ضبّ . هو الذى حبَّب إلى الآخر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيَّات . يتتبَّعها ويطلبها فى كلّ واد وموضِع وجَبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأُسْد والفُهود والنُّمور والببور [1] . وترك من تِلقاء نفسه أن يكونَ راعىَ غنم ! !

والذى فرَّق هذه الأقسامَ . وسخَّر هذه النفوسَ . وصرف هذه العقول لاستخراجِ هذه العلوم من مدافنها . وهذه المعانى من مخابيئها . هو الذى سخَّر بَطْليموسَ مع مُلْكه [2] . وفلانا وفلانا للتفرُّغ للأمور السماوية . وشرعية النجوم واختلاف مَسير الكواكب . وكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له . لتتمّ النعمة ولتكمُل المعرفة . وإذا تأتَّى التيسير للمعاصى [3] .

فأمَّا الصناعات فقد تقصُر الأسبابُ ببعض الناس على أن يصير حدّاداً . وتقصُر ببعضهم على أن يكون صيرفيّاً . فمنهم من قصرته على تخليص الذهب . ومنهم من تقصُر على تخليص الحديد وعلى إدمان النظر فى [illegible] والصدق وأداء الأمانة . ومنهم من تقصر [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

فى الحساب ؛ وعلى دسِّ المموِّه : تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النِّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ : لكانت الأظْلاف[1] تجرى مَجْرَى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز : كقرابة البُخْت من العراب : والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظِّلْف على خلافِ ذلك : لأنَّ التيسَ — على شدَّة غُلمته — لا يعرض للنعجة [إلاّ بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمّا ألاّ يتمّ خَلقُه ، وإما ألاّ يعيش[2]] ؛ وكذلك الكبشُ والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج[3] لأنه قد يضرِب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلْقحه ؛ ولا يكون اللِّقاح إلا بعد ضراب .

وطَلَب التيسِ للنعجة قليل[4] وأقلُّ من القليل : وكذلك الكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أنْ تتلاقح[5] ولا يبقى ذلك الولد ألبتة[6] .

وقد تجاسَرَ ناسٌ على توليدِ أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادَّعوا أموراً ؛ وقد يخطأوا بالتقريع والتكذيبِ عند مسألة البرهان ! !

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

---

(١) ... الخفاف .

(٢) ... على الولد ذلك .

(٣) ... يلقحه .

(٤) ... وطلب التيس للنعجة ...

(٥) فى بعض النسخ : ... صوابه من مخطوطة ليدن .

(٦) ... على الولد ... ولا يمنع ذلك ... تحريف .

Marfat.com

وبين الذِّيخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لمَّا رأوا أنَّ اسمها[١] بالفارسية (أشتر كاو بلنك[٢]) : وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »[٣] الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرْج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئبِ القزَل — وكلُّ ذئبٍ أقزَل — وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحْجِل كما يحجِل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشي ؛ ومشيُه أن يجمَع رجليه أبداً معاً فى كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك[٢] اسم فارسيٌّ ؛ والعُرس تسمِّى الأشياءَ بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم فى التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامةُ نِتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القومَ لمَّا ٦٦ شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمَّوها بذينك الشيئين . وهم يسمون الشيءَ المرَّ الحلو ، تَرْش شيرين ، وهو فى التفسير حلوٌ حامض . فجعلَ القومُ فوضعوا تفسيرَ اسمِ الزرافة حديثاً ؛ ويجعلون الخلقة فيما من تركيب . فقال : قد يعرض الذيخ فى تلك البلاد لناقة الوحشية فيفتضها . فتلقح منه فما يجىء خلقُه ما بين خلق الناقة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض لها الوحشى فيفتضها ؛ فتحمل من الناقة والذيخ ؛ وإن كان ذكراً لم يعرض للناقة فتلقح من الذيخ ، فإنه من عجيب البنية أن تحمل من ذيخ ، ثم تلقح من الزرافة التى هى أعلى منه فى الخلقة ، وهى فى الأنثى .

---

(١) ط : [illegible]

(٢) ط : [illegible]

(٣) ط : [illegible]

(٤) ط : [illegible]

(٥) ط : [illegible]

(٦) ط : [illegible]

Marfat.com

من النِّتاج الذى ركَّبوا ؛ وزعموا أنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحبَشة ؛ وأقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسِل ولا يبقَى نجلُه ولا يتلاقَح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الوَرشـان والرّاعبى [1] . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الكتب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن تجدُه مستهتَراً بسماع الغريب ، ومُغرَماً بالطرائف والبدائع . ولو أُعطُوا معَ هذا الاستهتارِ [2] نصيباً من التثبُّتِ ، وحظًّا من التوقى ؛ لسَلِمت الكتبُ من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه من نِتاج ما بين القُمْرىِّ [3] والفاختة [4] .

وقنَّاص الطيرِ ، ومَن يأتى كلَّ أُعجوبة [5] وغيضةٍ فى التماس الصيد ؛ يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛ وأنّهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

---

(١) فى ب ، ل : « الورد الى » وفى شبس : وهو تحريف صوبناه من كتابنا كما فى ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) فى ب : « وليس أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) فى ب : « القمرى » : طائر صغير من الحمام .

(٤) فى ب : « الفاختة » : واحدة الفواخت من ذوات الطوق . وفى حيوة : الضرب من الحمام ، والفاختة من الشاء : ما لا يعلو الجبل .

(٥) فى ب : « الدنية » وهو تحريف صوبناه فى ل ، ومعناه بالنص : مختصر الطير على طريق التهكم .

Marfat.com

(زعم بعض الأعراب فى الحرباء)

وقال أبو زيدٍ النحوىّ ، وذكر عمّن لقى من الأعراب أنّهم زعموا أنَّ ذكرَ أمِّ حُبَين هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابيًّا من قيس يقول لأمّ حُبين حُبينة . والحُبينة هو اسمها . قال : وقيس تسمّى ذكر الحرباء فوعة .

وقال يحيى الأعرّ : سمعت أعرابيا يقول : لا خيرَ فى العَظاءة ، وإن كان ضبًّا مَكْوِنا . قال : فإذا سمّاه أرّخص . والمُوَكَّل ، والوَحِر ، والحَلَمَكاء ، والحَلَمَكاء . كلُّ ذا عندى واحد .

(ولد الثعلب من الذئبة الوحشية)

زعم يحيى بن [illegible]

بينهما ولد ، فأنشد قول [illegible]

أبوك أبوك [illegible]

وأمُّك [illegible]

بيتٌ أبوك [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

(٣) [illegible]

[illegible]

Marfat.com

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغْ مُعاوية بنَ حربٍ ... مُغلغلَةً عن الرجُل اليمانى

أتغضَبُ أنْ يقال أبوك عَفٌّ ... وتَرضى أن يُقالَ أبوك زَانى

فأشهد أنّ رِحْمَكَ مِن قُرَيشٍ ... كَرِحْم الفيل مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ (١)

قال كَيسان : ولأى شى قال :

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغى أن يقول : كرِحْم الفِيل من الخنزير . قال أبو عبيدة : أراد هو التبعيدَ بعينه . وأنت تُريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين فى حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسِّرين وأصحاب الأخبار أنَّ أهلَ سفينةِ نوحٍ كانُوا تأذَّوا بالفأر . فعَطَس الأسدُ عَطْسةً فرَمى من مِنْخَريه بزوجِ سنانير : فلذلك السِّنَّوْرُ أشبهُ شىءٍ بالأسد . وسلَح الفيلُ زوجَ خنازير : فلذلك الخنزيرُ أشبهُ شىءٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغى أن يكون ذلك السِّنَّوْرُ آدمَ السنانير . وتلك السِّنَّوْرَة حوَّاءها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلمْ أنت أنّ السِّنَّوْرَ جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

---

(١) ط : وأشهد أن ... من خير ... وهى رواية مشهورة ... من زيد ... والأبيات فى حيوان ٣ : ٣ ، وأخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة ... وهى فى شعراء ابن قتيبة ... والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ : والناس ... بن مفرغ لكثرة هجوه لزياد . وسقط بقط .

Marfat.com

(شره سعد القرقرة)

ولمَّا رأى أبو قُردُودةَ سعدَ القرقرة . أكلَ عند النُّعمان مسلوخاً بعظامه قال :

بين النعامِ وبينَ الكلبِ مَنْبِتُه ... وفي الذئاب له ظئر وأخوالُ [١]

يقول : إنَّ سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام [٢] الذي يلتهم الجمر . ويلتقم الحجارة . فيطفئ الجمرَ ويُميع الصخر [٣] . وضرب في أعراقه أنجرُ [٤] الكلب الذي يرضُّ كلَّ عظم . ولا يقبض عليه بكفِّه إلاَّ هو واثق بقلبه . ولا يسيغه إلاَّ وهو على ثقة من أمعائه [٥] . فأمَّا الذئب فإنه لا يريد بشيء منها إلاَّ ابتلعه بغير معاناة . عظماً كان أو غيرَه . وبهذا كان أبو [illegible] ولذلك قال الراجز [٦] :

أطلس يُغشى شخشخَه غُبَرُه ... في [illegible]

فأبو قردودة لم يرد أن [illegible]

قال ذلك على المثل والتشبيه . [illegible]

الذئاب . وتأويلُ ذلك [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

الحمَّارين[1] . ونزائع الظُّؤورة . وأشباه الخُؤولة .

وعلَى شبيهٍ بذلك قال سلم بن قُتَيبة[2] لبعض من ذَكره . وهو عند سليمان بن علىٍّ : أيُّها الأمير . إنَّ آلَ فلان أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُه . لئامٌ غُدر . شرَّابون بأَنْقع[3] . ثمَّ هذا بعدُ فى نفسه . نُطفَةُ خَمَّار فى رَحِم حَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لى أبو إسحاق : قال لى أبو العباس — وأبو العباس هذا كانَ ختنَ إبراهيمَ على أخته . وكان رجلاً يَدِين بالنجوم . ولا يقرُّ بشىءٍ من الحوادث إلاَّ بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لى مرَّة : أتعرفُ موضعَ الحُظْوة من خَلْوة النساء ؟ . قلتُ : لا واللهِ لأعرفه . قال : بل أعلمُ أن لا يكونُ الحظُّ إلاَّ فى نِتاج شِكالين متباينين . فالتفاوتُ هو الإكسير المؤدِّى إلى الخلاص : وهو أن تُزاوِج بينَ هِنديَّةٍ وخراسانىٍّ . فإنها لا تلد إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احترِس ولدَها : إن كان الولدُ أنثى فاحذَر عليها من شدَّة لِواطِ رجال خُراسانَ وزِناء نساء الهند . واعلمْ أن شهوتَها للرجال على قدر حُظْوتِها عندهم . واعلمْ أنها ستسابق النساءَ على أعراقِ خراسانيَّة . وتَنزِل بالرجال على أعراق الهند . واعلمْ أنه ممَّا يزيد فى زِناها ومسابقتها معرفتُها بالحظوة عند الزُّناة . وبالحظِّ عند السحاقات[4] .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] والصواب ما قُلنا . والكلام مثل . والنقع بالفتح [illegible] فيقال فى المثل : إنك لشراب بالنقع . يضرب لمن جرب [illegible] الطرق

(٤) [illegible]

Marfat.com

(مما زعموا فى الخلق المركب)

وقالوا فى الخلق المركَّب ضُروباً[1] من الحقِّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطِل زعمُهم أنَّ الشَّبُّوط ولد الزَّجْر[2] من البُنِّىّ ، وأنَّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط ، وأنَّه كالبغل فى[3] تركيبه وإنسالِه . ورووا ذلك عن أبى وائِلة إياسِ بنِ معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنَّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حضَرت[4] فى حوضِ دارِها فَخِم أو بِرْكةٍ كبيرةٍ عددا كثيرا من الزَّجْر والبُنِّىّ ، وأنَّها لم تخلِطْ بهما غيرَهما ، فمات أكثرُه وبقيتْ بقيةٌ كانت للصيفِ فى الغدِّة ، وفى احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البِنِّىّ حين ، ثمَّ أنَّها[5] حضنت بالشبابيط .

(معدن الضفادع والشبابيط)

وزعم حريث أنَّ كان بن بلخ[6] ، [illegible]

تمسُّ لا تمس ، وكاد تمسُّ قمة [illegible]

الحانيق[7] ، كنهايير الفحول فى [illegible]

أو تجمع به ، حتى ساعدته الغوث [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

Marfat.com

آندفعت بالشبابيط السِّمان الخِدال [1] فطبخوا واشتَوَوا ، وملَّحوا وادَّخَروا .

(غرور أبى وائلة والخليل بن أحمد)

ورووا عن أبى وائلة أنَّه زعمَ أنَّ من الدليلِ على أنَّ الشَّبُّوط كالبغل ،
٦٩ أنَّ الناسَ لم يجدوا فى طولِ ما أكلوا الشبابيطَ فى جوفِها بَيْضاً قطُّ . فإن كان هذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المَذكُورِ بشدَّةِ العقل . المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودِقَّةِ الفطنة صحيحاً . فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيــه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن يكون صحيحاً ، وذلك أنّى سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيــوانِ وأقسامِ الأجناس . يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسَنَ فى أشياءَ وَهمه المُعْجَبُ بنفسِه أنَّه لا يَروم شيئاً فيمتنعُ عليه . وغرَّه مِن نفسِــه الذى غرَّ الخليل ابنَ أحمد . حينَ أحسَنَ فى النحوِ والعَرُوض ، فظنَّ أنَّه يُحسِن الكلامَ وتأليفَ الُّلحون . فكتبَ فيهما كتابَينِ لا يُشِير بهما ولا يُدلُّ عليهما إلاَّ المِرَّة المحترِقة . ولا يؤدى إلى مثل ذلك إلاَّ خِذلانٌ من الله تعالى ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شىء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُّوط — حفظك الله تعالى — جِنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا يكون إناثه أيضاً يجمعْن البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

---

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما فى ل . والخدال : جمع خدلة ، وهى الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام .

Marfat.com

لَمَا كان كشَطْر بَيضِ بُنَيَّةٍ واحدة . وقد رأيتُ بَيْضَ[1] الشَّبُّوط وذقته للتعرُّف فوجدته غيرَ طائل ، ولا مُعجِبٍ . وكلُّ صيَّادٍ تسأله فهو يُذْبيك أنّ له بيضاً ، ولكنَّه إذا كانَ يكونَ ضئيلاً قليلاً . لأنَّ الشبابيطَ فى أصل العدد من أقلِّ السمك . وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مذكارا .

(موطن الشبوط)

على أنَّه ربَّ نهرٍ يكونُ أكثرَ سمكه الشَّبُّوط . وذلك ليل . كنهر رَامَهُرْمز . والشَّبُّوط لا يترقى فى البحار . ولا يكون إلا فى الأوشال والأنهار . ويكره الماء المالحَ ويطلبُ الأعذبَ فالأعذب . فإنكون فى الماء الجارى . ولا يكون فى الساكن . وسنذكر شأنه فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(رد على ما زعموا فى الزرافة)

ولم يعصب بهم واثلة . وكذبوا على أهل [illegible] ما قالوا[3] ولا تأمنهم على ناهر دمنة . ولا [illegible] وأستشهد الغيب أحذق . فصاحبُ الزرافة قد [illegible] وصاحبُ الشَّبُّوط يكذب على الأنهار . [illegible] الذى دعا إلى القول [illegible]

(١) فى الأصل [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ص ١٤٢

Marfat.com

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش . وتأويله ضأنىّ بقرىّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهةَ الكبش وكثيراً من مشابهة الثور . وليس أنّ الكِباشَ ضربت فى البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس فى تقسيم الحيوان)

وزعم الفرسُ أنّ الحيوان كلَّه الذى يلد حيوانا مثلَه مما يمشى على أربع قوائم . لا تخلو أجناسها من المعز والضأن . والجواميسُ عندهم ضأن البقر . والبُخْت عندهم ضأن الإبل . والبَراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويلَ عجيبة : فمنهم مَن يزعمُ أن فيها عِرقا من سِفاد الجنّ . وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين[1] فجعلوا المثلَ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تقول مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطينٌ وجُنَّ جُنونُها

---

(١) ولفظ : أعناق ، وهو تحريف صوابه فى ل والمسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعطان الشياطين لا تقبل إلا مولية ولا تسير إلا مولية » . قال ابن منظور : وبهذا أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعطان هو حيث . . قال ابن الأثير : إنما قال لأنها لكثرة تفلتها من نوافر الشيطان فى نفارها وطيشها . وفى حديث آخر : « لا تصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أبوال الشياطين » .

Marfat.com

قال الأصمعى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنّ الجنَّ عمِلته .

وهم يسمُّون الكِبر والخُنزُوانةَ والنَّعَرة التى تضاف إلى أنف المتكبّر شيطانا ؛ قال عمر : حتى أنزِعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزِع النَّعَرة التى فى أنفه[1] . ويسمُّون الحيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الحَمَاطة[2] . قال الشاعر :

تعالج مَثْنَى حَضْرميٍّ كأنه تَعَسُّجُ شَيْطانٍ بأدى خِروعِ قَفْرِ

شبَّه الزِّمامَ بالحيَّة . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحيةٍ فيها شناحٌ كأنها حبابٌ بكفِّ الشأوِ من أسفعَ حشرِ

والحباب : الحية الذكر . وكذلك لأيم[3] . وقد نُهى عن الصلاة عند غيبوبة الشمس . وعند طلوع الفجر إلى أن يبتدأ ذلك . وفى الحديث « إنها تطلع بين قرنى شيطان » .

ا ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم ا

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

Marfat.com

معانيهم وإرادتهم . ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ ، ولها حينئذ دَلالات أخر ؛ فمن لم يعرفْها جَهِل تأْويلَ الكتابِ والسُّنَّة . والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظَر فى الكلام وفى ضروبٍ من العلم . وليس هو من أَهل هـذا الشأْن . هلك وأَهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسَّنانير والحمام وغيرِ ذلك[1] . فزعموا أنَّ تلك الإبلَ تسكنُ أرض وَبَارٍ ، لأَنَّها غيرُ مسكونة . ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّته كان للخَلاء أطلب . قالوا : وربَّما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يعرِض . فيضرب فى أدنى هَجْمةٍ من الإبل الأهلية . قالوا : فالْمَهْرِيَّةُ من ذلك النِّتاج .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّة هى الحُوش . وهى التى مِن بقايا إبل وَبَار . فلمَّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأُمَم مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقة وطَسْمٍ وجَدِيسَ وجاسم . بقيَتْ إبلُهم فى أماكنهم التى لا يَطْورها إنْسِىٌّ[2] فإن سقَطَ إلى تلك الجِيزة بعض الخلعاء[3] . أَوْ بَعْضُ من أضلَّ الطريق حشَت[4]

١٧١

(١) ط : « وقاسوا ذلك على حمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك . وفى ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد مر ذكر القول كما ترى .

(٢) كذا فى ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوران : حام حوله . وفى ط : « لا يطردها أحد » . قال فى القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما فى ط : تصحيف . والجيزة : الناحية .

(٤) ط : « حشا » .

Marfat.com

الجنُّ فى وجهِه ؛ فإنْ ألحَّ خبَلته ؛ فضَربَتْ هذه الحوش [١] فى العُمَانيّة ؛ فجاءَت هذه المَهْرِيَّة ؛ وهذه العسجديَّة التى تسمى الذهبيَّة .

وأنشدنى سعدان المكفُوف [٢] عن أبى العميثل قول الراجز [٣] :

ما ذمَّ إبلِى عَجَمٌ ولا عَرَبْ جُلودُها مثلُ طَواويسِ الذَّهَبْ

وقال الآخر [٤] :

إذا اصطكَّتْ بضيق حجْرَتاه تَلاقَى العَسجديَّةُ والنَّعيمُ

والعسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإنَّما سُمِّيتْ صاحبةُ يزيد بن الطَّثَريَّة حُوشيَّةً على هذا المعنى .

وقال رؤبة :

جرت رِحانٌ من بلاد الحُوش [٥]

---

(١) ط : الوحوش .

(٢) ط : وأنشدنى ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

Marfat.com

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبابيط)

وأما الذى زعم أنَّهم مُطِروا الشَّبوط . فإنه لما ظنّ أنَّ الضفادعَ التى تُصابُ بعَقِبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة — فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهناء والصَّمَّان[1] — ولم يشُكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ؛ وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنِّ السمك ؛ ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شَبُّوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَق تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمانِ وتلك التُّرْبة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُح ؛ كالظبى والمعز ، وكالفأر والجُرْذان ، فليس بالعجيب فى الزمر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخلاسىَّ من الدجاج والدِّيَكة ؛ وهو الذى تخلَّقَ من بين المولَّدات والهِنديَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان . أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعَدة ؛ دجاجة وزنت ليها سبعه دنانير طلا بعد طرح الأستماط وإخراج الحشوة .

(١) ظ ... الصمان ... والصواب ... الصمان : كل أرض صلبة ...

Marfat.com

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلاسيَّ من الناس ؛ وهو الذى يتخلَّق بين الحبشىِّ والبيضاء .
والعادةُ من هذا التركيب أنّه يخرج أعظمَ من أبويه وأقوى من أصليه ومثمريه .
ورأينا البَيْسَرىَّ[1] من الناس . وهو الذى يُخلَق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النَّتاجُ على مقدار ضخم الأبوين وقوّتهما . ولكنه يجىء أحسن
وأملح . وهم يسمُّونَ[2] الماءَ إذا خالطته الملوحة بيسراً[3] قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكَينا عن البيض والمندليّات . ورأينا الخلاسىَّ من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلَق بين المَلُّوقىِّ وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزاجل
والقاطى[4] . ومن كلاب الدُّور والحرّاس . ويسمّون فى السَّفِّ والحسبة ؛
وفى غيرهما من الخلائق ما كَتَب الله تعالى .

(أطوار الناس الخلقية)

وذكره ... وأطوار ... فى ... سرُّوحير . ثم فى غانة . ثم الجبادة . ثم فى ... لا ... ثم
ثم ذلك كلّه ... والخلق ... فى ... علماء العرب .

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ... السماء ...

(٤) ...

التعديل ...

(٥) ... السماء ...

(٦) ...

Marfat.com

(أثر النبيذ فى عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجذعان[1] . يذكرون أنّهم عدُّوا أربعينَ فتًى مِنْ فتيانِ قريش وثَقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرينَ من قريش، وعشرين من ثقيف . وتوخَّوا المتجاورين فى المحلَّة والمتقاربين فى الدُّور، من الموفَّرين على النبيذ . والمقصورين على المنادُم . وأنّهم أحصَوا مثلَ ذلك العدد وأشباهَ أولئك فى السِّن ممّن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاءَ . فذكَرُوا أنّهم وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةَ من كان يشرَبُ النبيذَ حيًّا . ومن لا يشربه قد مات عامَّتُهم . وكانوا قد بلغوا فى السنّ . أما عثمان ويزال[2] فكانا من المعمَّرين . وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا الباب فى موضعه من ذكر المعمَّرين . ونميِّز الصدقَ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاءَ الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ فى الفراش وغير ذلك . ولا سيَّما إذا بانت أحلامهم فمنهنّ من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط فى شهوته وشدَّة النَّهم .

ويعرض لهم أيضاً إيثار المُخَنَّس[3] وحبُّ الصَّرْف . وذلك أيضاً

---

(١) ... ويبلغ ... .

(٢) ... .

(٣) ط : ... المخنس ... وفى ب : المخنس ... وهى تحريف ما كتبت . والمخنس : الشراب الشديد الإسكار .

Marfat.com

ممّا يعرض للنساءِ . والإفراط فى شهوتهنَّ وشدَّة الهمَّة لَهُنَّ والغيرة عليهنَّ . ويحتلمون . ويَجنُبون ويغتسلون . ويرون الماءَ غير الرائق ولا الغليظ . الذى له ريح طلع النُّحَّال (١) .

ويعرض للخصىّ شدَّةُ الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مال كثيرٍ أو جاهٍ عريض . حتَّى ربمَّا كان عند مولاه بعضُ من عسى أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصىُّ كالفاً بهم وبتعظيمهم . ومُغرَماً بخدمتهم . فى الأدبِ والحسب . وفى بُعْد الهمَّة وكرم الشيمة . فيعمل عند دخول ذلك الرجل الذى له السلطان وجاهه وماله إلى منكح هذا الأديب الكريم . والحسيب الشريف . فيزيّنه من تحت ورُفقه . غير مخلٍّ بالنَّفقة ولا مكترثٍ لما فيه . ويشجّعه على ما فيه أن يكون فى الرفق بعيدا . وإن كان ذلك مما يفوت بعض القوت . ويحمله على وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه من يقبح [illegible] الموسر وصاحب الجاه أيضاً .

(القول فى منع الخصىّ الخليل وإباحته)

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل المِيسَم . فَإِنّ المِيسم نار ، وأَلمه يجوزُ كلَّ ألم . وقد رأينا إبلَ الصدَقة موسُومة . ووسَمَت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النَّعَم في الإسلام ، على مِثل صنيعِها في الجاهليَّة . وقد كانت القَصواءُ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم موسومة . وكذلك العضباءُ .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخِصاء غيرُ شبيه بالمِيسم ، لأنَّ في الخصاء من شدَّة الألم ، ومن المُثْلة ، ومن قطْع النَّسْل ، ومن إدخال النقصِ على الأعضاء ، والنقصِ لمرادِ القرى ، ما ليسَ في المِيسم وغيرِه ، وهو بقطع الأَلية أشبَه . والسِّمَةُ إنَّما هي لَذْعة ، والخِصاءُ مجاوِزٌ للكلِّ شديدة [1] .

قال القرم : ولا بأسَ بقطع الأَلية إذا منعت بِثقلِها أو عظَمِها الشاةَ من اللحاقِ بالقطيع وخِيف عليها من الذئب . وقطعُ الأَلية في جواز العقول [2] أشبهُ من الوسم ، لأنَّ المِيسمَ ليس للبعير نفسِه . وإنَّما الحظُّ فيه لربِّ المال . وقطعُ الأَلية من شكل الختان . ومن شكل البَضْ [3] والنصْل ، ومن جنس الرَّجور والبيضة ، ومن جنس القَدْوَد [4] والحجامة ، ومن جنس الشكِّ عند الخياطة . وقطعُ الجارحة إذا خِيف عليه الأكلة .

---

(١) في ب : الشاة .

(٢) في ب : الله .

(٣) البضع : الشرح ، والشرطة ، والمبضع .

(٤) القدود : ما يقص بالمقص من الشعر في الرأس .

Marfat.com

(وسم الابل)

قال الأوَّلون : بل[1] لعمرى إنَّ للإبل فى السِّمات لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشْرَب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تضِلُّ فتُؤْوَى ؛ وتُصاب فى الهُوَاشات[2] فتُرَدّ .

قالوا : فإنا لانسألكم إلّا عن سماتِ الخيل والبغالِ والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أنْ نَعمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألَّا يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألَّا يحتاج [من جميع] ذلك فى جميع عمره [إلّا] إلى شَرْبةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم فى النَّعم السائمة كالرُّقوم فى ثياب البزَّاز : ومتى ارتفعت الرقومُ ودُنِعت المياسم . اختلطت الأموال . وإذا اختلطت ٧٤
أمكنَ فيها الظلم . ولمظلومٌ بادلٌ نفسه دونَ المعيشة[3] والفَضيحة .

وقالوا : ليس قطعُ الأليَة كالخِشْية وكالشىء المصبور . وقد نُهينا عن إحراق الوجوهِ . وقيل لنا : لاتعذِّبوا بعذاب الله تعالى . والمياسمُ نار . وقطعُ الأليَة من شكل قطع العروق . وصاحبُ الخِشْية يقدر أن يرمى إن كان به تعلُّم الرماية . شيئا لا يأمن معه عن تعذيبه . فى [ ] الشىء نفسه من العذاب مذكّرا به وجه من الوجوه .

(١) ط : [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) فى [illegible]

Marfat.com

(القول فى نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث فى جميع الحيوانِ حدَثاً من نقْضٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لاتملك النشأة [1] ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذِن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لايحلّ . وليس لك فى حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلّا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبَر [2] وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنَع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدَه ، ممّا لم يكن مدفوعا [3] عندَ بعضِهم ، إلّا أن يكون نَهْيُ ذلك البعضِ من جماعتهم [4] ، فى طريق الخلافِ والردِّ والمفارقَة ولا يكون عندهم قولًا من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك فى سبيل العلاج بعد أن كان المتكلِّف يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب فى ذلكَ معروف [5] ؛ وإن كان خارجا من ذلك الحدِّ . فقد علمنا أنَّه أبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحَه من البهائم . وكما جعَل لنا أن نقتُل القملَ والبراغيثَ والبعوض . وإن لم يكن منها إلّا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لايكون قصاصا من الأذى ، ولكن لمَّا أباح لنا خالقُ الشىء

---

(١) ن : « الشىء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه فى ل .

(٣) ط : « مرفوعا » ، وتصحيحه من ل .

(٤) فى ن ، ظ : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

Marfat.com

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوغَ فى العقل مع الأذى . مِنْ ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى[1] حكم الله تعالى فيه بإباحة القتل . والله عزَّ وجلَّ . بمقادير الأمورِ وبحكم المختلِف والمتَّفِق . والقليلِ من ذلك والكثير . أحكَمُ وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام . بذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فأطاع الوالدُ وطاوع الولد .

والجواب الماضى إنما هو[2] قول من قال بالتعويض . أو هو قول النظَّام . وأكثرُ المتكلِّمين يعترِضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعضُ الملحدين من المتفلسفين . أو بعض الموحِّدين من الأغبياء المتقوصين . لك - طعن فى دين الخصى وبيعه وابتياعه . ويذكرون خصىَّ[3] النبى الذى كان متقوِّما بتضعيف أضعاف ثمن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله . مع دلالة القضيَّة أو بعض مقدماتها على أنه قالوا : فقد دلك عليه الصلاة والسلام خصيًا بعد أن ... فقد دلك بأنه خصىٌّ . وأنتم تزعمون أنَّ الخصاء حرام . وأن من ... من الخصى خصيًا ثم زاد على قيمته وهو فحل . فقد أعان على الخصاء وحرَّ... ورغَّب فيه . وأنه من أفحش الظلم وأشدِّ الفساد . وهذا كله ... من فعل ذلك

---

(١) ط : ...

(٢) ط : ...

(٣) ...

Marfat.com

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حالَه كحال المعروفين بالابتياع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القِمار[1] وهِراشَ الكلاب ، ونِطاحَ الكِباش وقتالَ الديوك . وأصحاب المجارحات[2] وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضعَ لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عمِلوا تلك الأعمال ، ولو فَعلوها ما بَلغوا مقدارَ الشَّطر ، لغلَبة الرياءِ والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشترى ، والمبتاع من المشترى ، شركاءُ متعاوِنون ، وخُلَطاءُ مترادفون . وإذا كان المبتاعُ يَزيد فى السِّلْعة لهذه العلَّة ، والبائع يزيد فى السَّوْم لهذا السبب . وقد أقررتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قَبِل له من المقوقس . كما قبلَ مارية . واستخدمه ، وجرى عليه ملكُه وأمرُه . فافهمْ — فهّمك الله تعالى — ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفِّقُ . وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شىء لايخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أنْ يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكونَ مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضيًّا ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنَّه قَبِله منه بعد أنْ علِم أنَّه خصىٌّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهديّة خلافُ الابتياع ؛ لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنّما يحرُم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلا أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه . والبائع أيضاً لا يَستام بالمحل سَوْمَه بالخصى . وقبول الهدية . وقبول الهِبَة . وسبيلُ البيع والابتياع

---

(١) ل : « السعايين » .
(٢) ط : « المخرجات » .

Marfat.com

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنّما هديَّة الخصيِّ كهديَّة الثوب والعِطر ، والدابَّةِ والفاكهة . ولأنَّ الخصيَّ لايحرم مِلكُه ولا استخدامُه ، بل لايحلُّ طرده ونفيُه ، وعتقُه جائز ، وجوازُ العِتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلبِ الزيادة ، أو لو تاب من الخِصاء أو استحلَّه مما أتى ٧٦
إليه ، لَمَا حرم على الخاصى نفسِه استخدامه . والخصيُّ مالٌ ومملك ، واستخدامه حسَنٌ جميل ؛ ولأنَّ خِصاءه إيّاه لايَعتِقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وَجَبَ به مِلكُه[1] .

وأخرى : أنَّ فى قَبول هديَّةِ ذلك لمالِكِ . وتلقّى كرامتِه بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة . والحمدُ لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أنَّ زِنباعاً الجذاميّ . خصَى عبدا له . وأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أعتقَه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

ورُبَّما سألوا عن الشىء وليس القولُ فيه يقع فى نسق القول فى الخصىّ . وفى الخلْق المركّب . ولكنْ إذ قد أجبْنا فى مسألة كلاميّة من مسائل الطعْن فى النبوّة . فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى . ولا سيّما إذا لم تَطُلْ فتَزيدَ فى طُول الكتاب .

وقد لايزال الطاعنُ يقول : قد علمْنا أنَّ الحرب قد يسمّى حروب أيّام الفجار بالفجور[2] وقريش خاصّة . إلا أنَّ القتال فى البلد الحرام . وفى الشهر الحرام كان عندهم فجورا . وتلك حروب قد شهدها النبىّ صلى الله عليه وسلم

(١) ب : بمثل ما وجب له ملكه .
(٢) ط : بالفجور .

Marfat.com

وعلى آله . وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً ، وابن أربعَ عشرة سنة يكونُ بالغا ، وقال : « شَهِدْتُ الفِجارَ فكنْتُ أنبُلُ على عمومتى » .

وجوابنا فى ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة . طالبوا أهلَ الحرَم من قريشٍ وكِنانة . بجريرة البرَّاض بن قيس . فى قتله عروة الرحَّال . وقد علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجنِ ومن لم يعاونْ . وأنَّ البرَّاض بنَ قيس كان قبلَ ذلك خليعاً مطرودا . فأتوَهم إلى حَرَمهم يُلزِمونهم ذنبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسِهم . وعن أموالهم . وعن ذراريهم . والفاجر لايكون المسْعِىَّ عليه . ولذلك أشهدَ الله تبارك وتعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف . وبه نُصروا كما نُصِرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ . به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفِّق للصواب . وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساوِيه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِن الخصىّ ومساويه[1] .

الخصىُّ يَنْكِحُ ويتّخذ الجوارىَ ويشتدُّ شغفه بالنساء ، وشغفُهنَّ به ، وهو وإن كان مجبوبَ العضو فإنّه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إليهنّ . وقد يحتلم ويَخرجُ منه عند الوطء ماءٌ . ولكنَّه قليلٌ . متغيِّر الريح . رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقّة . ثم لايمنعه من المعاوَدة الماءُ ٧١ الذى يخرج منه إذْ كان قليل المقدار[2] لايخرجه من القوّة إلى الضعف ،

---

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) فى الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

Marfat.com

مثل الذى يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان. وهو أخثرُ . وأكثر. وأحدُّ ريحا . وأصحُّ جوهراً .

والخصىُّ يجتمع فيه أُمنيَّةُ المرأة. وذلك أنّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة. بطيءِ الإفاقة . كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر . وخفيف العَجُز . والخصىُّ هو السريع الإفاقة . البطيء الإراقة. المأمونُ الإلقاح. فتميلُ المرأةُ معه. وهى آمنة العار الأكبر . فهذا أشدُّ لتوفير لذَّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخصيان . وحَقَرن العبيد . وذهبت الهيبةُ من قلوبهنّ . وتعظيمُ البعول . والتصنُّع لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلُّفِ الخجل . فظهَر كلُّ شيء فى قوى طباعهنّ وشهواتهنّ . فأمكنَهَا التَّخيير [1] والصِّياح . وأن تكون مرَّة من فوق . ومرة من أسفل . وسمحت النفسُ بكنونها . وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجد فى النساء مَنْ توثِّر النساء . وتجد فيهنّ من تؤثر الرجال . ونجد فيهنّ من توثر الخصيان . ونجد فيهنّ من تؤثر الخنثى ولا تفرق . وتعمّ ولا تخصُّ . وكذلك شأن الرجال فى الرجال . وفى النساء والخنثى . فمرة تنازع إلى الخصىّ لأن أمره أمنٌ . [illegible] منها . ولأن ذلك حرام عليها . [illegible] المنزع . وجاذبُ أمن كما يرغب فى [illegible] ابن عُبيد [2] : لو أخذْنا بالحزم [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وزادها كَلَفاً بالحبِّ أَنْ منعَتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان مامُنِعا (١)

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لايَقْدِر على الاحتجاز منه ، والاحتراسِ من خُدَعه . إلَّا كلُّ مبرِّز فى الفطنة ومتمهِّل [فى] العزيمة ، طويلِ التجارب ، فاضِلِ العقل على قُوَى الشهوات . وبئس الشيءُ القرينُ السوء . وقالوا : صاحب السُّوءِ قِطعةٌ من النار .

وبابٌ من هذا الشكل . فَبِكم أعظُم حاجةٍ إلى أن تعرفوه وتقِفُوا عندَه ، وهو مايصنع (٢) الخبرُ السابق إلى السمع ، ولا سيَّما إذا صادفَ من السامع قلَّةَ تجرِبة . فإنْ قرَن بين قلَّة التجربةِ وقلَّةِ التحفُّظِ ، دخل ذلك الخبر السابقُ إلى مستقرِّه دُخولًا سهلًا ، وصادفَ موضعاً وطيئا . وطبيعة قابلة ، ونفسا ساكنة ؛ ومتى صادفَ القلبَ كذلك ، رسَخَ رسوخاً لاحيلة فى إزالته . ومتى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمور الفَتيات ، فى وقت
٧٨ الغَرارةِ ، وعند غلَبةِ الطبيعة ، وشبَابِ الشهوَةِ ، وقلَّة التشاغل ؛ وكذلك متى أُلقِي إلى الفتيان شيءٌ من أمورهنَّ وأُمورِ الغِلْمان . وهناك سُكْر الشَّباب . فكذلك تكون حالهم . وإنَ الشُّطَّار لَيخلُو أحدُهم بالغلام الغَرير فيقول له : لايكون الغلامُ فتًى أبداً حتَّى يصادِقَ فتًى [وإلّا فهو تِكش ، والتكش عندهم الذى لم يؤدّبه فتًى ولم يخرِّجه] . فما الماءُ العذْبُ البارد ، بأسرعَ فى طباع العطشان . من كلمته . إذا كان للغُلام أدنى هوًى فى

---

(١) ط : « نحب » . ومشهور الرواية وما فى ل هو مأثبت . وفى عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادنى » : فإن البيت لرأحوص كما فى الأغانى ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دنى طما قد صرت أتبعه ونو صحا انقلب عنها كان لم تبعه

(٢) ط : « يضع » .

Marfat.com

الفتوَّة[١] ، وأدنَى داعيـةٍ إلى المنالة[٢] . وكذلك إذا خلَت العجوز المدربة[٣] بالجارية الحَـدَثة [كيف تخلبها . وأنشدنا :

فأتتْهـا طَبَّـــةٌ عالمـةٌ تخلط الجِـدَّ بأصنافِ اللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتَنَاهى عند سَورات الغَضَب]

وقال الشاعر[٤] فيما يشبهُ وقوعَ الْخَبَرِ السابق إلى القلب :

نقِّلْ فؤادَك حيثُ شِئْتَ مِنَ الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأَوَّلِ
كم منزلٍ فى الأرضِ يألَفُه الفتَى وحنينُه أبدا لأوَّلِ مَنْزِلِ

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى فصـادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

(أثر التكرار فى خلق الإنسان)

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد . وهو طول وقوف الفكر على الإنسان الذى فى طبعه أدنى قابل . وأدنى حركة عنده منه . وطول تأمله له . وكثرة الروية فيه هما أصل البلاء . كما قيل لابنة الخسّ : ما زينك بعبدك وهو فى خير[٥] . وما أغرك به ؟ قالت : طول السواد . وقرب المسد .

ولو أنَّ أقبحَ الناس وجهاً . وأشنعهم خلقاً . وأشهرهم فقراً . وأسخفهم

---

(١) ط : [illegible] .
(٢) ط : [illegible] .
(٣) ط : [illegible] .
(٤) ط : [illegible] .
(٥) ط : [illegible] .

Marfat.com

نفساً . وأوضعَهم حسَباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها ، ومكَّنته من سَمْعِها :
وٱللهِ يامولاتى وسيِّدتى . لقد أسهَرْتِ ليلى ، وأرَّقْتِ عَينى ، وشغلْتِنِي عن
مُهِمِّ أمرى . فما أعقِلُ أهلاً . ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقَص طِباعَها ، ولفسَخ
عَقْدَها . ولو كانتْ أبرعَ الخلْقِ جمالاً . وأكملَهم كمالاً . وأملحهم مِلحا .
فإنْ تهيَّأَ مع ذلك مِن هذا المتعشِّق ، أنْ تدمَع عينهُ ، احتاجت هـذه المرأة
أن يكون معها وَرَعُ أمِّ الدرداء ، ومُعاذة العدويّة ، ورابعةَ القيسيَّة ،
والشجّاء[1] الخارجيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإنَّمَا قال عمر بن الخطَّاب رضى ٱلله تعالى عنهُ : " اضربُوهنَّ
بالعُرْى " لأنَّ الثيابَ هى المدعاةُ إلى الخُرُوج فى الأعراس ، والقيامِ فى
المَناحات ، والظهورِ فى الأعياد . ومتَى كثُر خروجُها لم يعدَمها أن ترى من
هو من شكل طبعها . ولو كان بعلُها أتمَّ حسنا . وٱلذى رأتْ أنقصَ حسنا ،
لكان مالا تملكه ، أطرفَ ممَّا تملكُه ، ولكان ما لم تنلْه ، ولم تستكثر
منهُ ، أشدَّ لها اشتغالا وأشد لها اجتذابا . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ ولِلعين مَلْهَى بالتِّلاد ولم يقُدْ هوى النفس شيءٌ كاقتيادِ الطرائف[2]

وقال سعيد بن مسلم : لأَن[3] يرى حرمتى ألفُ رجل على حالٍ تكشَف

---

(١) ل : « الشيخ » وصوابه « الشجاء » كما فى ط . وهذا حديث مع زياد فى الأمالى ٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كاقتياد » موضع « كاقتياد » .

(٣) ط : « لئن » .

Marfat.com

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىّ من أن ترى حُرْمتِي رجلاً واحـداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتها بصَرك . وقد نقضت طبعك . فعلمْتَ أنَّك لا تصـل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برُسولك . كان الذى رأيت منها كالحلم . وكما يتصور للمتمنّى . فإذا انقضى ما هو فيهِ مِنَ المنى [1] . ورجعت نفسُه إلى مكانها الأوَّل . لم يكن عليه من [فقدها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم . أو مثَّلته له الأمانى [2] .

(عقيل بن علفة و بناته)

وقيل لعَقِيل بن عُلّفة [3] : لو زوّجت بناتك ! فإنّ الناس يخطبون وَضَم إذا لم يكنّ غانيات ! ! قال : كلا . إنى أحبهنّ ما يلبسن . وأعْرِيهنّ فلا يظهرْن [4] ! ! فوافقت الحادثة كلمتيه قول النبى صلى وسلّم [فوافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب . لأن النبى صلى وسلّم قال [: التثوّم وجاء . وقال عمر : سمينة تعلف وقد جاء [فى الحديث : وفى رواية أبى العالية عن ابن [فى النسخ

---

(١) ط : ...

(٢) ط : ...

(٣) ط : ...

١٧١ ١٧٩

(٤) ط : ...

فى النسخ ...

(٥) مخطوطة : قال أبو ...

Marfat.com

وقد أتينا على هذا الباب فى الموضع الذى ذكرنا فيــه شأن الغيرة ، وأوّلَ الفسادِ . وكيف ينبُت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خَصِيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [فى المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جِهة الصــداقة . ويحمل فى ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول [1] ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كانَ فى قطيعةِ الربيعِ خصىٌّ أثيرٌ عنــدَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثِق به فى مِلْكِ يمينِه ، وفى حُرَمه من بنتٍ وزوجَةٍ وأختٍ ، لا يخصُّ شيئاً دونَ شىء . فأشرَفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفى المِربد غنمٌ صغايا ، وقد شدَّ يدَى شاةٍ وركبها من مؤخَّرها يكُومُها ، فلمَّا أبصره بَرِقَ وَبَعِل [2] وسُقِطَ فى يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصىٍّ لعدوٍّ لَهُ [3] لَمَا فارقَ ذلك الخولُ أبداً قلبَه ، فكيف وإنّما عاينَ الذى عاين فيمَن كان يخلُفُه فى نسائه مِن حُرَمه ومِلْكِ يمينه . فبينا الرجلُ وهو واجم [حزين [4]] ، وهو ينظر [5] إليه [وقد تحرَّق عليه غيظاً] إذْ رَفَع الخصىُّ رأسَه ، فلمَّا أثبَتَ مولاهُ مَرَّ مُسرِعاً نحوَ باب الدار ليركَبَ رأسَــه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منــه

---

(١) ط : « السجون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهى بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موطن هذه الكلمة فى ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينظر » وهو تحريف .

Marfat.com

موضعاً لا يُصعَد [إليه]، فحدَثَ لشقائِهِ أمرٌ لم يجد مولاه [معه][1] بُدًّا من صُعودِه ، فلبثَ الخصيُّ ساعةً ينتفِض من حُمَّى كِبته ثم فاظ . ولم يُمسِ إلاَّ وهو فى القبر .

ولفرْط إرادتِهم النساء ، وبالحسرة التى نالتهم . وبالأسف الذى دخلَهم ، أبغَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تباغُضِ الأعداءِ فيما بينهم . حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبينَ أصحابِ النِّعَم المتظاهرة ، ولا بين المَاشى المعنَّى وبينَ راكب الهِمْلاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقةً ، وبينَ سُوقةٍ صاروا ملوكا ، ولا بينَ بنى الأعمام مع وقوعِ التنافسِ ، أو وقوعِ الحربِ ، ولا بين الجيرانِ والمتشاكلين فى الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدرِ ما يستحف عليه الخصيانُ للفحول[2] .

وبُغضُ الخصىِّ للفَحل من شِكل بُغض الخامِلِ لذِى النعمة ، وليس مِنْ شكلِ ما يولِّده التنافسُ وتُلحقه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ورُجال كلِّ فنٍّ وضرب من الناس ، فضرب من النسك ، ودِيانة لأحدهم من النزوع ، ومن ترك طريقته لأمن : فمن الخصى فؤاده ، لمَا أنْ كانوا هم الذين خصوهم ، وأزَّهه ذلك وأطمعه فى [illegible] وأشباهها ، فظنَّ عند ذلك أهلُ الفرزدق أنَّ سبب ذلك [illegible] الرُّوم لما كانوا هم الذين خصوهم ، [illegible]

---

(١) بدة يتعلق به الحاسد .

(٢) ط : « المتشاسين [illegible]

[illegible] يتنحق [illegible]

(٣) ط : « المخاريط [illegible]

Marfat.com

متطلِّبةً إلى التشفِّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفِّى شدَّةَ الاعتزامِ على قتلهم ، وعلى الإنفاقِ فى كلِّ شىءٍ يَبلُغ منهم . ونُسكُ الخراسانىِّ أن يُحجَّ : ونسكُ البنوى[1] أن يَدَع الديوان . ونسكُ المغنِّى : أن يُكثر التسبيحَ وهو يشربُ النبيذ . والصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم . والصلاة فى جماعة . ونسك الرافضىِّ : إظهارُ تَرْك النبيذ . ونسك السَّوادىِّ تَرْكُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهودىِّ : إقامة السبت . ونسك المتكلِّم : التسرُّع إلى إكفارِ أهل المعاصى . وأنْ يرمىَ الناسَ بالجبْر . أو بالتعطيلِ . أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أنَّ ذلك ليس إلاّ من تعظيمه للدِّين . والإغراق فيه . ومنها أن يقال : لو كان نَطِفا . أو مرتابا . أو مجتنحا على بليَّة[2] . لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة . وما كان ليرميَهم إلاّ للعزِّ الذى فى قلبه . ولو كان هناك من ذُلِّ الرِّيبة شىء لقطعَه ذلك [عن][3] التعرُّض لهم . أو التنبيه على ما عسى إنْ حرَّكهم له أنْ يتحرَّكوا . ولم نجدْ فى المتكلِّمين أنْطفَ ولا أكثرَ هيوبا . ممَّن يرمى خصومَه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمَّاز ، وهو محمد بن عمرو[4] ، يتعشَّق جارية

---

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محركة » وفى رسائل الجاحظ ١٥ سبب مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط : « الجنسى » تحريف . وانظر حواشى البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) النطف : « الرجل القريب . . وفى ل : محتجنا » بدل « مجتنحا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب . كان مجنا خبيث اللسان . دخل بغداد أيام الرشيد =

Marfat.com

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيان ، وكان لهم خَصِيٌّ يحفظُها إذا أرادتْ بيوتَ المغنِّين ، وكان الخصيُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمَّاز ، وكان قد حال بينَه وبينَ كلامِها ، ٨١
والدنوِّ منها . فقال الجماز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيتِ سِـنانٍ ولِلظِّبـاءِ المِـلاحِ
لَبِئْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغيرِ سلاحِ (١)

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداءُ لظبيٍ يحبُّني وأحبُّـهْ
من أجلِ ذاكَ سِـنانٌ إذا رآني يَسُبُّـهْ
هَبْـهُ أجابَ سِـناناً يَنيكهُ أين زُبُّه

وقال أيضاً فيهما :

ظبيٌ سِـنانٌ شريكي فيـه فبئسَ الشَّريكْ
فلا يَنيكُ سِـنانٌ ولا يلعَـقُ زبَّكْ

(ما قيل من الشعر فى الخصاء)

وقال البُحتري (٢) يذكرُ محاسن خصال الخصيان :

ونسـاءٍ مُطمئنٍّ فُقيمٍ ورجالٍ إن كانت لأسنَّهْ

---

(١) ط : ...

(٢) ...

Marfat.com

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلُبَّانةٌ ورهاء تخصى حمارها بفِى من بغَى خيراً إليها الجلامدُ[1]]

وقال مزرِّد بن ضِرار :

[فجاءتْ كخاصى العَيرِ لم تَحْلَ عَاجةً ولا جَاجَةٌ منها تلُوحُ على وَشْمِ[2]

وقال عمرو الحارَكى[3]] :

إذا لامَ على المرد نصيحٌ زادَنى حرصا
ولا والله ما أقْلِـــع ما عمِّرت أو أُخْصىَ

وقال آخر[4] :

رَمَاك اللهُ من أيْرٍ بأفعَى ولا عافاكَ من جَهْد البَلاءِ
جَزَاكَ اللهُ شَرًّا من رفيقٍ إذا بلغت بى رَكَبَ النساء
أجُبْناً فى الكريهة حين نلقى وما تنفكُّ تُنعِظ فى الخلاءِ
فلا والله ما أمسَى رفيقى ولولا البولُ عُوجِل بالحصاء

---

(١) الجلبانة : السخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) فى اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التى لا قيمة لها . غيره : مرأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبى خراش الهذلى يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصى العير : إذا جاء مستحييا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العج تجعله المرأة فى يدها » . والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء فى الأصل هكذا :

فجاءت كخاصى العير لم تحل حاجة ولا حجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان فى مادتى (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميدانى (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان .

(٣) ياقوت فى (خرثة) : « منهم الحارَكى الشاعر فى أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر فى معجم المرزبانى ٢١٩ برواية خرفة .

(٤) الأبيات فى المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

Marfat.com

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحذَمٌ ٱبنُ واهِصَة الْخُصى يرجو المناكحَ فى بنى الجارودِ[1]
ومِن انتكاس ٱلدهرِ أن زُوِّجتَها ولكلِّ دهرٍ عَثرةٌ بجُدود[2]
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم حيًّا لكان خَصَاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئرٍ فذهبت حَدَبته وصار[3] آدَر فقيل له : كيف تجدك[4] ؟ [فقال] : ٱلذى جاء شرٌّ من ٱلَّذِى ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله[5] قال : خرج معاويةُ ذات يوم يمشى ومَعه خَصِىٌّ له . إذ دخلَ على ميسون ٱبنة بحدل[6] وهى أمُّ يزيد . فاستترت منه فقال : أتستترين منه . وإنما هو مثلُ امرأة ! قالت : تُرَى أنَّ المثلة به تُحِلُّ ما حرَّم ٱلله تعالى ؟ !

ذكر ما جاء فى خصاء الدواب

ذكر آدم بن سليمان عن الشعبى قال : قرأت كتاب [illegible]

---

(١) ط : [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

Marfat.com

تعالى عنــه إلى سعد : يَنْهَى عن حذْف أذناب الخيل وأعرافها ، وعن خصائها ، ويأمره أن يُجْرِىَ من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثَّورى عن عاصم بن عبد ٱللّٰه بن عمر [1] أنَّ عمر رضى ٱللّٰه تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإنمــاء إلاّ فى ٱلذكور .

وشَريك بن عبد ٱللّٰه . قال : أخبرنى إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعى أنّ عمرَ رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خصاءِ الخيل .

وسفيان الثورى عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى ٱللّٰه تعالى عنــه لبعض عماله : لا تُجرِيَنَّ فرساً إلاَّ من المائتين ، ولا تُقْصِيَنَّ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكرَه خِصاءَ الذكور من الابل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أنَّ ابن عمر رضى ٱللّٰه تعالى عنهما كان يكره الخصاء ويقول : لا تقطعوا نامية خَلْقِ اللهِ تعالى .

وعبيد الله وأبو بكر ابنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تُخصَى ذكورُ الخيلِ ، والإبلِ ، والبقر ، والغنم ، ويقول : فيها نشأة لخلق ، ولا تصلح الإناث إلاَّ بالذكور .

---

(١) ... عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر ، وعاصم تكلم فيه بعض علماء الحديث وقد أخرج له البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . وأبو داود والنسائى وابن ماجه . كما فى تهذيب التهذيب ٥ : ٤٥ ، ١٥٣ ، ١٠ : ٢٥٣ ، فليراجع هناك .

Marfat.com

ومحمد بن أبي ذئب[1] قال : سألت الزُّهريَّ : هل بخِصاء البهائم بأس ؟ قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود . أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين . نهى عن صَبْرِ الروح . قالَ الزُّهريُّ : والخِصاءُ صبرٌ شديد .

وأبو جعفرَ الرَّازيّ قال : حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس . عن أنس بن مالك في قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرِمة عن ابن عبَّاس نحوه .

أبو بكر الخلَّال قال : سألتُ حسنَ عن خِصاء الدوب فقال : تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصَى الرجال .

أبو بكر الخلَّال عن عِكرِمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خِصاء الدوب . قال : وقال سعيد بن جبير : [عن عكرمة] . هو دين الله .

نصر بن علي قال : حدثنا قتادة عن عكرمة في قوله ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خصاء البهائم . [تابع عليه قتادة] . هو دين الله .

نصر بن علي قال : أخبرني أبي قال : حدثنا عكرمة عن نصر [تابع عليه] .

قال أحمد بن حنبل في الخصاء : لا بأس به .

Marfat.com

في موضع خطأ الرأى ممَّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان ممَّن له أن يقول [. ولو أنَّ إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : إنَّما يعنى الخِصاء . لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على شيءٍ دونَ شيء . وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصِد به إلى شيءٍ بعينه[1] إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ الآية . أو يكونَ جبريلُ عليهِ السلام قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمر[2] ولا ينوى . ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛ وإنَّما الدلالةُ [في] بِنيةِ الكلام نفسِه . فصورة[3] الكلام هو الإرادة وهو القصد ؛ وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من الناس . تعالى اللهُ عن قول المشبِّهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير[4] عن عمار بن أبى عمار[5] أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قالَ : هو الخصاء .

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِىّ . عن محمَّدِ بن سعيدٍ عن عبادة بن نسىّ . عن إبراهيم بن محيريز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سَلَفِ المسلمين . فى عهد عمر . وعثمان . ومعاوية . رضى الله تعالى عنهم . الخِصْيان ؛ فإنَّها أخفى للكَمِينِ والطلائع . وأبقى على الجَهْدِ .

---

(١) ط : بعينه ولكنه دلَّ على .

(٢) ط : لا يضمر .

(٣) ب : فلصورة .

(٤) ط : جرير في كل موضع يذكره وهو خطأ .

(٥) ل : عن عمار بن أبى عمار .

Marfat.com

أبو جرير قال : أخبرنى ابن جُريج عن عطاء أنّه لم يرَ بأساً بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيُّوبَ عن ابن سيرين . أنّه لم يكن يرى بأساً بالخصاء . ويقول : لو تُرِكت الفحولةُ لأكل بعضُها بعضاً .

وعمرو ويونس عن الحسن : أنّه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عُيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنّه خَصَى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مِغوَل عن عطاء . أنه سئل عن خصاء البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

(أقوال فى النتاج المركب)

ولنُصِلْ هذا الكلام بالكلام فيما قيل فى تحسين نسبه أو فى قبائح الأجناس خلقة . زعموا أن ذئبة ولدت ضبعاً من ثلاث . وزعم غيره أن الضبع ولد الذئب . قال بكميت :

وتجمع المتفرقين من الفحل والضبعين (١)

يريد بأنه خلاصة ما يتجنّب .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

Marfat.com

كالحيَّةِ لا تعرف العِلَل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلاّ بِعَرَض يَعْرِض لها . ويَزْعمون أنّه لا يَعدو شيءٌ كعدو السِّمع . وأنّه أسرعُ مِنَ الريح والطَّير .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعْصِ العواذل وارْمِ اللَّيلَ فى عرض ... بذى شـــبيب يُقاسِى لَيْلَهُ خَبَبَا

كالسِّمع لم يَنقب البَيْطَار سرّته ... ولم يَدِجْه ولم يَغمِز له عَصَبَا (١)

وقَالَ ابن كُناسة (٢) يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُها الظْـ ... ـلُّ وقد صَوَّبَتْ على عِسبار (٣)

وقال سؤر الذئب (٤) :

هو سِمْعٌ إذا تَمطَّرَ شيئـاً ... وعُقابٌ يَحُثُّها عِسْـــبارُ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الضاربِ من الطالب الجادّ . فهو أحث للطالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ فى معنى من يحثُّ الطالب . لشدة إفراطه فى حثّه سببا لإفراط طلبِ العُقاب .

وقال تأبط شرًّا (٥) . [أو أبو خِراش خلف بن حيّان الأحمر] :

---

(١) ... وضع ... الحاجة ... يضع توضع : عرق فى الفخذ .
... المرزبانى ٣٤٠ .

(٢) ... أبو كناسة ... وحوايه فى ل . وله ترجمة فى الموشح بل سماه ... ليبسك .
... ٣٠٤ .

(٣) ... طلوب ... العقاب .

(٤) ... ت ساقطة من ب .

(٥) ... ابن أخت تأبط شرًّا ... والقصيدة فى حماسة أبى تمام (١ : ٣٤١ — ٣٤٧) .

Marfat.com

مُسْبِلٌ بالحىِّ أحوى رِفَلٌّ وإذا يَعْدُو فسِمْعٌ أَزَلُّ

وإنّما قال أَزَلّ وجعَلَه عاديا ووصفهُ بذلك . لأنّه ابن الذئب .

وقال الأصمعى :

يدير عينى لمظةٍ عِسبارَه[1]

وقال فى موضع آخر :

كأن منها طرفه استعارَه[2]

وقال آخر :

تَلقى[3] بها السَّمْعَ الأَزَلَّ الأطلسا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أنّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَّيْسم . وروى ابشار بن [illegible]
فى ديسَم العنزى أنّه قال :

أديسمُ ابن الذئب من [illegible]

[illegible]

وزوج [illegible] الذئب . يقال للكلاب بلاء .

ازم لأرسله فى [illegible]

وزعم [illegible]

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

٨٥ المتلاقِحات مع آختلاف الجنس والصورة . معروفة النتاج مثل الذئاب التى تسفَد الكلابَ فى أرض رُومِيَة . قال : وتتولَّد أيضا كلابٌ سَلوقيةٌ من ثعالبَ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذى يسمَّى باليونانيَّة طاغريس[1] وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا] أنَّ نِتاجَ الأولَى يخرُج صعباً وحشيًّا لايلقَّن[2] ولا يؤلَف .

(تلاقح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أنَّ الكلبة تعرض لهذا السبع حتَّى تلقَح . ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليلَ الصعوبة يقبلُ التلقين . وأنَّهم يأخذون إناثَ الكلاب . ويربطونها فى تلك البرارىّ . فتجىء هذه السباعُ وتسفَدُها . وليس فى الأرض أنثى يُجتَمَع على حبِّ سفادها . ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناسِ المختلفة . أكثرَ فى ذلك من الكلب والكلبة .

قال : وإذا رَبَطوا هذه الكلابَ الإناثَ فى تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفِدَتها . وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان[3] :

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفى ط : طاغويس .

(٢) كذا فى ل ونهاية الأرب . وفى ط : يلقن .

(٣) قال الجاحظ فى شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلٌ أدرى بصنوف العلم . ولا أحسن بيانا من أبى الوزير ، وأبى عندنا المعلمين ، وحدثنى من أول ما أذكر =

Marfat.com

أيا باكيَ الأطلالِ في رَسْمِ دمنةٍ
تَرُودُ بها عِينُ المَهَا والجآذرُ
وعاناتُ جَوَّالٍ وهَيْقٌ سَفَنَّجٌ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ (١)
وسِمْعٌ خَفِيُّ الرَّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَلٌ
وشَرْمَلَةٌ تعتادها وعَسَابِرُ (٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل . وما نظنُّ بمثله أن يتكل على نفسه في الكتب شهادةً لا يحقّها الامتحان . ولا يعرف صدقَها إلا بشاهدة من العلماء . وما علمنا في معرفة ما ادّعى إلا هذا نقول .

وأمّا الذين ذكرهم في أشعارهم السَّمْع وغيره . فليس في شيء كلامهم دليلٌ على ما ادّعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف . فأمّا الذي قالوا وأمكن من الشدة . إذا خبت ... [illegible]

(أولاد السعلاة)

[illegible]

(١)

(٢)

Marfat.com

التى أقامت فى بنى تميم حتى وَلَدت فيهم ، فلمَّا رأتْ برقاً يلمَعُ من شقِّ بلاد السَّعالِى . حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رأى بَرْقاً فأوْضَعَ فوْقَ بَكْرٍ فَلَا بِكِ ما أسَالَ وما أغاما (٢)

٨٣ وأنشدنى أن الجنَّ طرقوا بعضَهم فقال (٣) :

أتَوا نارى فَقُلْتُ مَنُونَ أنتمْ فقالوا الجِنُّ قلتُ عِموا ظَلامًا

فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهم زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما

ولم أعِب الرواية . وإنَّما عبتُ الإيمانَ بها . والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثرَ من يَروى هذا الضربَ على التعجُّبِ منه . وعلى أن يجعَلَ الرواية [له] سبباً لتعريفِ النَّاس حقَّ ذلك من باطِلِه . وأبو زيدٍ وأشباهُه مأمونون على النَّاس . إلَّا أنَّ كلَّ من لم يكن متكلِّماً حاذقاً . وكان عند العلماء قليلَ رِوايةٍ . فما أقربَ إفسادَه لهم من إفسادِ المتعمِّد لإفسادهم !

وأنشدوا فى تثبيتِ أولادِ السعلاة :

لتَنزِلْ جمعٌ من بُوانَ ووَتِدْ وحَسَنٌ أنْ كلَّفَتْنِى ما أجِدْ (٤)

أو تتلُ حِرْباءُ بأبانٍ أو أُحُدْ (٥) أو ولدِ السَّعلاةِ أو جِروِ الأسَدْ

أو ملكِ الأعجامِ مأسوراً بقِدْ (٦)

---

(١) [illegible] يروى [illegible] حلمة . كما فى مراصد [illegible] ١٤٦ .

(٢) [illegible] موضع [illegible] وما أثبته من ل ومن الموشح .

(٣) [illegible] (أو نحو) [illegible] كما فى [illegible] ٢٠٠ [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible] كذا فى [illegible] وفى [illegible] [illegible] وفى

[illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible] وفى [illegible] [illegible]

[illegible]

Marfat.com

وقال آخر[1] :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السَّعلاةِ عمراً وقابوساً شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا فى جرهم)

وذكروا أنَّ جُرهُماً كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم . وكان الملكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه فى السماء أهبطه إلى الارض فى صورةِ رجل . وفى طبيعته . كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهم وشأنِ الزُّهَرة . وهى أناهيد[2] ما كان . فلمَّا عصى الله تعالى بعضُ الملائكة وأهبطَه إلى الأرض فى صورة رجل . تزوَّج امرأة جُرهمى فولدت له جُرهما . والسَّلَف قال شاعرهم[3] :

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

سبأ . وكذلك كان ذو القرنين كانت أمُّه فيرى آدميَّة وأبوه عبرى[1] من الملائكة . ولذلك[2] لما سمع عمرُ بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين . فقال : أفرَغْتُمْ من أسماءِ الأنبياء فارتفعتم إلى أسماءِ الملائكة ؟ .

وروى المختارُ[3] بن أبى عبيد أنَّ عليًّا كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك لَمَلَك الأمرط .

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أنَّ التناكُح والتلاقُح قد يقع بين الجنِّ والإنس . لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنِّيَّاتِ إنَّما تعرِض لصَرْع رجالِ الإنس على جهة العشق وطَلَبِ السِّفاد[4] ، وكذلك رجال الجنِّ لنساء بنى آدم . ولولا ذلك لعرض الرِّجالُ للرِّجال . والنساءُ للنساء . ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصَّرْعَ من المِرَّة . ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجانُّ لا يفتضُّ

---

(١) فى ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ سامى « قيرى » . و « عبرى » بعدها فى الرسائل : « عيرى » .

(٢) فى ولاهرد « ذلك » بدل « ولذلك » .

(٣) هو المختار بن أبى عبيد الثائر على بنى أمية . وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الفرقة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) فى ل : « النساء » وليس بشىء .

Marfat.com

الآدَمِيَّاتِ ، ولم يكنْ ذلك قطُّ . وليس ذلك فى تركيبِه . لمَا قال الله تعالى هذا القَول .

(ما زعموا فى النسناس وغيره)

وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبٌ ما بين الشِّقّ والإنسان . ويزعمون أنّ خلقًا من وراء السدّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ . والناس . والشقّ . ويأجوج ومأجوج .

وذكروا عن الوَاقواق والدوَال باى (١) أنهم نتاجُ ما بين بعض النَّبات والحيوان .

وذكروا أنّ أمَمًا كانت فى الأرض . فأمرَ الله تعالى الملائكة فأجلوهم .

وإبليسُ عنوا بقوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . وذلك قال الله عز وجل لآدم وحواء : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ . فهبط من هناك وظلمًا قد كان فى الأرض .

قال الأصمعى : [illegible]

عمر الدنيا :

أرقش [illegible]

حالمًا [illegible]

قال : وذان قال [illegible]

Marfat.com

(قول المجوس فى بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهنينة . وأنَّهما تولدا فيما بينَ أرحام الأرَضين . ونطفتين ابتدرتا[1] من عينَى ابن هُرمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنَين كثيرةٌ فِى هذا الباب . ولولا أنِّى أحببْتُ أن تسمَعَ نوعا من الكلام . ومبلغَ الرأى . لتُحدِثَ لله تعالى شكراً على السلامة ؛ لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالمكوفة فتًى من ولد عبد الله بن هلال حميرى[2] . صديق إبليس وختَنِهِ . وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جدُّه من قِبَل أمَّهاتِه . وسنقولُ فى ذلك بالذى يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَةَ هذا الكلام تجىءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار فى الكلب والديك)

٨١ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وضباعه . لما ألف الإنسانَ . واستوحَشَ من السبع . وكره الغياض . وألِف الدُّور . واستوحَشَ من الوحوش وجانب القفار . وألِفَ المجالسَ والدِّيار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

---

(١) ا ط : حضرت .

(٢) كان فى زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبذة وتزويجات . يدعى أن إبليس يتراءى له ويعلمه ويأتيه بما يريد من أمر الدنيا . انظر الكتاب ٥٧ .

Marfat.com

فى الطبع والخلق والغِذاءِ . لما أكل الحيوانَ . وكَلِب على النَّاس . نعمْ حتَّى رُبَّما كلِب ووَثَبَ على صاحبِه وكلِبَ على أهله . وقد ذكر ذلك طرفةُ فقال :

كُنْتَ لَنَا والدُّهورَ آونةً تَقْتُلُ حالَ النَّعيمِ بالبُؤُسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وقد تَرَبَّبَه[1] يَعْلُه بالحَلِيبِ فى الغَلَسِ
ظلَّ عليه يوما يُفَرْفِرُه إلاَّ يَلَغ فى الدِّماءِ يَلْتَهِسِ

وقال حاجب بن دينار[2] المازنىُّ فى مثل ذلك :

وكَمْ من عدُوٍّ قد أعنتَّ عليكَ بمالٍ وسُلطانٍ إذ سَلْمُ لَخْبَالِ
كذِى الكلبِ لمَّا أسمَنَ الكلْبَ رَبَّهُ

بحلتى لذِى حينَ فارقه جهلِ

وقال عوف بن الأحوص[3] :

فإنَّى وقيسا كالمصِرِّ كلبُه تخيَّلَه فيما يرى وتخيَّلا

وأنشد ابن الأعرابى لبعضهم[4] :

وهُمْ سَمَّنُوا كلبا ليأكلَ بعضَهُ وفى ظفره بالخاذ ما تحمل الخبل

وفى المثل[5] : سمِّن كلبك يأكلك .

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجَّاج بن يوسف ؛ وكان يحضُر طعامَه . فكتب إلى أهله يخبرُهم بما هو فيه من الخصْب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته (١) :

أتُهدِين لىَ القِرطاسَ والخبزُ حاجَتِي ... وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطِينُ
إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإن تقمْ ... فأنتَ على ما فى يَدَيك ضَنِينُ
فأنت ككَلْبِ السَّوْءِ فى جُوعِ أهلِه ... فيُهْزَلُ أهلُ الكلب وهو سَمِينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوعِ أهلِه » . وذلك أنه عند السُّواف (٢) يصيب المال . والإخداجِ (٣) يعرض للنُّوق ؛ [يأكل الجيفَ فيسمَن (٤)] . وعلى أنه حارِسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاش من نفسه ، وأليفٌ كثيرِ الخيانةِ على إلفِه . وإنما اقتنوه على أنْ ينذِرَهم بوضع السارق ، وتركوا طَرْده لينبِّههم (٥) على مكان المبيَّت . [وهو أسرقُ من كل سارق ، وأدهى جِنايةً من ذلك المبيَّت] . ويدلُّ على أنه مسروقٌ عندَهم ، قولُ الشاعر :

أبَى أنْ سَرَى كلبٌ فبيَّت جُلَّةً ... وجَبْجَبَةً لم يَطْب لَيْلَى تَطَلُّقُ (٦)

---

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ط : « الصوف » ، وإنما هو بالسواف ، كما فى ل . والسواف الكذاب : الذى لا يفى بما يَعِد .
(٣) أخدجت الناقة : ألقت ولدها ناقصا .
(٤) هذا مثل يضرب للكذاب ، اعتمادا على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٠ . وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .
(٥) فى الأصل : « لينبههم » ، ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعن . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥١ .
(٦) فى ل : « أبى أن سرى ... » ، وفى ... « مكان جبة » . وتصحيح البيت فى ل والمعانى (حبب) . وذيله ... مسن ... وفى ... « نبيل » . والجلة ، بالضم : ... يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين وضمهما : ... يجعل فيه لحم ليتبلغ بزاده فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب ... يشوى ويجعل فيه لحم ليتبلغ به فى الطريق . والتطلق : ... يقل إفادة ثم يفاد ، ... أبق ما يكون .

Marfat.com

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاس . ألا إنّه يجمعُ سِرقة الليل مع سرقة النّهار . ثم لا تجده أبداً يمشى فى خِزانةٍ . أو مطبَخ . أو عَرْصةِ دار . أو فى طريقٍ . أو فى بَرارىَّ . أو فى ظهرِ جَبل . أو فى بَطْن وادٍ . إلاَّ وخطمُه فى الأرض يتشمَّم ويستروح . وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَّاءَ[1] ودَوِّيَّةً ملساءَ . أو صخرةً خلقاء ، حرصا وجشعاً وشرها وطمعا . نعم حتَّى لا تجده أيضا يرى كلبا إلاَّ اشتمَّ استه . ولا يتشمَّم غيرهَا منهُ . ولا تراه يُرمَى بحجر أيضاً أبداً إلاَّ رجَع إليه فعضَّ عليه . لأنّه لَمَّا كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئا رمَوا به [إليه] صار ينسَى لفرْط شرَهه وغلَبة الجشع على طبعه . أنَّ الراميَ إنّما أراد عقْرَه أو قتله . فيظنّ لذلك أنّه إنّما أراد إطعامه والإحسان إليه . كذلك يخيَّل إليه فرْط النَّهم وتوهّمه فلبئس الشرَه . ولكنّه رمَى بنفسه على الناس عجزا ونَوْما . وفسّر [...] . خوفَ السباع واستوحش من الضّحاك .

ولقد سمعتُ بعضَ المفسّرين يقول فى قوله تعالى : « والذين فى أموالهم حقٌّ معلوم » . للسائل والمحروم . إنّ السائل هو الكلب . والمحروم هو [...] منه [...] فى ذلك لا يحسن إلاَّ من سفلتهم وأغبيائهم . ومن قلّ تقدّمه [...] جهله . وهذه الآثار إذا جهلا وإذا عرفا .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

أربابها ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا ممَّا [١] يطرِب بصوته ويُشجِى بلحنه ، كالقَمارىِّ والدَّباسىِّ والشَّفَانين [٢] والوراشِين والبلابل والفواخت ، ولا ممَّا يُونِق بمنظره ويمتع الأبصارَ حسنُه ، كالطواويس والتَّدارِج ، ولا مما يعجِب بهدايته ويُعقَد الذمام بإلْفه ونِزاعه ، وشدَّةِ أُنسه وحنينه ، وتُريده بإرادته لك ، وتَعطِف عليه لَحبِّه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات [٣] الطيران منها ، فهو طائرٌ لايطير ، وبهيمةٌ لا يَصيد ، ولا هو أيضاً ممـا يكون صيداً فيمْتِـع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللَّذة .

والخُفَّاش أمرَطُ ، وهو جيِّدُ الطيرَان . والدِّيكُ كاسٍ وهو لا يطير .

وأىُّ شىءٍ أعجبُ من ذى ريشٍ أرضىٍّ ، ومن ذى جلدةٍ هوائىّ .

٩٠ وأجمعُ الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزِّواجُ إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمَّ كان ممن لا يزاوج ، لقد كان قد مُنِـع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكَلَة الغريبة ، وحُرم هذا السَّببَ الكريم والشِّبْه المحمود . فكيف وهو لا يزاوج ، وهو من الطيرِ الذى ليس الزواجُ والإلْف وثباتُ العهْد ، وطلَبُ الذرء وحبُّ النَّسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شىء لا يزاوج فإنَّما دخله النقصُ وخسِر هذه الفضيلةَ من جهةٍ واحدة . وقد دخل الديكَ النقص

---

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبته ، فى ل .

(٢) ط : « الشغانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

Marfat.com

مِنْ جهتين . ووصف أبو الأخزَر الحِمَّانىُّ الحِمارَ وعَيْر العانةِ خاصَّة[١] ، فإنَّه أمثلُ فى باب المعرفة من الأهْلىّ . فذكر كيف يضرِب فى الأُتُن ، ووصَفَ استبهامَه عن طلب الولد ، وجهلَه بموْضِع الذَّرْء . وأنَّ الولدَ لم يجىء منه عن طلبٍ له . ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام . إذا لاقت الأرحام البريئة مِن الأسقام حَدَث النِّتاج على الخلقة . وعلى ما سوِّيت عليه البِنية[٢] . وذكر أنّ نزوَه على الأتان . من شكل نَزْوه على العير . وإنَّما ذلك على قدْر ما يحضُره من الشَّبَق . ثمَّ لا يلتفِت إلى دُبرٍ من قُبُل . وإلى ما يَلقَحْ [من مثله مِمَّا لا يُلقَحُ] فقال :

لا مُبْتَغِى الضَّنْءِ ولا بالعازِل[٣]

يقول : هو لا يريد الولَد ولا يعزل .

والأشياء التى تألفُ الناسَ ولا تريد سوادهم . ولا تحنُّ إلى غيرهم . كالعصفور والخطّاف والكلب والدَّجاج . ولذلك لا يألفُ منزله ولا يعرفه ولا يُنازِع[٤] إلى دجاجته ولا طروقته . ولا يحنُّ إلى ولده . ولهذا قطعُ أنّ له ولدا . ولو درَى لكان على دربه دليل . وهو مع ذلك البيضة[٥] وفرّيخه لكالئة له . كما تجدُه لولده وهنّ غير ولا يرجع إلى نسبه . فلكفّ تعرف لأمه إلا بما

(١) ط : [illegible]

(٢) ط : [illegible]

(٣) ط : [illegible]

(٤) ط : [illegible]

(٥) ط : [illegible]

Marfat.com

أبلَهُ لا يعرِف أهلَ دارِه . ومبهوتٌ لا يُثْبِتُ وَجهَ صَاحِبه . وهو لم يُخْلَق إلاَّ عندَه وفى ظلِّه . وفى طعامِه وشرابِه . وتَحْتَ جناحه .

والكلْبُ على ما فيه يعرف صاحبَهُ . وهو والسِّنَّور يعرِفان أسماءهما . ويألَفَان موضعَهما . وإن طُردا رَجعا . وإن أُجيعا صَبَرَا . وإن أُهينا احتملا .

والديك يكون فى الدار من لَدُنْ كانَ فَرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً . وهو إن خرَج من باب الدار . أوسقط على حائط من حيطان الجيران . أو على موضعٍ من المواضع . لم يعرِفْ كيف الرُّجوعُ . وإن كان يُرَى منزلُه قريباً . وسهل[1] المطلبِ يسيراً . ولا يَذكُر ولا يتذكَّر . ولا يهتدى ولا يتصوَّر له كيف يكون الاهتداء . ولو حنَّ لَطَلَبَ . ولو احتاج لالتمس . ولو كان هذا الخبرُ فى طباعه لظَهَر . ولكنَّهَا طبيعةٌ بلهاءُ مستبهمة . ضائحة[2] وذاهلة . ثمَّ يسفَدُ الدَّجاجةَ ولا يعرفها . هذا مع شدَّةِ حاجته إليهنَّ وحِرصِه على السِّفاد . والحاجةُ تَنتِقُ الحِيلَة . وتَدُلُّ على المعرفة . إلاَّ ما عليه الديك . فإنَّه مع حِرصِه على السِّفاد . لا يعرفُ التى يسفَد . ولا يقصِد إلى ولدٍ . ولا يحفَظ بيضاً ولا يعطِفه رَحِمٌ . فهو من هاهنا أحمقُ من الحُبارَى وأعقُّ من الضَّبِّ .

٩١

وقال عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه : « كلُّ شىءٍ يحبُّ ولدَه حتى الحُبارَى » . فتضرِب[3] بها المثلَ كما ترى فى الحُمق والغفْلة . وفى الجهل والبَلَه . وتقول العرب : « أعَقُّ من الضَّبِّ » . لأنَّه يأكلُ حُسُولَه .

---

(١) ط : سهل .

(٢) لعلها ضائحة .

(٣) الضمير يرجع إلى العرب . فعل ...

Marfat.com

(أكل الهرة أولادها)

وكرُمَ عند العرَب حظُّ الهرَّة . لقولهم : « أَبَرُّ مِنْ هِرَّة . وأعقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوَجَّهوا أكلَ الهرَّةِ أولادَها على شدَّة الحبِّ لها . ووجَّهوا أكْلَ الضبِّ لها على شدَّةِ البغْض لها . وليس ينجو مِنْهُ شيءٌ منها إلاّ بشغْلِه بِأَكْلِ إخْوته عنه . وليس يحرسُها ممَّا يأكلها إلاَّ ليأكلها . ولذلك قال العَمَلَّسُ ابن عَقيل . لأبيه[1] عَقيل بن عُلَّفَة :

أكلْتَ بَذِيكَ أكْلَ الضبِّ حتى ... وَجدتَ مَرارةَ الكلإ الوبيل

فلو أنَّ الأُلَى كانوا شهودا ... منعْتَ فناءَ بيتك من نخيل

وقال أيضاً[2] :

أكلْتَ بَذِيكَ أكلَ الضبِّ حتَّى ... تركْتَ بَذِيكَ ليْسَ لهُمْ عديل

وشبَّه السَّيِّدُ بن محمَّد الحميريُّ . عائشة رضي الله تعالى عنها في تعصبها خروجَ يوم الجمل لقتال بنيها . بالهرَّة حين تأكل أولادها . فقال :

جاءتْ مع الأشقين في هودج ... تأجج بالبغي لهيبه وجنادها

كأنَّها في فعلتيها هرَّة ... تبغي على أولادها

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : أحمقُ من جهيزة . وهي هرَّة أكلت ولدها وتركت ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول بن جلدل الطعان[3] .

كهرَّة ضيعة أولاد أخرى ... وضيعت بنيها فلم ترع

---

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إذا صِيدَت أو قُتلت . فإنَّ الذئب يأتى أولادَها باللحم . وأنشد الكُميت :

كما خَامَرَتْ فى حِضْنِها أمُّ عامرٍ لِذِى الحبل حتى عَالَ أوسٌ عِيالَها (١)

وأوس هو الذئب . وقال فى ذلك :

فى كلِّ يومٍ من ذُؤَالَه ضِغْثٌ يَزيد على إبَالَه

فلأُحْشــأنَّك مِشْقَصاً أوساً أُويسُ من اهباله (٢)

الأوس : الإعطاء . وأويس هو الذئب . وقال فى ذلك اخذلىّ (٣) :

يا ليتَ شعرى عنك والأَمْرُ أَمَمْ ما فَعَلَ اليومَ أُويسٌ فى الغنمْ

وقال أميَّةُ بن أبى الصَّلْت :

وأبو اليتامى كانَ يُحْسِنُ أوبهم ويَحُوضُهم فى كلِّ عامٍ جامدِ (٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامة » كما يقولون : « أَشْرَدُ مِنْ نعامة » قالوا ذلك لأنَّها تدَعُ الحَضْنَ على بيضِها ساعةَ الحاجة إلى الطُّعم . فإن هى

---

(١) ل : « لمى خبر » وفى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية ابن منظور نسبت فى مادة (وس) ، قال أوس » . وتفسيرها بقوله : « أكل جراءها » لما لم يستقم له الاستشهاد بما استشهد له الجاحظ .

(٢) ل : « فلأحشأنك » والصواب ما فى ن . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاقتضاب . وحشأه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة كما فى ســ (أبن) .

(٣) الشعر فى اللسان (وخذ) منسوب إلى عمرو بن الكلب . وهو هذلى كما فى الأغانى .

(٤) ط : « جاحد » . وعام جامد : عام الجدب والقحط وامتناع الغيث .

Marfat.com

فى خروجِها ذلك رأتْ بيضَ أخرى قد خرجت للطُّعم، حضَنت بيضَها ونسِيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعَرَاء حتَّى تهلِك .

قالوا : ولذلك قال ٱبن هَرْمة[1] :

فإنِّى وتَرْكى نَدَى الأكرَمِينَ وقَدْحِى بكَفَّىَ زَنْدًا شَحَاحا

كتاركةٍ بيضَها بالعَرَاء ومُلبِسةٍ بَيضَ أخْرَى جناحا

وقد تحضُن الحمامُ على بيض الدَّجاج ؛ وتحضُن الدَّجاجةُ بيضَ الطاوُس . فأمَّا أن يَدَعَ بَيضَه ويحضُنَ بيضَ الدَّجاجة . أو تَدَعَ ٱلدجاجةُ بيضها وتحضُن بيضَ الطاوس فلا . فأمَّا فَرُّوجُ ٱلدَّجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنَّه يكونُ أكيسَ . وأمَّا الطاوُس ٱلذى يخرج من تحت الدَّجاجة فيكون أقلَّ حسناً وَأَبْغَضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضة فى الأرض فإنَّ اسمَ ٱلذى فيها يتى خرُج منها فرخ . إلَّا بيضَ ٱلدجاج فانَّه يسمى فرُّوجا . ولا يسمَّى فرخا . الا انَّ [illegible] يجعلون الفرُّوج فرخا على التوسُّع فى الكلام . [illegible] لايجيزونها فى غير الشعر . قال الشاعر :

لعَمْرِى لأمْوتُ [illegible] أحبُّ إلينا من فرخ دجاج [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وقال الشَّمَّاخ بن ضِرار [١] :

ألا مَنْ مُبلغٌ خاقانَ عنِّى تأمَّلْ حِينَ يَضرِبُك الشِّتاءُ
فتجعل فى جنابك من صغير [٢] ومن شيخٍ أضرَّ به الفَناءُ
فراخ دَجاجةٍ يَتْبَعْنَ دِيكاً يَلُذْنَ به إذا حَمِس الوَغَاءُ

[فإنْ] قلت : وأىُّ شىء بلَغَ من قدْر الكلبِ وفضيلةِ الديك ، حتَّى يتفرَّغ لذكر محاسِنهما ومساويهما . والموازنةِ بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيةِ المتكلِّمين . ومن الجلة [٣] المتقدِّمين . وعلى أنَّهما متى أبرما هذا [٤] الحكمَ وأفصحا بهذه القضيَّة ، صار بهذا التدبير بهما حظٌّ وحكمة وفضيلة وديانة ، وقلدَهما كلُّ مَن هو دونَهما ، وسيعودُ ذلك عذراً لهما إذا رأيتهما يوازيان بين النَّبَّان [٥] وبناتِ وَرْدانَ ، وبين الخنافس والجعْلان ، وبين جميع أجناس الهمَج وأصناف الحشراتِ ، والخشاش ، حتَّى البعوض والفَراش والديدان والقِردان [٦] فإن جاز هذا فى الرأى وتمَّ عليه العمل ، صار هذا الضَّربُ من النظر عِوضاً من النَّظَر فى التوحيد ، وصار هذا الشكلُ من التمييز خلَفاً من التعديل والتجوير . وسقَط القولُ فى الوعد والوعيد . ونُسى القياسُ والحكم فى الاسم ، وبطَلَ الردُّ على أهلِ الملل . والموازنةُ بين جميع النِّحَل ، والنظرُ فى مراشد الناس ومصالحهم ، وفى منافِعهم ومَرافقهم ، لأنَّ قلوبَهم لا تتَّسع للجميع ، وألسنَتهم لا تنطلِق بالكلّ . وإنَّما الرأىُ أن تَبدأ من الفتق بالأعظم . والأخوف فالأخوف .

---

(١) فى (١ : ٥٠) أنه شماخ بن أبى شداد .
(٢) ب : حبلك ، موضع « جنابك » .
(٣) ب : الجلة .
(٤) ط : ادعا .
(٥) ب : ... أبناهم يوازنون .. الخ ... ط : الذباب ، موضع « النبان » .
(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر فى أعطان الإبل .

Marfat.com

وقلتَ : [و] هـذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف[1] وطريق من طرق المزاح . وسَبيلٌ من سُبُل المضاحك . ورجالٌ الجِدِّ غير رجالِ الهزْل . وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ . ولولا التحصيلُ والموازَنة . والإبقاء على الأدب . والدِّيانة بشدَّة المحاسبة . لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مَقال . ولكلِّ زمان رجالٌ . ولكلِّ ساقطة لاقطة . ولكلِّ طعامٍ أكلة[2] .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسان فيه آلة مُرْفِق من المرافق . وأداةٌ لمنفعة[3] من المنافع . ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركة وإنْ أبطأت . ولا بدَّ لذلك الكامن من ظهور . وإنْ لم يكنْ ذلك بعنف . وإلاَّ سرى إليه كل [illegible] يسري السمُّ في البدن . وأنتَ لا تنفي العرق . كما أنَّ [illegible] والحبَّة الوحشية لكلمة في وجه الأرض . لا [illegible] من حركة [illegible] زمان حركة . [illegible] الأعضاء [illegible] بالحال التي هي لم يشبهه قولك . [illegible] :

ولا بدَّ [illegible] من [illegible] :

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

[وقال (١)] :

* ولا بدَّ من شَكوَى إذا لم يكنْ صَبر *

ولذلك صارَ طلبُ الحسابِ أخفَّ على بعضهم ، وطابُ الطِّبِّ أحبَّ إلى بعضهم . وكذلك النِّزاع إلى الهندسة ، وشغَفُ أهلِ النُّجوم بالنُّجوم . وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعد الكِبْرَة . وصَرَف (٢) رغبتَه إليه بعد الكهولة ، على قدر قوَّة العِرْق فى بدنه . وعلى قدْر الشَّواغلِ له وما يعترضُ عليه : فتجد واحداً يَلهج بطلب الغِناء واللحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال ، حتى يَكْتَتِبَ مع (٣) الجُند ، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقا . وآخر يختارُ طلبَ الملك ، وتجِدُ حرصَهم على قدر العلل الباطِنة المحرِّكة لهم . ثمَّ لا تَدْرِى كيف عرضَ لهذا هذا السّببُ دونَ الآخَرِ إلاَّ بجملة من القول ، ولا تجدُ المختارَ لبعض هذه الصناعات على بعضٍ يعلَمُ لم (٤) اختارَ ذلك فى جملةٍ ولا تفسير ، إذْ كان لم يَجْرِ منه عَلَى عِرْق ، ولا اختارَه على إرْث .

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ فى طباعه سببٌ يَصِل بينه وبينَ بعض الأمور ويتْرُكه فى بعض الجهات . ولكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنِّيا وهو لا طبعَ

---

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذى قبله بيت واحدا ، وذلك لايستقيم . والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام . والذى عجز بيت صاره كما فى البيان ٣ : ٢٢٠و٤ : ٦٣ :

وما كثرة الشكوى بنُمر حزامة *

(٢) ط : « وصرف » .

(٣) ل : « يكتب » ، وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان .

(٤) ط : « لم » .

Marfat.com

له فى معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسَن[1] ؛ فيكون إن فاته أن يكون معلِّماً ومغنِّيَ خاصَّة أنْ يكون مُطرباً ومُغَنِّيَ عامّة . وآخر قد ماتَ عَلَى أن يُذكَر بالجود ، وأن يسخَّى على الطعام ، وهو أبخلُ الخلق طبعاً . فتراه كلفاً باتِّخاذ الطيِّبات ومستَهتَراً بالتكثير منها ؛ ثمّ هو أبداً مفْتَضِحٌ وأبداً منتقِض الطِباع ، ظاهرُ الخطإِ ، سيِّئُ الجزع عندَ مؤاكلةِ من كان هو الداعىَ له . والمرسِلَ إليه ، والعارفَ مقْدارَ لَقْمِه ونهايةَ أكله .

فإنْ زعمتم أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنَّما هو رهنٌ بأسبابه . وأسيرٌ فى أيدى عِلَله ؛ عذَرتم جميعَ اللئام وجميع المقصِّرين . وجميعَ المخاسيق والضالِّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دونَ التسخير . أفليس من أعجبِ العجَب ومن أسوإِ التقدير التمثيل[2] بين الديكة والكِلاب . ٩٥

قَدْ عَرَفْنا قولَك . وفهِمْنا مذهبَك .

فأمَّا قولُك : « وما بلَغ من خَطَر الديك وقدر الكلب فإنَّ هذا وأخوَه كلامُ عبدٍ لم ينفَهِمْ عن ربِّه . ولم يعقِل عن سيِّده . إلاَّ بقدْر خدمةِ العادةِ أو الطبقةِ التى تلى العادة . كذلك . فهِمتُ كلَّ ما تعلن . وتقنُّ من خلْق الحيَّةِ والعقرَب . والتدبيرَ فى خلق الفراش والذباب . وحكمتَه فى خلق الذئاب والأسدِ وكلِّ مبغَض إليك أو متضرِّر بشىء . أو مسخَّط لك فى شىء عليك . أن التدبير فيه مشكل أو ناقص . وأن حكمته فى [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

(مصلحة الكون ، فى امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ فى أمرِ ٱبتداء ٱلدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارِّ بالنافع ، والمكروهِ بالسارِّ ، والضَّعَةِ بالرِّفعة ، والكَثْرة بالقِلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هلَكَ الخلقُ . أو كان الخيرُ مَحْضاً سقطت المِحْنة وتقطَّعَتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَم الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة . ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز . ولم يكن للعالِمِ تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيُّن . ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة[1] . ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شكرٌ على محبوب . ولا تفاضُلٌ فى بيانٍ ، ولا تنافس فى درجةٍ . وبطلَت فَرحةُ الظَّفَر وعزُّ الغلبة . ولم يكن على ظهرها مُحِقٌّ يجد[2] عزَّ حق . ومُبْطِلٌ يجد ذِلَّة[3] الباطل . ومُوقِنٌ يجد[4] بَرْدَ اليقين . وشاكٌّ يجد[5] نقصَ الحَيرةِ وكَرْبَ الوُجوم ، ولم تكن للنفوس آمالٌ ولا تتشعَّبُها الأطماع . ومَن لم يعرف كيف الطَّمعُ لم يعرف اليأس . ومن جَهِل اليأسَ جَهِلَ الأمن . وعادت الخالُ من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السِّباع والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حال النجوم فى السُّخْرة ، فإنها أنقص من حالِ البهائم فى الرُّتْعَةِ . ومَنْ هذا الذى يسرُّه أن يكون

---

(١) فى ا : المنفعة ، وموضع ما بين ٠٠ و ٠٠ مضرة ، وموضع مضرة ، و منفعة موضع منفعة .

(٢) فى ا : ٠٠٠

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلج . أو برجًا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛ أو يكونَ المجرَّةَ بأسْرها . أو مكيالًا من الماء أو مقداراً من الضواء ؟! وكلُّ شيءٍ فى العالم فإنما هو للإنسان ولكلِّ مختبَرٍ ومُختَار . ولأهل العقول والاستطاعة . ولأهل التبيُّن[1] والرويَّة .

وأين تقعُ لذَّة البهيمة بالعَلُوفة . ولذَّة السبع بلَطْع الدَّم وأكل اللحم — من سرورِ الظَّفَر بالأعداء ؛ ومن انفتاح باب العفو بعد إدْمان التقرُّع ؟ وأين ذلك من سرورِ السُّؤدَد ومن عزِّ الرياسة ؟ وأين ذلك من محلِّ النُّبوَّة والخلافة . ومن عزِّهما وساطع نورهما . وأين تقعُ لذَّةُ درْك الخوص الذى هو مملوءٌ المطعَم والمشرب . ومملوءٌ الصوت المطرب والمكان الذى والملمسة[2] الذى — من السرور بلفظ الشكر . ووجوه الشكر . وبما يُوجب الشكرَ من الطاعة ومزيده من حيث لا

[illegible]

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Marfat.com

الأرواحُ من معانيهـا ، والعقولُ من ثِمارها ، ولعَدِمت الأشـياءُ حظوظَها وحقوقَها .

فسبْحَان من جعل منافعَها نعمةً . ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ، وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلم ، وبين مؤنِسٍ ومُوحش ، وبين صَغيرٍ حقير وجليل كبير ، وبين عدوٍّ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالمٍ يَمْنَعُكَ ، وبين مُعينٍ يعضُدك ، وجعَل فى الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمُّ النعمة . وفى بطلانِ واحدٍ منها بُطلانَ الجميع ، قياساً قائما وبرهاناً واضحاً . فإنّ الجميع [1] إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمّ إليهما ، ولأنّ الكلَّ أبعاضٌ . ولأنّ كلَّ جُثَّةٍ فمن أجزاء ، فإذا جوَّزتَ رفْعَ واحدٍ والآخرُ مثلُه فى الوزن وله مثلُ علّتِه وحظِّه ونصيبِه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثانى فى الوقت [2] الذى رجوتَ فيه إبطالَ الأوّل . والثانى كذلك والثالثُ والرابع ، حتّى تأتىَ على الكلِّ وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسباب المقيَّدة [3] ؛ ألا ترى أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة . وليس الطاوسُ المستحسنُ بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخِنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنْ اختلفا فى جِهَة البرودة والسُّخونة ، فإنّهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدَّلالة .

وأظنُّك ممَّن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأن

---

(١) من كلمة « قياسا » سقط الكلام فى ل إلى هنا .
(٢) ط : « الوقت » وهو تحريف .
(٣) ط : « المضمنة » مكان « المضمنة » ، و « مقيدة » مكان « المقيدة » وهو تحريف .

Marfat.com

التُّدْرُجَ[1] أعزُّ على الله تعالى من الحِدَأةِ ، وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنّما هذه أمور فرّقها الله تعالى فى عيون الناس ، وميَّزها فى طبائع العباد ، فجعَلَ بعضها بهم أقربَ شبها ، وجعل بعضَها إنسيًّا ، وجعل بعضَها وحشيًّا ، وبعضها غاذِياً ، وبعضها قاتلا . وكذلك الدُّرَّة وَالحرَزة والتمرة[2] والجمرة .

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس . وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمْنا أنَّ خَزَنَةَ النار من الملائكة . ليسوا بدون خزنة الجنَّة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدُون ملَك السَّحاب . وإن أتانا بالغيث وجانب الحيَاء[3] ؛ وجبريلُ الذى يَنْزِل بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة ؛ وإنّما الاختلاف فى الطبيع والمعصى . وفى طبقات ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أنّهم إذا استووا فى المعصية استووا فى العقاب . وإذا استووا فى الطاعة استووا فى الثواب . وإذا استووا فى عدم الطاعة والمعصية استووا فى التفضل . وذلك هو أصل الكلام والفضل الذى تدور عليه الرحى .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زَيدُ بنُ أسلم أنَّ التِّين دمشق . والزيتون فِلَسطين . وللغالية فى هذا تأويلٌ أرغبُ بالعِتْرة عنه[1] وذكرِه . وقد أخرَجَ الله تبارك وتعالى الكلامَ مُخرَجَ القسم . وما تُعرَف دِمَشق إلّا بدِمَشق . ولا فِلَسطين إلّا بفلسطين . فإن كنتَ إنّما تقف من ذكرِ التين على مقدار طعمِ يابسِه ورَطْبه . وعلى لأكتانِ بورَقِه وأغصانه . والوَقود بعِيدانه . وأنّه نافعٌ لصاحب السُّلّ . وهو غذاءٌ قويٌّ ويصلُح فى مواضعَ من الدواء . وفى الأضْمدةِ . وأنّه ليس شيءٌ حلو إلّا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره . وأنّه عند أهلِ الكتاب الشَّجرةُ التى أكَلَ منها آدمُ عليه السلام . وبورقها ستَرَ السَّوءة عند نزولِ العقوبة . وأنَّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليُزلِقَ عنه الثفل . ويسهلَ عليه مخرج الزِّبل[2] . وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به . وعلى التأدُّم بهما والوَقود بشجرهما . وما أشبه ذلك من أمرهما — فقَدْ أسأتَ ظنًّا بالقرآن . وجهلتَ فضلَ التأويل . وليس هذا لمقدارِ عضّهما الله عزّ وجلّ . وأقسَمَ بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل فى جناح البعوضة)

ولو وقفْتَ على جَناحِ بَعوضةٍ وُقوفَ معتبِرٍ . وتأمّلتَه تأمُّلَ متفكّرٍ بعد

---

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثفل » . و« الزبل » و« الزبر » وثبت ما فى ن .

Marfat.com

أن تكونَ ثاقبَ النَّظرِ سليمَ الآلة ، غوَّاصاً على المعانى ، لايعتريك من الخواطر إلّا على حسب صحّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلّا مازادَ فى نشاطِك ، لملأت ممَّا تُوجِدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطِّوال ، والجلود الواسعةِ الكِبار ، ولرَأَيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف فى الأعاجيب ، ومن تقلُّبه فى طبقات الحكمة ، ولرأَيتَ له من الغُزْر والرَّيع ، ومن الحلَب والدَّرّ والتبَجَّسَ عليك[1] من كوامِنِ المعانى ودفائِنِها . ومن خَفِيَّاتِ الحكمة ٩٨ وينابيعِ العلم . مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك ممَّن وقَفَ على مافى الدِّيك من الخصالِ العجيبة . وفى الكلبِ من الأمور الغريبة . ومن أصنافِ المنافع . وفنون المرافق ، وما فيهما[2] من المِحَن الشِّداد . ومع ما أودِعا من المعرفة . التى مَتى تجلَّت لك تصاغرَ عندك كَبيرُ ما تستعظم ، وقلَّ فى عينك كثيرُ ما تستكثر . كأنَّك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنْ حسُنَ عندك فى ثمنِه ومنظره . أنَّ الحكمةَ التى هى فى خلْقه إنَّما هى على مقدار ثمنه ومنظره .

(كلمات الله)

وقد قال الله تعالى : ﴿ ولو أنَّ ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ فهذا الموضع ، ليس فيه بها القلم ولا الحكم التى فى خلق الله ، ولا فى الأعاجيب ، ولا فى المخلوقات[3] ، ولا فى

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

لو وقَف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكْر تامُّ الأَدَاة ؛ لما بَرِح أن تحسره[1] المعانى وتَغْمرَه الحِكَمُ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظماءُ فى التمثيل بين الملائكةِ والمؤمنين ، وفى فرقٍ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباع الكلب . وإنَّما ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان ما بين الدُّرَج والطاوُس . لَمَا اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ خصالِ الذَّرَّة والحمامة . والفيل والبعير . والثَّعلبِ والذيب أعجَب . ولسنا نعنى أنَّ للذَّرَّة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه[2] ، ولا أنَّ لها غَناءَ الفرَس فى الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لكنَّا إذا أردنا مواضعَ التدبير العجيبِ من الخلْق الخسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشىء السخيف[3] ، والنَّظرِ فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم[4] نذهب إلى ضِخَم البدَن وعِظَم الحجم . ولا إلى المنظر الحسَن ولا إلى كثرة الثَّمن . وفى القرد أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفِقٍ إلَّا بقدْرِ ما تتكسَّب به [أصحاب[5]] القردة . وإنما قصدنا إلى شيئين يَشِيعُ القولُ فيهما . ويكثرُ الاعتبار ممَّا يستخرج العلماءُ من خفىِّ أمرهما . ولو جمعْنا بين الدِّيك وبين بعضِ

---

(١) ط : « تحشره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعيده .

(٢) يقال ثوب مدرج : أى مخطط فى ألوانه . . . وفى ل : « تدريجه » . والنشر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحس اللطيف فى الشىء السخيف » وهى عبارة مشوهة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زيدت ليستقيم الكلام .

Marfat.com

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القولُ قبل أن يبلغَ حدَّ الموازنةِ والمقابلة .

وقد ذكرتَ أنَّ بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجُّبِ من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالتُه ، وبَلَهُ الدِّيكِ وغباوتُه . وأنَّ الكلبَ لابهيمةٌ ٩٩
تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرِجَه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ماهو عليه من الأُنس بهم . فقد يكون فى الشيء بعضُ الشبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجًا لهما من أحكامِهما وحدودِهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبِّه الشعراءُ والعلماءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس ، والليث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالنَّجم والنَّجيم ، ولا يخرجونه بهذه المعانى إلى حدِّ الإنسان ، وإذ ذمُّوا قالوا : هو كالكلب والخنزير ، وهو كالقرد والخمر ، وهو كالثور ، وهو كالتيس ، وهو كالذئب ، وهو كالعقرب ، وهو كالجُعَل ، وهو كالقرنبَى ، ثم لايدخلون هذه الأشياء فى حدود الناس ولا أجناسِهم ، ولا يُخرجون بذلك[1] الإنسانَ إلى هذه الحدود وهذه الأجناس ، وهو كالظبى ، وهو كالغزال ، وهو كالقمر ، وهو كالشمس ، وهو كالخشف ، وهو كالمُهْرة ، وهو كالفاختة ، وهو كالدوحة ، وهو كالغصن ، وهو كالخيزران ، على ذلك المعنى ، وهو كذا وكذا من ذلك ، ولم يذكروا الأسد والثعلب ، والحمار والخنزير ، والعقرب والحية ، بالقمر والشمس والغزال ، وإنما ذكروا ذلك فى

---

(١) ب : [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

فصَحَوتَ والنَّمَرىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ (١)

ويُروى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « نِعْمَتِ العَمة لَكُم النَّخلة [خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم] » . وهذا الكلام صحيحُ المعنى . لايَعيبه إلّا مَن لايعرِف مجاز الكلام . وليس هذا ممَّا يطَّرِد لنا أن نقيسَه . وإنَّما نُقدِم على ما أقدَموا . ونُحجم عما أحجموا . وننتهى إلى حيثُ انتهَوْا .

ونراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بعيراً . ولا يسمُّون المرأةَ ناقة . ويسمُّون الرجلَ ثوراً ولا يسمُّون المرأةَ بقرةً . ويُسَمُّونَ الرجل حمارا ولا يسمون المرأة أتاناً ؛ ويسمُّون المرأة نعجةً ولا يسمُّونها شاة . وهم لايضعون نعجةً اسماً مقطوعا . ولا يجعلون [ذلك (٢)] علامةً مثلَ زيد وعمرو . ويسمُّون المرأة عنْزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذى خُلقت السموات والأرضُ وما بينهما من أجْله (٣) كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ إنّما سمَّوه العالَمَ الصغير سليلَ العالَمَ الكبير . لِمَا وجدوا فيه من جَمع أشكالِ ما فى العالم الكبير . ووجدْنا له الحواسَّ الخمسَ ووجدُوا فيه المحسوساتِ الخمس . ووجدُوه يأكل اللَّحمَ والحبَّ . ويجمعُ

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

بينَ ما تقتاته البهيمةُ والسبع ، ووجَدوا فيه صَولةَ الجمل ووُثُوبَ الأسد ، وغدْرَ الذئب ، ورَوَغان الثعلب ، وجُبْن الصِّفْرِد ، وجَمْعَ الذَّرَّةِ ، وصنْعةَ السُّرْفة[1] وجُودَ الدِّيكِ ، وإلفَ الكلب ، واهتداءَ الحمام . ورُبَّما وجدوا فيه ممَّا فى البهائم والسباع خُلُقَيْن[2] أو ثلاثة ، ولا يبلغُ أن يكون جملاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغَيرته ، وصَولته وحِقدُه ، وصبرُه على حَمْل الثِّقْل ، ولا يلزَم شبهُ الذئبِ بقدْر ما يَتَهَيَّأُ فيه من مِثل غدْرِه ومكْرِه ، واستراحِه وتوحُّشه ، وشدَّة نُكْره . كما أن الرجلَ يصيبُ الرأىَ الغامضَ المرّةَ والمرَّتين والثَّلاثَ ، ولا يبلغُ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نَكراء أو صاحبُ بَزْلاء[3] ، وكما يخطئُ الرجل فيفحُش خَطَؤُه[4] فى المرَّة والمرَّتين والثلاث . فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبىٌّ وأبلهُ ومنقوص .

وسمَّوه العالمَ الصغيرَ لأنَّهم وجدُوه يصوِّر كلَّ شىء بيده . ويحكى كلَّ صوتٍ بفَمه[5] . وقالوا : ولأنَّ أعضاءه مقسومةٌ على نُيوج الاثنى عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نِتاج النار ، وفيه نسمته وهى من نِتاج الأرض . وفيه الدَّمُ وهو من نِتاج الهواء . وفيه البلغمُ وهو من نِتاج الماء . وعلى طبائعه لأربع وضعت الأوتاد الأربعة[6] .

---

(١) ط : « وصفة السرفة ، وصوابه فى ل ، ويعنى فى [illegible]

الحيوانى : « دويبة سوداء [illegible]

مسائل نافع بن الأزرق [illegible]

(٢) فى ثمار القلوب ٢٦٠ [illegible]

(٣) ط : « [illegible]

(٤) الخطء : [illegible]

(٥) ط : « [illegible]

(٦) ب : [illegible]

Marfat.com

فجعَلوه العالَمَ الصغير ، إذ كانَ فيــه جميعُ أجزائِه وأخلاطِهِ وطبائعه . ألا تَرَى أنَّ فيه طبائعَ الغضبِ والرضَا ، وآلة اليقين والشكِّ ، والاعتقاد والوقف[1] وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوة ، والسلامة والمكر[2] ، والنصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحبِّ والبُغْض ، والجِدِّ والهزْل ، والبخْل والجُود ، والاقتصادِ والسّرَف ، والتواضع والكبر ، والأنسِ والوحشة ، والفكرة[3] والإمهال ، والتمييــز والخبْط ، والجبْن والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز[4] ، والادِّخار والتوكُّل ، والقَناعة والحِرْصِ ، والرغبة والزُّهْد ، والسُّخْط والرِّضا ، والصــبر والجزَع ، والذِّكر والنسيان ، والخوفِ والرجاء ، والطَّمَعِ واليأس ، والتنزُّه والطَّبَع ، والشكِّ واليقين ، والحياء والقِحَة ، والكِتْمانِ والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ، والطلب والهرب ، والحقْد وسرْعة الرضا ، والحِــدَّةِ وبُعْدِ الغضب ، والسُّرور والهمّ ، واللَّذَّةِ والألَمِ[5] والتأميلِ والتمنّي ، والإصرارِ والنَّدَم ، والجِماحِ والبَلَدات[6] ، والعيّ والبلاغة ، والنُّطْق والخرَس ، والتصميمِ والتوقف[7] والتغافُلِ والتغاضُن ، والعفــوِ والمكافأة ، والاستطاعة والطبيعة[8] وما لا يحصى عدده[9] ، ولا يُعرَف حَدُّه .

---

(١) ط : وتقى .

(٢) ط : والمكر .

(٣) [illegible] يصح قرنه بالإمهال .

(٤) [illegible] والتبذل والتعزز . وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : والآلام . وانوجبه ما في ل .

(٦) [illegible] في ل . وفي ط : [illegible] .

(٧) [illegible] والتكلف .

(٨) كذا .

(٩) ط : عدده .

Marfat.com

فالكلبُ سبع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرِجُه الخصلة والخَصلتان ١٠١
ممَّا قاربَ بعضَ طبائع الناس ، إلى أن يخرجَه من الكَلْبيَّة . قال : وكذلك
الجميع . وقد عرَفت شبَه باطنِ الكلب[1] بباطن الإنسان ، وشبَه ظاهِر
القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك فى طَرْفِه وتغميضِ عينه . وفى ضِحْكه
وفى محكايته . وفى كفِّه وأصابِعه . وفى رفعِها ووضعِها . وكيف يتناولُ بها .
وكيف يجهز اللُّقمة إلى فيه وكيف يكسِر الجَوْزَ ويستخرج لبَّه[2] وكيف
يَلْقَنُ كل مَا أُخِذَ به[3] وأُعِيدَ عليه . وأنَّه من بين جميع الحيوان إذا سقط
فى الماء غرِق مثلَ الإنسان . ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفة فيه يغرق . إلاَّ
أن يكتسب معرفةَ السباحة . وإن كان طبعُه أوفى وأكمل فهو من هذه
أنقص وأكملُ . وكلُّ شىءٍ فهو يسبَح من جميع الحيوانات . ثم هو موصوف بالمعرفة
والفِطنة . وممَّا يوصَفُ بالغَباوة والبَلادة : [illegible]
من المقاربَة إلى أن يخرج من بعض حدود التمييز فى حدود [illegible]

اعود إلى الحوار فى شأن الكلب والديك

وزعمت أنَّ ممَّا يمنع من [illegible]
محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو [illegible]
ولقد سألتُ [illegible] : من [illegible] ؟ قال : [illegible]
الجُشَمىّ . قال :
وسباع مع السلاطين [illegible]

(١) ط : [illegible]
(٢) ل : [illegible] .
(٣) ط : « يلقن كلما [illegible]
(٤) ط : « إلى » .

Marfat.com

ويقال : إن الشاعر[1] قال هذا الشعرَ فى الفلافس النَّهشَلىّ[2] ، حين ولِىَ شُرطةَ الحارِث بن عبد الله [فقال] :

أقِلِّى علىَّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ ... وذُمِّى زماناً سادَ فيه الغُلافسُ

وساعٍ مع السلطان يَسعَى عليهمُ ... ومُحتَرسٍ من مثلِه وهوحارسُ

وليس يُحكَمَ لِصغار المضارِّ على كبارها[3] بل الحكمُ للغامرِ على المغمور[4] والقاهِرِ على المقهور . ولو قد حكَينا ما ذكر هذا الشَّيخُ من خِصال الكلب وذكَرَ صاحبُه من خصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجَلةَ من عمل الشيطان ، وأنَّ العُجْبَ بئس الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدْر الكلب ومِن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّة المعتزِلة ، وهم أشراف[5] أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شىءٍ بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدْرِ جزءٍ لايتجزَّأ من رمْل عالج ، والجزءِ الأقلِّ من أوَّل قطْع الذَّرَّة للمكان السحيق ، والصحيفة التى لا عمقَ لها ، ولأىِّ شىء يُعنَوْن بذلك ، وما يبلغ من ثمنِه وقدْرِ حجْمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ فيه الشُّيوخ الجِلَّة ، والكهولُ العِلْية ، وحتَّى يختاروا النَّظرَ فيه على التسبيح والتهايل ، وقراءةِ القرآن وطولِ الانتصابِ فى الصلاة ؛ وحتَّى يزعم أهلُه

١٠٢

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى أخى عمر بن أبى ربيعة . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنفع » .

(٤) ل : « للعامر على المعمور » وما أثبته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

Marfat.com

أنَّه فوقَ الحجِّ والجهاد . وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهاد[1] . فإنْ زعمتَ أنَ ذلك كلَه سواءٌ ، طالت الخُصومةُ معَك ، وشغلْتنا [بهما] عمَّا هو أولى بِنا فيك . على أنَّك إذا عَمَمْتَ ذلك كلَّه بالذمِّ ، وجَلَّلته بالعيب ، صارت المصيبةُ فيك أجلَّ ، والعزاءُ عنها أعسر . وإن زعمتَ أنَّ ذلك إنَّما جاز لأنَّهم لم يذهبُوا إلى أثمان الأعيان فى الأسواق ، وإلى عظم الحجم ، وإلى ما يروقُ العينَ ويلائمُ النفس ، وأنَّهم إنَّما ذهبوا إلى عاقبة الأمر فيه ، وإلى نتيجته ، وما يتولَّد عنه من علم الذِّهايات . ومن باب الكلِّ والبعْض . وكان ويكون . ومن باب ما يحيط به العلم أو ما يفضل عنه ، ومن فَرقِ [ما[2]] بين مذاهب الدُّهريَّة ومذاهب الموحِّدين . فإن كان هذا العذرُ مقبولاً ، وهذا الحكم صحيحاً . فكذلك نقول[3] فى الكلب ، لأنَّ الكلبَ ليس له خطرٌ ثمين ولا قَدْر فى الصدر جليل ، لأنَّه إن كان كلبَ صيد فديته أربعون درهما . وإن كان كلب ضرْع فديته شاة . وإن كان كلب دار فديته زنبيل من تراب . حقٌّ على القاتل أن يؤدِّيه ، وحقٌّ على صاحب الكلب أن يقبله . فهذا مقدار ظاهر حاله [ومُنتشه] . وكوامنُ خصائصه ، ودقائقُ حكمته فيه ، والبرهاناتُ على عجيب تدبير الربِّ تعالى ذكرُه فيه ، على مخالفى ذلك . فذلك استجلاءُ النَّظر فى شأنه ، والتمثيل بينه وبين نظيره .

وقولى أيضاً مع ذلك أن الكلب إذا كان فيه [illegible]

من عجيب التدبير والنعمة [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

الذى له خلق الله السمواتِ والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأنْ يُفكرَ فيه ، ويُحْمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمةِ العجيبةِ ، والنِّعمة السابغة .

وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ فى التوحيدِ ، وفى نفى التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح الأخبار ، والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّك عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءَ إلى ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما[1] وصفت ، وإلاَّ وضْعُ الكتبِ فيه والولايةُ والعداوةُ فيه ، ولا همْ لَذَّةٌ ولا هَمٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلا عليهِ وإليه ؛
١٠٣ فحين أرادُوا أن يُقَسِّطُوا بينَ الجميعِ بالخِصص ، ويَعْدِلوا بينَ الكلِّ بإعطاء كلِّ شىء نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعًا ، ويظهرَ بذلك الخفىُّ من الحِكَمِ ، والمستورُ من التدبير ، اعترضْتَ بالتعنُّتِ والتعجُّب . وسطّرت الكلامَ ، وأطلتَ الخطب ، من غير أنْ يكون صوَّبَ رأيَكَ أديبٌ ، وشايَعَكَ حكيم .

(نعلك طوائف من الناس)

وسأضرِب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه ولكنَّا نستأنِى بك وننتَظِرُ أوْبَتَك . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقص ، ولأهلِ كلِّ صِنفٍ منهم نُسُكًا يعتمِدون عليه فى الجَمَال ، ويحتسِبون به فى الطاعة وطلَبِ المثُوبة ، ويفزَعون إليه ، على قدْرِ فسادِ الطِّباع ، وضعفِ الأصل ،

---

(١) فى الأصل : « بما » .

Marfat.com

واضطرابِ الفرْع ، مع خبْث المنشإ . وقلّةِ التثبُّتِ والتوقُّفِ . ومع كثرة التقلُّب والإقدام مَعَ أوّلِ خاطر : فنُسك المَريبِ المرتابِ من المتكلّمين أنْ يتحلَّى برمْى الناسِ بالرِّيبة ، ويتزيَّنَ بإضافةِ ما يجدُ فى نفسه إلى خَصمه . خوفاً من أن يكونَ قد فطِن له . فهو يستُرُ ذلك الداءَ برمْىِ الناس به .

ونُسكُ الخارجىِّ الذى يتحلَّى به ويتزيَّا بجماله . إظهارُ استعظامِ المعاصى .

ثم لايَلتفِت إلى مجاوزة المقدارِ وإلى ظُلْمِ العباد . ولا يقِف على أنّ الله تعالى لايحبُّ أن يَظْلِمَ أظلمَ الظَّالمين . وأنَّ فى الحقِّ ما وسِعَ الجميع .

ونسْك الخُراسانىِّ أن يُحجَّ ويَنَاه على قعود ، ويعقد[1] لِحيته . ويتهيَّأ للشَّهادة ، ويبسُطَ لسانَه بالخِسَّة . وقد قالوا : إذا نسَكَ الشريف تواضَعَ . وإذا نسَكَ الوضيعُ تكبَّر . وتفسيرُه قريبٌ واضح .

ونُسْكُ البَغْوى[2] والجنادىِّ طرحُ الديباج . و[illegible]

ونسك دقاقين السَّواد ترك ثياب [illegible] . و[illegible]

وإظهارُ مجاهدة نفوسه . و[illegible] ترك [illegible] .

تركُ سَرِقة الثمر . و[illegible] الصلاة فى [illegible] .

والصلاةُ على النبىِّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودىِّ [illegible] .

والصوفىِّ مظنّتُه التُّسك من [illegible] .

---

(١) ط : [illegible] .

(٢) ط : [illegible] .

(٣) ط : [illegible]
[illegible] .

(٤) فى القاموس : [illegible]
[illegible] .

Marfat.com

تطرف[1] وأظهر تحريمَ المكاسب، وعاد سائلًا ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناسِ له .

وإذا كان النَّصرانيُّ فسلًا نذْلا مبغِضاً للعمَل، ترهَّب ولَبِس الصُّوف ؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبِس وتزيَّا بذلك الزِّيِّ وتحلَّى بذلك اللِّباس ، وأظهر تلك السِّيما ، أنَّه قد وجَبَ على أهل اليُسرِ والثَّروة منهم أن يعُولُوه ويَكْفُوه ، ثمَّ لا يرضى بأنْ رَبِحَ الكِفايةَ باطلًا حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلِّمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّل ريبتَه إلى خَصمه ، وحوَّل براءةَ خصمِه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنيَّة . ووقَفَ على النِّهاية . فاحذَر أن تكونَ منهم واعلَمْ أنَّك قد أشبهتَهم فى هذا الوجه ، وضارعتَهم فى هذا المذهب .

باب

مما قدَّمْنا ذكرَه ، وبينَه وبينَ ما ذكرنا بعضُ الفرْق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبَنُ من الصَّفْرِد ، وأسخَى مِنْ لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ[2] من كَلب ، وأحذر من عَقْعَق ، وأزهى مِن غراب ، وأصنَع من سُرفَة[3] وأظلم من خيَّة . وأغدَر من الذئب ، وأخبَث من ذئبِ خَمرَ[4] وأشدُّ عداوةً من عقرب . وأروغُ من ثعلب ، وأحمقُ من حُبارى . وأهدى من قطاة . وأكذَبُ مِن فاختة . وألأمُ من كلبٍ على جيفة .

---

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفى ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .

Marfat.com

وأجمَعُ من ذَرّة ، وأضلُّ من حِمار أهلى[1] ، وأعقُّ من ضَبٍّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأنْفَر من الظليم ، وأضَلّ من وَرَل[2] وأضلُّ من ضبٍّ . وأضلُّ من الحيَّة .

فيعبِّرون عن هذه الأشياء بعبارةٍ كالعبارة عن الناس . فى مواضع الإحسان والإساءة . حتَّى كأنَّهم من الملومين والمشكورين . ثم يعبِّرون فى هذا البابِ الآخَر بدونِ هذا التعبير . ويجعلونَ خبَرهم[3] مقصوراً على مافى الخِلقة من الغريزة والقُوى فيقولون : أبصرُ من عُقاب . وأسمعُ من فرَس . وأطولُ ذماءً من ضبٍّ . وأصحُّ من الظليم .

والثانى يشبِه العبارةَ عن الحمد والذمّ . والأوَّل يُشبِه العبارةَ عن اللائمة والشكر[4] . وإنَّما قلنا ذلك . لأنَّ كلّ مشكور محمود . وليس كلُّ محمود مشكورا . وكلّ ملوم مذموم وليس كلُّ مذموم ملوما . وقد يحمدون البَلدة ويذمُّون الأخرى . وكذلك الطعام والشراب . وليس ذلك على جهة اللوم ولا على جهة الشكر . لأنَّ الأخبار[5] لايقع إلا على جهة الخبر والتكلُّف . وإلا على مالا يُنال إلا باستطاعة[6] . ولأنَّ إنما يُنال بالخلقة وبمقدار من المعرفة . ولا يبلغ أن يسمَّى فعلا . لأنَّ الله ليس كلُّ فعله باستطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ... أهلى .

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

Marfat.com

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ الكلابِ وتعدادِ أصنافِ معايبها[1] ومثالبها . مِن لؤمها وجبنها[2] وضعْفها وشرَهها ، وغدْرِها وبَذَائها ، وجهْلها وتسرُّعِها . ونتْنِها وقذَرها ، وما جاء فى الآثار من النَّهْى عنِ اتخاذها وإمساكها . ومن الأمْر بقتْلِها وطردها . ومن كثرةِ جناياتها وقلَّة رَدِّها[3] ومِن ضرب المثَل بلؤمها ونذالتها . وقبحِها وقبْحِ معاظلتِها[4] ومِن سماجة نباحِها وكثرة أذاها . وتقذُّر المسلمين من دنوِّها[5] [وأنّها تأكل لحومَ الناسِ] . وأنّها كانخلْق المركّبِ والحيوان الملفّق : كالبغْل فى الدوابِّ وكالراعِى فى الحمام[6] . وأنّها لاسبعٌ ولا بهيمة ، ولا إنسيَّةٌ ولا جنيَّة . وأنّها من الجنّ[7] دون الجنّ . وأنّها مطايا الجنّ ونوعٌ من المسْخ . وأنّها تنبش القبورَ وتأكلُ الموتى . وأنّها يعتريها الكَلَبُ مِن أكلِ لحوم الناس .

فإذا حكَيْنَا ذلكَ حكَينا قولَ من عدَّد محاسنَها ، وصنّف مناقبها ، وأخذنا مِنْ ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقِها . وتفدية الرجال إيّاها[8]

---

(١) ط : معائبها بالهمز وهو خطأ صوابه فى ل : ذ المعايب جمع معب أو معبة نحو مقيب ، قد ترد فى الجمع ثنية غير زائدة فلا يصح قلبها همزة . مثلها فى ذلك مثل معيشة ومعايش .

(٢) ط : وسوئها وشكسب بر صنف بجبن .

(٣) ب د : سبع . ... ن : وقلة ... تحريك .

(٤) ب د : معاظلتها وهو تحريك . و المثال : ملازمة فى السفاد بل كلب ونحوه .

(٥) ط : ... .

(٦) ب د : ... فى الحمام وهو تصحيف نبهت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : ... وهو به فى ب .

(٨) ب : والقبيلة ... وهو تحريك .

Marfat.com

واستهتارهم بها ، وذكر كسْبِها وحراستها ، ووفائها وإلْفها وجميعِ منافعها ؛ والمرافقِ التى فيها ، وما أُودِعت من المعرِفة الصحيحةِ والفِطَن العجيبة والحسِّ اللطيف[1] والأدب المحمود . وذلك سِوى صِدق الاسترواح وجَودَةِ الشمِّ ؛ وذِكْر حفظها ونَفاذها واهتدائها . وإثباتِها لصُوَر أربابها وجيرانها ، وصبرِها ، ومعرفتِها بحُقوق الكرام . وإهانتِها اللئام . وذكر صبْرها على الجنا ، واحتمالها للجوع . وذكر ذِمامها وشدَّةِ مَنْعِها مَعاقِدَ الذِّمار منها[2] ، وذكر يَقَظَتِها وقِلَّة غفلتها[3] وبُعْدِ أصواتها . وكثرة نسْلِها وسرعة قَبولها وإلقاحها وتصرُّفِ أرحامِها فى ذلك . مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها . وكثرةِ أعمامها وأخوالها . وتردُّدها فى أصناف السِّباع ؛ وسلامتها من أعراق البهائم . وذكر لَقَنِها وحكيتها . وجودة ثقافتها ومَهْنِيها[4] وخِلدتها ؛ وجِلَدها ولُعْبِها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المأثورة والأحاديث المأثورة . وبالكتب المنزَّلة والأمثال المسطورة . وعن تحدُّث النَّاس لها ووقوفهم فيها . وما علَّلوا منها . وكيف قول العرب فى نِتاج إبلها ؛ وبأخبار المتطيِّرين عنها . وعن أسمائها[5] ومنتهى أعمارها وعدد حملها ومدَّة حملها . وعن أسمائها وألقابها . وسِمَاتها وشياتها . وعن ذكر ما

---

(١) ط : ... حس ...

(٢) ل : ...

...

(٣) ل : ...

(٤) ط : ...

...

(٥) ط : ...

Marfat.com

وسياستها ، وعن اللاتى لا تلقَنُ منها[1] وعن أعراقِها والخارجىً منها[2] وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ للحُوم النَّاس فقال :

قال الجارود بن أبى سَبْرَة[3] فى ذلك :

ألم تر أنَّ اللهَ ربِّى بحَوْلِه وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالكا
١٠٦ فمَنْ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ فى أرض الرُّصافةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه إذا اجتَبْنَ مُسْوَدًّا مِنَ الليل حالكا[4]

وقال نُفَيع بن صفَّار المحاربى[5] من ولد مُحارِب بن خُصَفة[6] فى حرب قيسٍ وتغلِب :

أفنَتْ بَنى جُشَم بن بكرٍ حَرْبُنا حتى تعادَلَ مَيلُ تَغلِب فاستَوَى
أكَلَ الكلابُ أنوفَهم وخُصَاهُمُ فلتَبْكِ تَغْلِبُ للأنوفِ وللخُصى

وقال أبو يعقوب الخُرَيمى ، وهو إسحاق بن حسَّان بن قوهى[7] فى قتلى حربٍ ببغداد :

---

(١) ط : « الا تلقى منها » وهو تحريف .

(٢) ب : « خارجى » بدون « من » مقابل لعربق ، كما فى البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .

(٣) ل : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٩ ، « وكان الجارود بن أبى سبرة — ويكنى أبا نوفل — من أبين الناس وأحسنه حديثا . وكان من علماء الشعر فقيها . وكان من رجال الشيعة ومن المتقدمة فى الخروج قال : ... وكان الشعبى يقول فى هذا ! ! ! . توفى سنة ١٢٠ » كما فى تهذيب التهذيب ص ٢٨ .

(٤) ب : « وكان ينشدك » ط : « اذا اجتن مستورا » .

(٥) ط : « نفيع بن صفار الخارقى » وأثبت ما فى ل .

(٦) ط : « خصفة » والصواب « خصفة » كما فى نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : « بن يعقوب بن الخريمى . وهو يعقوب بن اسحاق بن حسان بن قوهى » والصواب ما أثبت من ب ، ومن تاريخ بغداد ٦ : ٣٣٦ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد الصغد ، وكان متصلا بالخريمى بن فاتك قاهر الترك وإليه ينسب بالولاء . وقيل كان يتصله بعلى بن خرم =

Marfat.com

وهَل رأيتَ الفتيانَ فى باحة الْمعْـــرَكِ مَعفورةً مَناخِـرُها[1]
كلّ فـتًى مانعٍ حقِيقَتَه يشقَى به فى الوَغَى مَساعِرُها
باتَتْ عليه الـكلابُ تنهَشُه مخضوبةً من دمٍ أظافِرُها

وقال أبو الشمقمق (وهو مَرْوان بن محمد ، مولى مرْوان بنِ محمَّد ، ويكنى أبا محمَّد)[2] :

يُوسفُ الشاعرُ فَرْخٌ وجَـــدُوه بالأبلَّه
حَلَقِىٌّ قَـدْ تَلقَّى كامناً فى جَوف جُلَّه[3]
خيَّطوها خشْيَةَ الـكلـــبِ عليْهِ بمِسَـلَّه

وذُكر لى عن أبى بَـكر الهُذَلىّ ، قال : كنَّا عندَ الحسن إذ أقبل وكيع ابن أبى سُود فجلس . فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ فى دم البراغيث يُصيب الثوب : أيصلَّى فيه ؟ فقال : يا عجبا ممَّن يبغ فى دماء المسلمين كأنَّه كلبٌ ، ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّج فى مشيته كتخلُّج الخوارج . فقال الحسن : إنَّ لله فى كلّ عضو من نعمة فيستعين بها على معصيته . اللَّهمَّ لا تجعلْنا ممَّن يتقوَّى بنعمتك على معصيتك ! !

---

(١) ط ... مناخرها

(٢) ترجمته فى ... ١٢٥ ... بغداد فى أربع ...

(٣) ط ... حلق ... جلة

Marfat.com

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياءُ مِنَ الحيوانِ تُضافُ إلى نتْنِ الجُلُود وخُبث الرائحة . كريح أبْدان الحيَّات . وكنتْن التُّيوس وصُنانِ عرَقها ؛ وكنتن جلد الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من النَّتن فى سوى ذلك . نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى ..

وقال رَوح بن زنباع الجُذَامىّ فى امرأته . وضرب بالكلب المثل :

رِيحُ الكرائمِ معروفٌ لَهُ أَرَجٌ ورِيحُها ريحُ كلْبٍ مَسَّهُ مَطَرُ

قال : وكانت امرأةُ رَوح بن زِنباع أمَّ جعفر بنتَ النُّعمان بن بشير ؛ وكان عبدُ الملك زوَّجه إيّاها . وقال : إنَّها جاريةٌ حسناء ؛ فاصبرْ على ١٠٧ بَذَاءِ نسائِها .

وقال الآخر :

وريحُ مَجْروبٍ وريح جُنَّه وريح كلبٍ فى غَدَاةٍ طَلَّهْ (١)

وأنشد أبو زيد فى ذلك :

كأنَّ رِيحَهُمُ من خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر (٢)

ومما ذُكر به الكلبُ فى أكله العَذِرة . قولُ الراجز :

أحرَصُ من كلبٍ على عِقْىِ صَبِى (٣)

وقال مثل ذلك حَنْظَلة بن عَرَادة [فى ذكره] لابنهِ السَّرَنْدَى :

---

(١) ط : ركلة . وتصحيحه من ب .

(٢) ص : بد ... مطر . وبيت حسان بن ثابت فى ديوانه ص ٢٣١ .

(٣) ط : عبى . وتصويبه بالقاف كما فى ب . والعِقْى بالكسر : ما يخرج من بطن الولد حين يولد .

Marfat.com

مالِلسَّرَنْدَى أطالَ اللهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أباه بقفر البِيد وادَّلجا (١)

مِجَّ خبيثٌ يُعاطِى الكَلْبَ طُعْمَتَهُ وإن رأى غفلةً من جارِهِ ولجا (٢)

رَبَّيْتَه وهو مثلُ الفَرْخ أَصْرِبُهُ

والكلبُ يلحَسُ من تحتِ استِهِ الرَّدَجا (٣)

يقال للذى يخرُج من بطن الصبى حين يخرُج من بطن أمه عِقِى بكسر العين ، ويقال عقَى الصبى يعقِى عَقْياً . فإذا شدَّ بضنه لمسمن قيل قد ضرب ليسمَن (٤) . والعِقِى وهو العَقْية الغيبة . وإيَّاه عنى بنُ عمر حين قيل له : هلا بايعت أخاك ابن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضع يده فى عَقيبَة (٥) ودعا إلى البَيعة . إنى لا أنزَع يَدِى من جماعة وأضعها فى فرقة (٦) .

وفى الحديث المرفوع : المرجِع فى هبَته كالراجع فى قيئه . وهذا المثل فى الكلب .

ويقال : أخلَفُ من كلب على حيفة . وقال بعضهم فى الكلب :

الخيفة أحبُّ إليه من لحم ناقِس . وكل عالة فى جميع أمرِه

ويشغر بوله فيصيب فى جوف إنائه . وجاء فى الحديث

(١) ط

(٢) ط

(٣) ط

(٤) ط

(٥) ط

(٦) ط

Marfat.com

وقال صاحب الكلب : إنْ كنتُم إنَّما تستسقطون الكلب[1] وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أنتنُ من العذرة ، والعَذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط المغريض الغضِّ .

(مأكل السبع)

والأسَد سَيِّد السباع ، وهو يأكل الجِيفةَ ، ولا يعرِض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ماوَجَدَ فى شريسته فَضْلة . ويبدأ بعدَ شُرْب الدَّم فيبقُر بطنَه ويأكل ما فيه من المغثيثة والثفل[2] والخَشْوة والزِّبل ، وهو يرجع فى قيئه . وعنه[3] ورِث السَّنَّور ذلك .

(ما قيل فى السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ فى النَّجدة والبسالة ، وفى شِدَّة الإقدام[4] والصَّولة ، فيقال : " ما هو إلاّ الأسد على براثنه " و "هو أشدُّ من الأسد" و "هو أجرأ من الليث العادى " و " فلان أسدُ البلاد " و " هو الأسد الأسود[5] " . وقيل لحمزة بن عبد المطَّلب أسدُ الله . فكفاك من نُبْل الأسد أنَّه اشتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمه . ويقال للملك أَصْيَد إذا أرادوا

١٠٨

(١) ط : « تستسفلون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القيئة والنفل » وهو تحريف مثل .

(٣) ط : « وعنه » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو فى شدة الاقدام » وكتبها هو « مقحمة » .

(٥) ط : « الشرى » وأثبته « وهو أسد الأسود » .

Marfat.com

أن يصفوه بالكِبْر وبقلّةِ الالتفات ؛ وبأنّ أنفَه فيه أسلوب[١] ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم[٢] :

هَلاَّ إذا مَطَرَ السماءُ عليكُمُ[٣] ورفعتَ رأسَك مثلَ رأسِ الأصْيَدِ

وقال الآخر :

يَذُودونَ كلباً بالرِّماحِ وطَيِّئاً وتَغلِبَ والصَّيدَ النواظرِ من بَكرِ

وقال الآخر :

وكم لى بها من أبٍ أصْيَدٍ نَماه أبٌ ماجدٌ أو يَكُ[٤]

وبعدُ فإنّ الذى يأكل الجيفةَ لم يبعُد من طبع كثيرٍ من الناس ؛ لأنّ من الناس من يشتهى اللحمَ الغابَّ . ومنهم من يشتهى المَنْكُسُود[٥] . وَلَيْسَ بَيْنَ المَنْكُسُودِ وبين المصاوب اليابس كبيرُ فرق . وإنّما يتخوّن الدِّيَكَةَ والبطَّ والدجاجَ والدَّرّاجَ من أوّل ليل . ليستوخِمَ خبثَه . وذلك أوْن التجييف[٦] .

فالأسد أجمعُ لهذه الخصال من الكلب . فهلاّ ذكرتَ أنّ الأسد وهو أنبهُ ذكراً وأبعدُ صيتاً .

وأمّا ما ذكرتَ من أنّ جلده ومن مشاقّ نيل ، فليس في ذلك ما ليس للكلب . وقد شاركه في خلْف بيوته تلقاء أنفسها بشدّة العُسْلان . فإنّ الأمثال له أكثرُ ذكراً . وفي العين أيضاً عيوب .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

وفى توجيــه التيس ببوله إلى حاقٍّ خَيشومه قال الشاعرُ لبعض من يهجُوه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسْمِى فأسْمَاك بالقحر (١)
وما القَحْرُ إلاَّ التيسُ يَعْتِك بولُه عَلَيْهِ فيمذى فى لَبَانٍ وفى نحر (٢)

وقال آخر فى مثل ذلك (٣) :

أَعثمانُ بنُ حيَّانَ بن غُرْمٍ عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبولُ
ولو أنِّى أشافِهُه لشالت نَعامَتُه ويفهــم ما يقول

١٠٩ وبعد فما يُعلَم من صنيع العنز (٤) فى لبنها وفى الارتضاع من خلفها إلاَّ أقبحَ .

وقال ابن أحْمَرَ الباهلىُّ فى ذلك :

إنّا وجَدْنا بَنى سَهْمٍ وجامِلَهم كالعنز تعطِفُ روْقَيها وترْتَضِعُ (٥)

وقالتم : هَجَا ابْنُ غادية السلمى (٦) بَعضَ الكِرام ، حينَ عُزِل عن سَبْىٍ . فقال لمن ظنَّ أنَّه إنَّما عُزِل لمكانه :

رَكِبوك مُرتَحِلاً فظهرُك منهمُ ذَبرُ الحراقفِ والفقارِ مُوقَّعُ
كالكلب يَتْبَعُ خانِقيهِ وناحِرٍ نَحرَ الذين بهــم يَعِزُّ ويمنعُ

---

(١) ط : بالفجر ، وفى ب كما فى ن . والقحر أصل معناه البول بغير المعتاد .
(٢) ط : الفجر موضع القحر ، ويقال عتك عليه يضربه . وفى ب : وتمذى فى لبان وفى الشحر .
(٣) هو عمرو المنقرى . انظر الحيوان ٥ : ٤٠٤ .
(٤) ط : على صنيع .
(٥) ط : ترتضعه . وسيأتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ و من عيون الأخبار ٣ : ٧٥ . والجامل : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : السلمى ، وفى ب : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

Marfat.com

وقال ابن هَرْمة الفِهرىّ :

فما عادَت لذِى يمنٍ رءوسا ولا ضَرَّت بفُرْقتها نِزارَا
كعَنْز السَّوْءِ تَنْطَحَ مَنْ خَلاهَا وتَرْأَمُ مَنْ يُخِدُّ بها الشِّفارَا

وما نعلم الرُّجوعَ فى الجِرَّة ، وإعادةَ الفرثِ إلى الفم لِيُستقصَى مضغُه إلَّا أسمجَ[1] وأقذرَ من الرُّجوعِ فى القَيْء . وقد اختار الله عزّ وجلّ تلك الطبيعةَ للأنعام . وجعل الناسَ ليسوا لشىء من الأحزان أشدَّ كلالًا ولا أشدَّ عَجباً بهِ منكم[2] . ولا أصلحَ لأبدانهم ولا أنشطَ لهم من لحومِ هذه الأنعام أفتائِها ومَسانِّها .

وقال صاحبُ المديث : هو يشبه عَوْدَ الشيء فى جِرَّة . وهو حين يقول فى الفرث تضحنه وتسيغه . الرجوعَ فى القيء . وقد علم أنَّ جِرَّة البعير أنتنُ من قيء الكلاب لطول عَبْئِها[3] فى جوفه . فقلبها إلى ابن أحمر فقال :

هذا الثناء وأحسنُ أن يسوءه وقد يضيق بذى السنين لا

فإنما مثلُ الثنى مثلُ العلقى . وإنما

(١) ط :

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Marfat.com

صاحبه . ألذُّ من السلوى ، وأمتعُ من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايِل موضعَه ، ومتى زايل فَمَ صاحبِه إلى بعض جِلْده اشتدّ نتْنه وعادَ فى سبيل القيء .

فالرّيق والجِرَّةُ فى سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القيء والعَذِرة فى سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قَلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينةٍ له ، لكان فى ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام فى جِرَّتها ، وحشيِّها وأهليِّها . وإنَّ الأرانبَ لَتَحِيضُ حيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمَها أصحابُ التَّقَذُّرِ[1] لمشاركتِها الأنعامَ فى الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمَّا ماعبتموه من أكْلِ العَذِرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ فى الماشيةِ المتخيَّرِ لحمُها على اللُّحْمان ؛ لأنَّ الإبل والشياه[2] كلّها جَلّالة وهُنَّ على يابسِ ما يخرُج من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنّها إذا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهرُه وداخلُه رطبٌ ، رَجَع أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعَذِرة ، وربما يَبْقَى من الحبوبِ التى لم يأتِ عليها الاستمراء والهضْم . حتَّى تلتمِسَ الديدانَ التى فيها . فتجمع نوعين من العذرة[3] لأنها إذا أكلت ديدان العَذِرَةِ فقد أتَتْ على النَّوْعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَمِ[4] فى هجائِه الأنصار بخبيث الطعام ،

---

(١) ط و : بالمبروزيدى : « التقزز » وهو لاشمئزاز . والتقذر من تقذر الشىء : عده قذرا .

(٢) فى الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع النوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة فى الأغانى ١٢ : ٦٩ — ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو من ولد الحكم وشبيه به سيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فلمه أهلها ، وتضمنوا به فعزله واطرحه . الأغانى ١٣ : ٣٢ .

Marfat.com

فضرب المثلَ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وترَكَ ذِكر الكلاب وهى له مُعْرِضة فقال :

وَلَلأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها ... لُحِبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ [1]

ولو قال :

وللأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها ... لُحِبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ

لكانَ الشِّعْر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شبِعت ، لم تعرض للعَذِرة . والأنعامُ الجَلَّالةُ وكذلك الحافِر . قد جعلت ذلك كالحَمْضِ إذا كانت لها خَلَّةٌ ؛ فهى مَرَّة تتغذَّى به ومرة تتحمَّض . وقد جاء فى لُحومِ الجَلَّالة ما جاء .

(رغبة الملوك والأشراف فى الدجاج)

وما زلنا وأهلُ العيش وُدٌّ . لا يرغبون فى شىء من لحوم الحيوان رغبتهم فى الدَّجاج . وهم يقدِّمونها على البطّ والإوَزّ . ويقبِّحون الدِّيَكة . ثم هم وعلى الجداء والأعناق الخُصْر من بنات الحَمْض . وهم يعرفون طبيعة كل قُوتها [2] . وهم مع ذلك يأكلون أكلَ من لا يعرف من السمّان .

(الشروط فى جود السمك)

والطيب ما فى الأنهار من السمك ، وأحسنه ما كان فى مَجْرَى ، وفى مَسِيل ماء ، وفى شَبَّة صافية ، وترفعها عن ذلك ما كان فى مستنقع ، وفى طين ، وفى

---

(١) ل : « لحبث ... من الدجاج » .

(٢) ط : « ... قوتها » .

(٣) ... « ... صفة ... صفة ... صفة

القريسِ والذَّشوطِ المشَبَّوطُ [1] . وليس فى الماء سمكةٌ رفيعةُ الذكر ولا ذاتَ خمول ، إلَّا وهى أحرصُ على أكْل العَذِرة منها . وإنّها [فى ذلك [2]] لَأَشدُّ طلباً لها من الخنزير فى البرِّ . والجِرِّىّ فى البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناسُ كيفَ استطابةُ أكلِ لُحومِ الخنازير . وأكلُ
١١٦ الخنازيرِ لها . وكيف كانت الأكاسرة والقياصرة يقدّمونها ويفضّلونها .
ولولا التعبُّدُ لَجَرى عندنا مَجْرَاه عندَ غيرِنا .
وقد علم النَّاسُ كيف استطابةُ أكل الجِرِّىّ لأذنابها [3] .

(ما قيل فى الجرِّى)

وفى الجِرِّىّ قال أبو كَلْدة : هو أُدْمُ الحيوان . وجيِّدٌ فى السكوشان [4] ودواءٌ للكليتين [5] . وصالحٌ لوجَع الظهر وعَجْب الذَّنَب . وخِلافٌ على اليهود . وغيظٌ على الروافض : وفى أكله إحياءُ بعض السُّنن . وإماتة بعض البدع . ولم يُفْلِجْ عليه فُكِبِرُ منه قطّ . وهو محنة بين المبتدع

---

(١) فى القاموس : سمك قريس : طبخ وملح فيه صباغ وترك حتى جمد . وفى مبادئ اللغة ٤٠ : والقريس : لحم يضبخ بخل ثم يبرد » . وهى فى ط « القريش » وفى ل : قريص . وهى كلمات محرفة . . وأما النشوط فهى كلمة ساقطة من ط . والنشوط : سمك يقدر فى ماء : ملح .

(٢) التكملة من الامير وزيادتنا .

(٣) فى ط : « لأذنابها خشوا » وفى ل : « لأذنابها حسيا » وحسيا وحشوا كلمتان متحمتان لأسقطتهما . واللام فى « لأذنابها » بمعنى إلى .

(٤) السكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « فى الكليتين » وهو تحريف .

Marfat.com

والسُّنّى ، هلك فيه فِئَتَانِ[1] منذ كانت الدنيا : محلِّلٌ ومحرِّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلدِ . ناقصُ الدّماغِ . يلتهم العَذِرة ويأكل الجرذان[2] [صحاحاً والفأرَ] . وزَهِمٌ لا يستطاعُ أكلُه إلّا محسِيًّا[3] ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك . وقد وقع عليه اسم المسْخ . لايَطِيب مملوحاً ولا مقموراً . [ولا يؤكل] كباباً . ولا يُختارُ مطبوخ . ويُرمى كلُّه إلّا ذنَبه[4] .

والأصناف التى تعرض لعَذِرة كثيرة . وقد ذكرنا بعضَها من الأنعامِ والجرَّى والشَّبُّوطِ من السمك . ويعرض لها من الطير الخطّاف والرَّخَمِ وأشباهها .

(الأنوق وما سمى بهذا الاسم)

---

(١) ط : ...

(٢) ط : ...

(٣) ط ...

...

(٤) ل : ...

(٥) ...

Marfat.com

(ما قيل من الشعر فى الجُعَل)

ولشدَّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبيت فى مجلس الأقوام يَربَؤُهم كأنَّه شُرَطىٌّ بَاتَ فى حَرَس

وكذلك قال الآخر [1] :

إذا أتَوه بطعامٍ وأكَلْ [2] باتَ يعشِّى وَحْدَه ألفَىْ جُعَل

هذا البيتُ يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنَّ الجُعَل يقتات البَرَاز .

وفى مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل — إن كان قاله — وإنما قلت هذا لأنَّ الشعر يَرتفع عنه .

والشعر قوله :

نِعْمَ جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر رِ إذا ما غدا أبو كلثومِ

ثَوِياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثَريدٍ ملبَّـقٍ مأدُومِ [4]

ثم أخفى بجعره حاجبَ الشمـ ـسِ فألقَى كالمعْدَفِ المهْدُومِ [5]

بضَريطٍ ترى الخنازير منه عاملاتٍ لتلّـهِ المركومِ

١١٢ [وقال الراجز فى مثل ذلك] :

قد دقَّهَ ثارِدُهُ . وصَوْمَعَا [6] ثُمَّتَ ألبَانَ البَخاتِى جَعْجَعَا

---

(١) ط : وكذلك قال الشاعر ، وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : هو جار الخنزيرة المرضع الغرثى . . وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : مبلل بالسمن .

(٥) ط : ثم أخفى بجعره حاجب الشمس فألقى ، وهو تحريف فى ل والبيان .

(٦) ط : قد دقه ثاردة ثردة ، وهو تصحيف مما فى ل . فى القاموس : ثريدة مصومعة : مدقة الرأس .

Marfat.com

جَعْجَعَةَ العَوْدِ ابْتَغَى أنْ يَنْجَعا[1] ثُمَّتَ خوّى بارِكاً واسْتَرْجَعا

* عَن جاثِمٍ يُحْسَبُ كلباً أبقعا[2]

وفى طلب الجُعَل للزِّبْلِ قال الراجز (وهو أبو العصْن الأسَدى) :

ما ذا تلاقى طَلَحاتُ الحرجه من كل ذات بُخْنُقٍ غَمَلَّجه[3]

ظَلَّ لها بَيْنَ الحلال أَرَجَه[4] مِنَ الضَّراطِ والفساءِ السمجه[5]

فجئتُها قاعِدَةً منشجه[6] تعطيه عنها جعَلاً مُدحرجَه

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدكَ به جُعَله[7] ». وقال الشاعر :

إذا أتيتُ سُليمَى شَبَّ لى جُعَلٌ إنَّ الشقىَّ الذى يُغْرَى به الجُعَلُ[8]

يضرب هذا المثلُ للرَّجل إذا لَصِقَ به من يكره . وإذا كان لا يزال يراه [وهو] يهرُب منه .

قال يحيى : وكان أصلُه ملازمةَ الجُعَل لمن بات فى الصحراء . فكلّما رآه لحاجة تبعه . لأنّه عنده أنّه يريد الغائط .

(القرنبى)

وفى القرَنْبَى يقول ابنُ مقبل :

---

(١) ط : ... فى ل : ...

(٢) فى القاموس : ... البلق : ...

(٣) ط : ... فى ل : ...

(٤) ل : ...

(٥) ل : السمهجة .

(٦) ل : ... مفسحة .

(٧) ط : ... الصق من ...

(٨) ...

Marfat.com

ولا أطرُق الجَارات بِاللَّيل قابعاً قبُوعَ القَرَنْبَى أخْلَفَتْه مجاعره (١)

والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقَرَنْبى : دويبَّةٌ فوق الخُنْفَسَاء ودونَ الجعل . وهو والجعل يتْبعان الرَّجلَ إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّير الذى يُضارِع الزَّرْخة فى ذلك الهدهدُ ، منتنُ البَدَن وإن لم تجدْه ملطخاً بشىءٍ من العَذِرة ؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أفحوصَه من الزِّبل ، وليس اقتياته منه إلاَّ على قدْر رغبتِه وحاجته فى ألاَّ يتَّخذ بيتاً ولا أُفحوصاً إلاَّ منه . فخامَرَه [ذلك] النَّتْنُ فعَلِق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه ؛ إذ كان هذا الصنيع عامًّا فى جنسه (٢) .

وتعترى هذه الشَّهْوةُ الذِّبان ، حتَّى إنَّها لو رأتْ عسلاً وقذَرا ، لكانت إلى القذَر أسرعَ . وقال الشاعر (٣) :

فَمَا خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه قفامالِكٍ يُقْصِى الهُمومَ عَلَى بَشْقِ (٤)

وأعظمُ زهواً من ذُبابٍ على خِرًا (٥) وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْقِ (٦)

ويزعمون أنَّ الزُّنبورَ فَسِجٌ بصيد الذِّبان ، ولا يكاد يصيده (٧) إلاَّ وهو

---

(١) ط و : مثل المثبت فى ٢ : ١٨٠ . خاجره . وأثبت ما فى ل .

(٢) ط : إذ كان هذا التضييع عاما فى جنسه ، وهو تحريف ما فى ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكذا فى البيان ٣ : ٢٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٧٣ والشعر والشعراء ٧٠٠ . والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى .

(٤) ل : منبعث لمثله . ما بعده ساقط من ل .

(٥) ل : خرء .

(٦) عرق بالفتح : عظم بحمه . وربما كان كل لحمه فعرق — كفراب — لو كان معروفا لكتبوها .

(٧) ط و : يصيد . ما بعده ساقط من ل .

Marfat.com

ساقطٌ على عذرة لفَرْط شَهْوتِه لها [ولا ستفراغها]، فيعرِف الزُّنبور ذلك ، ١١٣
فيجعل غَفلتَه فُرصة ونُهْزة . قالوا : وإنَّما قلنا ذلك لأنّا لم نجِدْه يروم صيدَه
وهو ساقِطٌ على ثمرةٍ ، فما دونها فى الحلاوة .

(شعر فى الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق فى ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جاءكمُ الأحـــــمقُ رأس الأنتان والقَذِره
وابْنُ عمِّ الحمارِ فى صورةِ الفيـــــلِ وخالُ الجاموس والبقَره
يمشى رُويداً يريد حَلْقتكم كمشى خِنزيرةٍ إلى عذره[1]

وقال حمَّادٌ عَجْرَد فى بشَّار بْن بُرْدٍ العُقيلىّ :

ما صَوَّرَ الله شِبْهاً لـه مِنْ كلِّ مَنْ دِبَّ مِنْ خَلْقِه وصَوَّرَ
أشبَهَ بالخِنزيرِ وجهاً ولا بالكلب أعرَقا ولا بالحُمُر[2]
ولا رأينا أحـــداً مثلَه أنجسَ أو أطفسَ أو أقذَرا[3]
لو طُليتْ جلدتُه عنبراً لنتَّنت جلدتُه العنبرا[4]
أو طُليت مسكاً ذكيّاً إذنْ لخالَ منْكُ مسه حمـ

وقال أبو نُوَاس فى هجاء جعْفَر بْن يحيى بن خالد بن برمك :

إذا ما مدحتُ فتًى من خيرا ليس جزئى أن أُفضى لـه

وقال أعرابىٌّ مهجوٌ حلاً يقال له جَهْوَد بن نُفَيل . [illegible]

(١) ط : [illegible]
(٢) الكلب : [illegible]
(٣) أطفس بالحركة : [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) ط : [illegible]

Marfat.com

إنّى إذا ما عارضى تألّقا[1] ورَعَدت حافته وبَرَقا
أهلكتُ جُلمودَ بنَ أوس غَرَقا كانَ لحمقاء فصارَ أحمَقَا
أخبث شيءٍ عَرَقاً وخِرَقاَ[2] *

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ فى بَشَّار :

يا ابنَ بُرْدٍ اخْسَأ إليك فمثلُ الـ ـكلب فِى الخلْق أَنْتَ لا الإنْسَانِ[3]
بَلْ لَعَمْرى لَأَنْتَ شَرٌّ من الكلـ ـبِ وأولَى مِنْه بكلِّ هَوَانِ
ولَرِيحُ الخِنْزِيرِ أطيَبُ مِنْ رِيـ ـحِكَ يا ابْنَ الطَّيان ذى التُّبَّانِ

وقال بعض الشعراء فى عبد الله بن عُمير :

١١٤ غَزَا ابنُ عُمير غَزْوةً تركَتْ له ثَنَاءً كَرِيحِ الجَوْرَبِ المتخرقِ

وقال حمَّادُ عَجْرَدٍ فى بشَّار[4] :

قُلْ لشَقِىِّ الجَدِّ فى رَمْسِه ومَن يفِرُّ النّاسُ من رِجْسِه[5]
للقِرِدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ولا تَحْفِل برغم القرد أو تَعسه[6]
للقِرْدِ باللَّيْثِ اغترارٌ به فَمَا الَّذِى أدناك من مَسِّه[7]
يا ابنَ استِها فاصبِرْ على ضَغْمةٍ بنَابِهِ يا قِردُ أَوْ ضِرْسِه
نهارُه أخبثُ من ليلِه ويومُه أخبثُ من أمسِه

---

(١) ط : « إذا عارضنى تألقا » .
(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .
(٣) فى ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . و شعر من الخفيف حذف التشعيث فى البيت الأول والثالث . وانظر الأغانى ٣ : ٢١ .
(٤) الشعر فى أمالى المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .
(٥) ل : . . . . فى رمسه وأمه الشاتمة لرجسا ، وهو تحريف .
(٦) ط : « خسه » ولعلها تحسه ، وأثبت ما فى ل .
(٧) ل : « ما الذى أدناك » .

Marfat.com

وليس بالمُقْلِعِ عن غَيِّه[1] حتى يُدلَّى القِردُ فى رَمْسِه

ما خَلقَ اللهُ شبيهاً له من جِنِّهِ طُرًّا ومن إنْسِهِ

واللهِ ما الخِنزيرُ فى نَتْنِه من رُبْعه بالعُشْر أو خمْسِهِ

بل ريحُه أطيبُ من ريحهِ ومسُّه ألينُ مِن مسِّهِ

ووجهُه أحسنُ من وَجهِه ونفسُه أنبَلُ من نفسِهِ

وعودُه أكرمُ من عُودِه[2] وجِنسُه أكرمُ من جِنسِهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرِف وضعَه الخنزيرَ بهذا المكان وفى هذا الموضع ، حين يقول : وعُودُه أكْرَمُ من عُودِه .

وأىُّ عودٍ للخنزير[3] ؟! قَبَحه الله تعالى . [وقبح من يشتهى أكله] .

وقال حمَّادٌ عجرد فى بشَّارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيا فأوَّلَها[4] بلا مَشورةِ إنسانٍ ولا أثَرِ

رأى العمى نِعمةً لله سابغة عليه . إذ كانَ مكفوفاً عن النَّظَرِ

وقال : لولَمْ أكُنْ أعمى لكنتُ كما قد كان بُرْدٌ أبى فى الضيق والعُسُرِ

أكدُّ نفسى بالتضيين مجتهداً إمَّا أجيراً وإمَّا غيرَ مأجورِ

أو كنتُ إنْ أنا لم أقنعْ بفعلِ أبى قصَّابَ شاءٍ شقىَّ الخلقِ والخُلُقِ

كإخوتى دائباً أشقى شقاءهمُ فى الحرِّ والبردِ لا لاحٍ ولا بكرِ

فقد كفانى العَمى من كلِّ مكْسبةٍ وليسَ يأتى بأسبابٍ من الغِيَرِ

(١) ط : [illegible]

(٢) ط : [illegible]

(٣) ط : [illegible]

(٤) ط : [illegible]

(٥) ط : [illegible]

Marfat.com

١١٥ فصرتُ ذا نَشَبٍ من غير ماطلب إلاَّ بمَسْألتى إذ كنت فى صِغَرِى (١)
أضمُّ شيئاً إلى شىءٍ فأذخره (٢) ممَّا أجمِّع من تمر ومن كِسَرِ
مَن كان يعرفُنى لو لم أكن زَمِناً أو كان يبذُل لى شيئاً سِوى الحَجَر ؟!
فقُل له لا هَداه اللهُ مِن رجُلٍ فإنَّها عُرَّةٌ تُربِى على العُرَر (٣)
لقد فضِنتَ إلى شىءٍ تعيش به يا ابنَ الخبيثة قد أدقَقْتَ فى النظر (٤)
يا ابنَ التى نَشَزَت عن شيخ صِبْيَتِها لِأَير ثوبانَ ذى الهامات والعُجَر (٥)
أما يكفُّكَ عن شَتْمى ومنقَصَتى ما فى حِرامِّك من نَتْن ومن دَفَرِ (٦)
نفَتْكَ عنها عُقَيلٌ وهى صادقة فسل أسيداً وسل عنها أبا زُفَرِ (٧)
يا عبدَ أمِّ الظباء المستطبِّ بها من اللَّوَى ؛ لستَ مولى الغُرِّ من مُضَر
بل أنتَ كالكلب ذُلاًّ أو أذلُّ وفى نَذَالةِ النفس كالخنزيرِ واليَعَر (٨)
وأنتَ كالقردِ فى تشويه منظرِه بل صورةُ القرد أبهى منك فى الصُّوَرِ

ووصف ابنُ أبى كريمة حُشًّا له ، كان هو وأصحابه يتأذَّون بريحه فقال :

ولى كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللهِ يطرقنى أرواح وادى خبال غير فتَّار (٩)

---

(١) ط : « لا بمسئلتى إن كنت فى صغر » وهو تحريف .
(٢) ط : « فأحرزه » .
(٣) العرر : المساوى والمثالب . فى ط : « لاهداه الله » .
(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف . وفيها « قد وقفت فى النظر » .
(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .
(٦) كذا فى ل . وفى ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . فى أدب الكاتب ١٥٧ : « النتن : شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث » .
(٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل » .
(٨) اليعر . ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركا فى هذا الشعر . وفى ط : وفى نذالة النفس والخنزير والنقر .
(٩) كذا فى ل . وفى ط : « وادى خيل » ، وفى س : « وادى خيل » وفى م : « واد خيل » .

Marfat.com

له بدائعُ نَتْن ليس يَعرِفها[1] من البَرِيَّةِ إلاَّ خَازِنِ النَّـارِ
إذا أتانى دَخِيلٌ[2] زَادَنِى بِدَعاً كَأَنَّهُ لَحِجٌ عَمْـداً بإِضْرَارِى
قد اجتوانِى له الخُلاَّنُ كُلُّهُم وباعَ مَسْكَنَه مِن قُرْبِه جارى
فمن أرادَ من البِرْسَـامِ أقتَلَهُ أو الصُّدَاعِ فَرْد يدخلَنْ دارى
استكثَفَ النَّتْنُ فى أنفى لكثرتِه فليس يوجدنيه غيرُ إضمارى[3]

(رُوَة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول[4] : ويلكَ ! ما حفظتَ بيتَ شعر قطّ ؟ فقال : بيتاً واحداً اشتهيته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إنّى[5] لا أحفظُ إلاَّ بيتاً واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشِدْه . فأنشدهم :

كأنّمـا نَكْهَتُهَا مُدَّةٌ تَسيلُ من مُخَّطَةِ مُجْذُومِ

وزعم أصحابنا أنّ رجُلاً من بنى سعد — وكان أنتنَ الناس إبطاً — بعثه نا
ناساً من عبد القيس يتجلّدُونه برجل منهم . فمضى إليهم ثلا . . . ص ١١٦
وقد أنشدَ[6] إبضاً . وهو يقول :

أقبلتُ مِنْ جَنْبَةٍ ناعتينا[7] بنادِى مُخَطَّطٍ يُعْصَلُ حَـ

---

(١) ... فى ط . وفى ... : يعجنه ... يسير .
(٢) ط : بخيل ... بخيل .
(٣) يوجدنيه : يجعل ... يوجد ... وفى ط ...
(٤) ... فى ... ٣ : ٢٢٠ ... ٩٠ ... ٥٥ ...
... وفى ... بن حمد .
(٥) فى ... : ...
(٦) ط : ...
(٧) ... فى معجم البلدان ... ط : ...

Marfat.com

يَزْوِى له من دَتْنِه[1] الجَبينا حتَّى تَرَى لوجهِه غُضُونا
* نَبَّئْتَ عبدَ القيس يَأبِطونا *

قال : ومتَح أعرابىٌّ على بئرٍ وهو يقول :

يارِيَّها إذا بَدا صُنَانِى كأنَّنِى جانى عُبَيْثُرَانِ[2]

وقال آخر :

كأنَّ إبطىَّ وقد طالَ المدى نَمْحَةُ خُرْءٍ مِنْ كَوَامِيخِ القرى[3]

ويقال إنّهُ ليس فى الأرض رائحةٌ أنتنُ ، ولا أشدُّ على النفس ، من بَخَرِ فمٍ أو نَتْنِ حِرٍ ، ولا فى الأرض رائحةٌ أعصمُ لرُوحٍ من رائحة التفاح .

وقال صاحب الكتاب : فما نرى النَّاسَ يَعافُون تسميدَ بُقولِهم قبل نُجومِها وتفتُّقِ بزورها[4] ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضع اللُّبِّ منها حتَّى رُبَّما ذَرُّوا عليها السَّمادَ ذَرًّا . ثُمَّ يُرْسَل عليها الماءُ حتى يَشْرَبَ اللُّبُّ[5] قُوَى العذِرة ؛ بل مَن لهمْ بالعَذِرة ؟! وعلى أنَّهم ما يصيبونها إلاّ مغشوشةً مُفْسَدَة . وكذلك صنيعُهم فى الريحان . فأمَّا النَّخْلُ فإن استطاعوا[6] أن يَطْلُوا بها الأجذاعَ طِلْيًا[7] لفعلوا . وإنّهم لَيُوقِدون بها

---

(١) ط : من ثمه .

(٢) عبيثران . قال ابن سيده : هو من ريحان البر طيب الريح . قريب الشبه من القيصوم وليس مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا أن له شوكا دقيقا . عبيثه نور أصفر شبيه بالذى يكون فى وسط الأقحوان . ويوضع فى المجالس مع القمقمية فوق بقوله ريحان . وهى فى ط :

(٣) نمحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لمحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : بذورها بالنون . وهو بمعنى .

(٥) ط : يشرب موضع اللب وهو موضع مقعرة .

(٦) ط : يستطيعوا وهو تحريف ملحق .

(٧) ط : الضب وهو تحريف ظاهر .

Marfat.com

الحَمَّاماتِ وأَتاتينَ المِلَال[١] ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سمادهم الأبعارُ كلُّهَا والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بينَ الثَّلط جَافا والخثاء يابساً ، وبين العَذِرة جافَّةً ويابسةً فرق . وعلى أنَّهم يعالِجون بالعَذِرة وبخُرْءِ الكلاب . من الذُّبحة والخانُوق[٢] فى أقصى مواضع التقزُّز[٣] وهو أقصى الحلق ، ومواضع اللهاة[٤] ، ويضعونَها على مواضع الشَّوكة . ويعالجون بهـا عُيونَ الدَّوابّ .

(أقوال لمسبّح الكناس)

وقال مسبّح[٥] الكناس : إنَّما اشتُقَّ الخير من الخُرْء . والخرء فى النوم خير . وسَلْحَةٌ مُدرِكَةٌ ألذُّ من كَوْمِ العروس ليلة العُرس . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الملوك لبعض الأسباب . وإذا به قُعاصٌ وزُكام وثِقَلُ رأس . وإذا ذلك قد طاولَه . وقد كان بغنى أنَّه كان حجر بخلوص على المعدة وتيبن الخلاء . فأمرته بالعَود إلى عادته . فأقامت به أيَّاماً حتى ذهب ذلك [illegible]

وزعم أنَّ الدنيا مثلثة خيوطان وثُوبة . هى لامرئ ولأمه . إلَّا أنَّ النَّاس قد غمرهم ذلك حتى خيط به . وقد مُحق جسمه فصار كأنَّه [illegible] فى خيوطه . قلت : فمن يتاب خبرى . فيقف فى البَدْء إلى أن تتبين ذلك فى أوَّل ما يخيط بى الدنيا . عن بيت معيّب . وأشمّه [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]

Marfat.com

المتشبِّث . عَلَى أنّ البقاعَ تتفاوت فى النتن . فهذا قولُ مسبّح[1] الكنَّاس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوَيه وابن ماسَوَيه مُتطبِّبا الخلفاء[2] ، أنَّه ليس على الأرض جِيفةٌ أنتنُ نَتْناً ولا أَثْقَبُ ثُقوباً مِن جيفةِ بعير ، فظننتُ أنَّ الذى وَهَّمهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضُهما لأربابه ، ولأنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، هو المذكورُ فى الكتب براكب[3] البعير . [ويقال إن الحجَّاج قال ذم : أىُّ الجِيَفِ أنتن ؟ فقيل : جِيَف الكلاب . فامتحِنَتْ فقيل له : أنتن منها جيف السنانير ، وأنتن جيفها الذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جِيفَتَىْ سنَّورين ذكرين[4]] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول فى النتن والطِّيب شيئاً . لعلَّك إن تفقَّدتَه أن توافقَنى عليه وترضى قولى . أمَّا النتن فإنّى لا أشمّ شيئاً أنتنَ من ريحِ حُشٍّ مقيَّر ، يبول فيه الخِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ، فإنّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة[5] وريح النار وريح هواء الحُشّ[6] وما ينفصل إليه من ريح

---

(١) ط : مسيح .

(١) سلمويه هو ابن بشر ، ترجمة المقتضب ٣ : ١٥٣ ؛ وابن ماسويه ٢٩٦ البرمكى ٤١٢ مصر . وأبان بن ماسويه فهو أبو زكريه يحيى ويوحنا . هذه [illegible] مصر . وابن ماسويه البرمكى ، ترجمته ٣٥٥ البرمكى ٤١١ مصر .

[illegible] طيب [illegible]

[illegible]

[illegible] الحوانيت

[illegible] الريح النار وريح هواء [illegible]

Marfat.com

البالوعة — جِهةً من النَّتْن ومذهباً فى المكروه . ليس بينــه وبين الأبدان عمل ، وإنَّما يقصِد إلى عين الرُّوح وصميمِ القلب . ولا سيَّما إذا كان الخلاءُ غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأمَّا الطِّيب فإنى لم أشْمَمْ رائحةَ قطُّ أحيا للنفس ولا أعصَمَ للرُّوح ، ولا أفتَقَ ولا أضنج . ولا أطيب خمرة من ريحِ عَروس [1] ، إذا أُحكِمت تلك الأخلاط . وكان عَرْف [بَدَنها] ورأسِها وشعرها سالماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإنّك ستجد ريحاً نعلمُ أنّهُ ليس فوقَها إلاّ ريحُ الجنة .

(ما قيل فى الطِّرِبان)

ومما قالوا فى النتن . وفى ريح جُحْرِ الطِّربان خصلــة . قال خلف ابن عَبْدَل :

ألقيتَ نفسَكَ فى حُروضٍ مُشقَّة ... وخصصتَ نفسَك بالمحل الأدنَى

أنت امرؤ فى أرضِ أدْمَكَ فُلفُل ... جمعٌ وأنفسُ ما لديك الكمأةُ

فبحقِّ أدْمَتك وما منك حقيقة ... بالبرِّ والتقوى لأنك لا تَنِى

لا تأمُلَنَّ نيلَ لؤمِك وخسَّة ... حتى تموتَ وإنك لمُرَجَّى

إن كان لطِّربانِ جُحْرٌ نَتِنٌ ... فلجُحْرِك النَّتْنِ الخبيثِ أنتَنُ

(١) ل : ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

Marfat.com

وقال الربيع بن أبى الحقَيق — وذكر الظّربان — حينَ رمى قوماً بأنّهم يَفسُون فى مجالسهم ، لأنّ الظَّربان أنتنُ خلْقِ الله تعالى فَسْوةً . وقد عَرَف الظّربانُ ذلك فجعَله من أشَدِّ[1] سِلاَحِه ، كما عرَفتِ الحُبارَى مَافى سُلاَحِها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظّربانُ يدخل على الضبِّ جُحرَه وفيه حُسوله أو بيضُه ، فيأتى أضيقَ موضعٍ فى الجُحر فيسدُّه بيديه ، ويحوِّل استَه فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُدَارَ بالضبِّ فيخِرَّ[2] سكرانَ مغشِيًّا عليه : فيأكله ، ثم يقيم فى جُحره حتَّى يأتِىَ على آخِر حُسوله .

وتقول العرب : إنّه رُبَّمَا دخَل فى خِلال الهَجْمة فيفسو ، فلا تتمُّ له ثلاثُ فَسَوات حتى تتفرَّق الإبل عن المبْرَك. تتركه وفيه قِرْدان فلا يردُّها الراعى . إلاّ بالجَهْدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَلِيلٌ غَنَاؤُهُمْ فِى الهِيَاجِ ، إذَا مَا تَنَادَوْا لأمرٍ شَدِيدِ
وأنتمْ كِلاَبٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهِرُّ هَرِيرَ العَقُورِ الرَّصُودِ[3]
وأنتم ظَرَابِىٌّ إذ تجلسونَ وما إنْ لنا فيكمُ من نَدِيدِ[4]
وأنتم تيوسٌ وقد تُعْرَفونَ بريحِ التُّيوسِ وقُبْحِ الخُدودِ[5]

قال : ويقال : « أفسى من الظّربان » ويسمّى مفرّقَ النَّعَمِ ، يريدون من نَتْن ريحِ فُسَائه . ويقال فى المثل — إذا وقعَ بين الرجُلين

---

(١) ط : « أحد » .
(٢) ط : « فخر » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب ٣٣٣ .
(٣) ط : « الصدود » .
(٤) ليس فى ط . وق ط : « مزيد » وهو تحريف ، فى ل وثمار القلوب .
(٥) ط : « خدود » ، وفى الثمار : « وتلك الجلود » .

Marfat.com

شرٌّ فتباينَا وتقاطَعَا — : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أنتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبّ إنَّما يخدع[1] فى جُحْره ويُوغِل فى سِرْبه لشدَّة طلب الظّرِبان له . وقال الفرزدق فى ذلك :

ولو كنتُ فى نارِ الجحيم لأصبَحَتْ ظَرَابِىٌّ من حِمَّانَ عنِّى تثيرها[2]

وكان أبو عُبيدة يُسمِّى الحِمَّانِىَّ صاحِبَ الأصَمِّ : الظَّرِبان[3] ، يريد هذا المعنى . كما يسمّى كل حِمَّانِىٍّ[4] ظَرِبَانا .

وقال ابن عَبدَل :

لا تُدْنِ فاكَ من الأمير ونَحّه حتّى يداوِىَ ما بأنْفِك أهْرَنْ
إن كانَ للظَّرِبان جُحرٌ مُنتِنٌ فلَجُحر أنفِك يا محمّدُ أنتَنْ

فى شعره الذى يقول :

لَيتَ الأميرَ أطاعَنى فشفيتُه من كلّ مَن يُكفِى القصيدَ ويَلحَنْ
متمكّنٌ يَخْشَى الكلامَ كأنّما باتَتْ مناخِرُهُ بِدُهْن تُعرَنْ
ولَنِعْمَ هم سِجنٌ فكنتُ أميرَهم زمنًا فأضرِبُ من أشاءُ وأسجُنْ
قل لابن حَكَمة العضاض محمّد إن كنتَ من حَبِّ التقلّب تجبُنْ
ألقَيْتَ نفسَك فى عروض مشقّة وخلعتَ أنفَك بالهجين الأهْوَنْ
أنت امرؤٌ فى أرضِ أنفك فاعلٌ حتّى [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]

Marfat.com

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقةٌ بالبرِّ واللَّطَفِ الذى لا يُخْزَنُ[1]
لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ حتَّى يُداوِىَ ما بأنفِك أهْرَنُ
إنْ كانَ للظَّرِبانِ جُحْرٌ منتنٌ فلْيَجْحُرْ أنفِك يا محمَّدُ أنتَنُ[2]
فسَلِ الأميرَ وأنْتَ غيرُ موفَّقٍ وبَنُو أبِيهِ للفَصاحة مَعْدِنُ
وسَلِ ابْنَ ذَكْوانٍ تَجِدْهُ عالِماً بسَايِقةِ العُرْب التى لا تحزُنُ[3]
إذْ أنتَ تجعَلُ كلَّ يومٍ عفصةً[4] فتجيدُ ما عمِلت يَداك وتحسِنُ
أشبهتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ أنْ قد خُتِنْتَ وأنَّها لا تُختَنُ
فلَئِن أصبتَ دراهماً فدفنتَها وفُتِنت فيها . وابنُ آدَمَ يُفتَنُ
فبما[5] أراك وأنتَ غيرُ مُدَرْهِمٍ إذْ ذاك تَقْصِف فى القِيان وتَزْفِنُ
إذ رأسُ مَالِكَ لُعْبَةً بصريَّةً بَيْضَاءُ مُغْرِبَةٌ[6] عليها السَّوْسَنُ

وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوت[7] محمداً ودخانُ فيه كريحِ الجَعْر فوقَ عَطِينِ جِلْدِ
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى كريمٍ يطلبُ المعروفَ عِندى
فقلتُ له ولم أعجَل عليه : وذلكَ بعدَ تقريظى وحَمْدِى
فأعْرَضَ مُسْكِمَحًّا عنِّى كأنِّى أكَلِّمُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صَمْدِ[8]

---

(١) ط : « لا يخزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعيد الكاتب البغدادى ٢ : ٢٠٤ ؛ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٣٠ .
(٣) بن [illegible] وفى ط : « تخزن » .
(٤) ل : [illegible] .
(٥) ل : [illegible] .
(٦) [illegible] ط : « مغربة » بالعين .
(٧) [illegible] يقال نجوت قرحة ، إذا استخرجت ، والبيت فى اللسان (نجا) برواية أخرى ، والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .
(٨) الملء [illegible] من ل ، وفى ط : « مكلحا » وتصحيحه من ل . والصمد : [illegible] وفى ط : [illegible] وفى ب : « صمد » بالضاد وتوجيه أيضا .

Marfat.com

أقرِّبُ كل آصِرَةٍ[1] ليدنو فما يزْداد منِّى غيرَ بُعْدِ
فأقسِمُ غيرَ مستثنٍ يميناً أبا بَخَرٍ[2] لتتَّخِمَنَّ رَدَّى
فلو كنتَ المهذّبَ من تميم لخفتَ ملامَتى ورجوتَ حَمدى
نَجَوتُ[3] محمداً فوجدتُ ريحاً كريح السكاب دِيتَ قريبَ عَهْدِ
وقد ألْذَعتَنِي[4] ثعبانَ نَتْنٍ سيبلغ إنْ سلمْنا أهلَ نَجْدِ
وأدنَى خَطْمَه فوددتُ أنِّى قَرَنْتُ[5] دنوَّه منى ببُعْدِ
كما افتَدَتِ المعاذةُ من جَواهُ[6] بخِلْعَتِها ولم تَرجِع بزُنْدِ ١٢٠
وفارقَها جواه فاستراحَتْ وكانتْ عندَه كأسيرِ قِدِّ[7]
وقد أدنيتُ فاه إلىَّ حتَّى قتلتُ بذاك نفسى غيرَ عَمْدِ
وما يدنُو إلى فيه ذُبابٌ ولو طافت مَشافِرُه بثَمْدِ
يَذُقن حلاوةً ويَخَفْن موتاً زعانفُ إنْ دعَمْنَ به بسَرْدِ
فلما فاحَ فوه على فؤادى بمثل خَفِيَّة الدَّبسِ الخَضِلِ
فقلت له : تنحَّ بغيرِ عنِّى فما هذا بريحِ فمِ الخِلِّ

---

(١) الآصرة : رحم تعطف ولى ...
(٢) أبخر بالتحريك : ...
(٣) ونجوت : ... (جمع ...)
(٤) ألذعتنى : ...
(٥) قرنت : ...
(٦) المعاذة : ...
(٧) ...

Marfat.com

وما هذا بريح طِلاً ولكنْ يفوحُ خِرَاكَ منه غير سَرْدِ (١)
فحدِّثْنى فإنَّ الصِّدقَ أدنى لبابِ الحقِّ من كذِب وجَحْدِ
أبانَ يجولُ فى عَفَجٍ طحور فأعلم أمْ أتاكَ به مُغَدِّى (٢)
[نكِهتَ علىَّ نكهةَ أخدَرىٍّ شتيمٍ أعصلِ الأنياب وَرْدِ]
فإن أهديتَ لى من فيكَ حتْفى فإنِّى كالذى أهديتَ أهدى (٣)
لكم شُرُداً يَسرِن مغنِّياتٍ تكونُ فنونُها من كل فِندِ (٤)
أما تخزَى خزِيت فـا إذا ما رَوَاها النَّاسُ من شِيبٍ ومُرْدِ (٥)
لأرجُو إن نجوت ولم يُصبْنى جَوًى إنِّى إذن لسعيد جَدِّ
وقلتُ له : متى استطْرفْتَ هذا فقال أصابنى من جَوفِ مَهْدِى
فقلت له : أما داويتَ هذا فتعذر فيه آمالا بجَهْدِ (٦)
فقال : أما علمت له رِقَاءً فتسليه لنا فيما ستُسْدِى (٧)
فقلت له : ولا آلوه عيا له فيما أمرُّ له وأُبدِى (٨)
عليكَ بقيْنةٍ وبجَعْرِ كَلْبٍ ومثلْ ذاك من نونٍ كنَعْدِ (٩)
وحِنَّايتٍ وكُرَّاثٍ وثُومٍ وعُودَى حَرْمَلٍ ودِماغِ فَهْدِ (١٠)
وحنجرةِ ابنِ آوى وابنِ عِرسٍ ووزنِ شعيرةٍ من بزْر فَتْدِ (١١)

---

(١) ... بالكسر : الخمر . وفى ط : فيه غير سرد .
(٢) ... : ما يلتقط . أبان : للتعجب بمعنى ما . والعفج : الضخم . والطحور : السريع . وفى ط :
بات تجـول فى علج طحون ... فاعلم بذا أتاك به معدى (كذا)
(٣) ل : فيه .
(٤) ... بالكسر : النوح . وفى ط : قينة ... وجه له .
(٥) ... وفى ... : ... وفى ل : ... والوجه ما فى ط .
(٦) كذا .
(٧) فى ... : تسلى ... بها الثكلى .
(٨) ... وفى ل : ... وفى نسخة أخرى مما سقطت من ل . وفى نسخة كتبها عبد الرحمن المحرقة .
(٩) ... فى ... وفى ... : من نون كمقعدى .
(١٠) ط : ... والحنايت ... والصواب بالراء كما فى ... .
(١١) فى ... : ... وفى ل : ... وفى ط : وحنجرة ابن آوى ثم دفل » .

Marfat.com

وكَفٍّ ذُرُحْرُحٍ[1] ولسانٍ صَقِر ومثقالين من صوّان رَقْدِ[2]
يُدَقُّ ويُعجَن المنخول منه ببولٍ آجِنٍ وبجَعْرِ قِرد
وتدفِنُه زماناً فى شعـــيرٍ وترقبه فلا يَبدُو لبَرْدِ[3] ١٢١
فدخِّن فاكَ ما عتَّقت منـــه ولا يعجن بأظفار ونَدِّ[4]
فإنْ حضَرَ الشتاءُ وأنتَ حىٌّ ، أراك اللهُ غَيَّكَ أمرَ رشدِ[5]
فدَحْرِجْها بنـــادِقَ وازدرِدْها متَى رُمْتَ التكلُّم أىَّ زَرْدِ
فتقذف بالمِصَلِّ على مِصَلٍّ ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدِّ[6]
وويْلَك ما لِبَطْنِك مذْ قَعَدْنا كأنّ دوِيَّهُ إرزام رَعد[7]
فإنَّ لِحكَّةِ الناسور عندى دواءً إن صبرتَ له سيُجدِى
يُميت الدّودَ عنكَ وتشتهيه إن آنتَ سَنَنْتَهُ سنَّ المقَدِّى[8]
به ، وطليتَه بأصولِ دِفْلَى وشىءٍ من جنَى الصَّف ورِنْدِ
أظُنّى ميِّتًا مِنْ نَتْنِ فيهِ أهانَ اللهُ من ناجاهُ بعْدِى

---

(١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تكون ... وفى ... وفى ... ذرحرح ... ل : ذرائح ... وفى ... وفى ط : ... ذرقة .

(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كذا فى ... وفى ... وفى ط : ... رقة .

(٣) فى الأصل : ... وترقبه فلا يبدو ... ل : ... ولا تعجن إلا ... به ... وفى ... وفى ط : ... لله فى ... وفى ... : ... المصفد .

(٤) ط : ...

(٥) ...

(٦) ...

(٧) ط : ...

(٨) ...

Marfat.com

(أشعار العرب فى هجاء الكلاب)

وقال صاحب الديك : سنذكُر أشعار العرب فى هجاء الكلب مجرَّدا على وجهه ، ثمَّ نذكُر ما ذمُّوا من خلالهِ وأصنافِ أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكرِ هجائه فى الجملة . قال بشَّار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتَوْلَبًا ... وللكَلْبُ خَيْرٌ من سُويدٍ وتَولبِ

وقال بشَّارٌ أو غيرُه :

أتَذْكُرُ إذ تَرْعَى على الحَيِّ شاءَهُمْ ... وأنتَ شريكُ الكلب فى كلِّ مَطْعَمِ
وتلحَسُ مافى القَعْبِ من فَضْلِ سُؤْرِهِ ... وقد عاثَ فيه باليدَين وبالفمِ

[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يَتُبْ به[1] ... ويترك المالَ لِعَامِ جِدْبِه
يهُنْ عَلَى النَّاس هَوَانَ كلبِه] *

وقال آخر :

إنَّ شَرِيبى لَا يغبُّ بوجهه ... كُلومى كأنْ كلباً يُهارِش أكْلُباً[2]
ولا أَقْسِمُ الأعطان[3] بينى وبينَه ... ولا أتوقَّاه وإن كان مُجْرِبا

وهجا [أبو] الأحوص[3] ابناً له فشبَّهه بجرْوِ كَلْبٍ فقال :

أقبحْ به من ولدٍ وأَشْقِحْ ... مثل جُرَىٍّ[4] الكلب لم يُفَقَّحْ

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفى ل : « يشبه » وهو تحريف إملائى . وفى البخلاء ١٥٥ : « يشبته » وليس بشىء . وانظرهما .
(٢) ط : « إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه فى ل .
(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط : « الأعكان » .
(٤) جرى : مصغر جرو . وفى ل : « جرئ » .

Marfat.com

إن يَرَ سُوءًا مَا يَقُمْ فينَبِحْ[1] بالبابِ عند حاجةِ المستفتِحْ[2]

وقال أبو حُزَابة[3] : ١٢٢

يا ابنَ عليٍّ بَرِحَ الخفاءُ أنتَ لغَيْرِ طَلْحَةَ الفِدَاءُ[4]
قد علمَ الأشرافُ والأكفاءُ أنَّك أنت النَّاقصُ النَّفَاءُ[5]
تَحَلَّقَ جَدَّعه الرِّعاءُ[6] يُغْمُّه المِئْزَرُ والرِّدَاءُ
بنو عليٍّ كلُّهمْ سواءُ كأنَّهم زِينِيَّةٌ جِراءُ[7]

وقال عبدُ بنى الحَسْحاس ، وذكر قُبْحَ وجهِه [فقال] :

أتيتُ نِساءَ الحارثِيِّينَ غُدْوةً بوجهٍ بَرَاهُ اللهُ غيرِ جميلِ[8]
فشبَّهنَنى كلباً ولسْتُ بفَوقِه ولا دونَه إن كان غيرَ ذَلِيلِ

---

(١) ط : « إن يرسوا ، يقم فينبح » .
(٢) ط : « خمنة المستفتح » .
(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط « [illegible] وبه سمى [illegible]
ابن حنيفة . أحمد بن بيعة بن حنظلة سمع من سعد ، سمع منه [illegible]
وسكن البصرة ثم كتب في الديوان وضرب [illegible] سجستان
مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث [illegible]
أبو الفرج : وأظنه قتل معه ، وكان [illegible] البصرة [illegible]
الأغاني ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ ، ومنه يتضح [illegible] ١٢٠ ليس [illegible]
(٤) الفداء هنا بمعنى جمال ، وقول : [illegible]
١٥٣ : « أنت من صحة [illegible]
ولى سجستان بعد صحة ، وصحة هذه [illegible]
صحة الصحت ، وكان [illegible]
ابن حزابة ، وكان عبد [illegible]
(٥) يعني بالحسحاس : الحسحاس الخفيف ، وقول [illegible]
(٦) الخليق : ثم صفة [illegible]
« الرعاء » وهو تحريف .
(٧) الزينية : ثياب قصيرة [illegible]
(٨) كذا في ل وديوان الحسحاس ٣٥ : [illegible]

Marfat.com

وقال أبو ذُبَابٍ السَّعْدىّ[1] فى هَوَان الكلب :

لكِسْرَى كانَ أعقَلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من أرْضِ الضَّبابِ
وأسكنَ أهلَه ببلاد رِيفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذَابِ
فصار بنُو بَنيه لها مُلوكاً وصرنا نحنُ أمثالَ الكِلَابِ
فلا رَحِمَ الإلهُ صدَى تميم فقد أزْرَى بنا فى كلّ باب

وأراد اللّعين[2] هجاءَ جريرٍ — وجَريرٌ من بنى كُليب — فاشتقّ هجاءَه من نسبه فقال :

سأقْضِى بين كلبِ بنى كُليبٍ وبين القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فإنَّ الكلبَ مَطعَمُه خبيثٌ وإنَّ القينَ يَعمَل فى سَفالِ
كِلَا العَبدين — قد علمتْ مَعَدٌّ لئيمُ الأصلِ من عمٍّ وخالِ
فما بُقيا علىَّ تركتمانى ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النبال

وقال رجلٌ من هَمْدان . يقال له الضَّحَّاك بن سعد[3] ، يهجو مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم ، واشتقّ له اسماً من الكلب فجعله كلبا فقال :

لجَّ الفِرَارُ بمرْوانٍ فقلتُ له عادَ الظلوم ظليماً همُّهُ الهربُ[4]
أين الفِرارُ وتركُ الملْك إن قبلت منك الهُوَينَى فلا دينٌ ولا أدبُ[5]

---

(١) أبو ذباب السعدى : صحابى شاعر ، من سعد العشيرة . له فى إسلامه خبر ظريف ، وهو ممن عرف بكنيته فقط . ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن » دب « وفى ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . وأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى تخيير إلى الأوطان إلى الفرزدق.

(٢) هو مناذل بن زمعة المنقرى ، من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

ما زال أبغض منبى جار مأكله إلا تنفجه عندى إذا قعدا
ما زال ينفخ كتفيه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلم » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعانى : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

Marfat.com

فَرَاشَةَ الحلم فِرعونُ العذابِ ، وإن يُطلَب نَدَاهُ فكلبٌ دونَه كَلِبُ

وقال آخر وجعل الكلبَ مثلا فى اللُّؤم : ١٢٣

سَرَتْ ماسَرَت من ليلِها ثمّ عرّسَتْ على رجلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ مِنْ كلْبِ

وكذلك قول الأسود بن المنذر (١) ، فإنّه قال :

فإنّ امرأً أنتمُ حـــولَه تَحْفُون قُبَّتَه بالقباب (٢)

يُهِينُ سراتَكمُ جاهـــداً ويقتلكم مثلَ قتل الكلاب

وقال سحيمة بن نعيم :

ألستَ كلبيًّا لكَلْبٍ وكابِهِ ذا عندَ أطْنَاب البيوت هَرِيرُ

وقال النَّجْرانىُّ فى ذلك :

مِن منْزِلى قد أخرجَتْنِى زوجتى تَهِرُّ فى وجهى هرير الكلبة

زوَّجتُها فقيرةً من حِرْفَتى قالت ذا لمّا أراقَتْ جَرَّتى

أهَ هِلالِ أبْشِرِى بالحسرةِ وأبشرِى منك بقُرب النَّمْرَة

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب : فالحَس . وهو من صفات الحرْص والنَّهَم . ويقال : " فلان أسألُ مِنْ فلْحَس " . وفلْحَسٌ : رجلٌ من بنى شيبان (٣) كان حريصا نهما . وفلحفا فلحًّا . وكلُّ طُفَيلىٍّ فهو عندهم فلْحَس .

والأرشم : (٤) الكلب والذئب . وقد اشتقّ منه للإنسان إذا كان يتشمّم الطعام ويتْبع مواضعه . قال جريرٌ فى بعضهم :

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٣٠ [illegible]

(٢) فى الأغانى ١ : ١٥٢ [illegible]

(٣) [illegible] (٢١٨ : ١ [illegible]

(٤) فى الأغانى [illegible] ١٧ : ١ [illegible]

Marfat.com

لَقَّى حَمَلتْهُ أمُّه وهى ضَيفة فجاءَتْ بيَتْنٍ للضِّيافةِ أرْشَما (١)

وقال جريرٌ فى استِرواح الطعام (٢) :

وبنو الهُجَيم سَخيفةٌ أحلامُهم تُطُّ اللِّحَى مُتشابِهُو الألوانِ
لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمَانَ أضحى جمْعُهم بعُمانِ
متأبّطين بنيهمُ وبناتِهمْ صُعرَ الخدودِ لريحِ كلِّ دُخانِ (٣)

وقال سَهمُ بن حنْظَلَة الغَنَوىُّ فى ذلك :

وآدَا كلابٌ فمثلُ الكِلا ب لا يُحسِنُ الكلابُ إلَّا هريرَا
وآدَا عُميرٌ فمثلُ البِغا ل أشبَهْنَ آباءهُنَّ الحميرا (٤)
١٢٤ وآدَا هِـــلالٌ فعَطَّارَةٌ تَبيع كِباءً وعِطْرًا كثيرا (٥)

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بالمِرْبَد ، فوقفَ عليه الراعى وابنه جنْدَل ، فقال له ابنه جندل : إنَّه قد طال وقوفُك على هذا الكلب الكُلَيبىّ ، فإلى متى ؟ ! وضرب بغلَته ، فمضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : واللهِ لأُثْقِلنَّ

---

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « فى ... محرقا » . والبيت عن الصواب فى اللسان (ضاف . رشم . يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب فى كل ذلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد ... لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) ... فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) ... ساقط من ل .

(٤) ... البيت والذى قبله فى ل ، بكلمة « وأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة ... وفى ... : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) ... كالكلب : عود البخور أو ضرب منه . وبياض فى ل ، ... » وهو ... أو لزعفران . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

Marfat.com

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ فى هجائه ، فلم يأته ما يريد . فلما كان معَ الصبح انفتَح له القولُ فقال :

فغضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولو جُعِلت فِقاحُ بنى نُميرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذاً لذَابا

ثم وقف فى موقفه ، فلمَّا مرَّ به جندلٌ قبض على عنان فرسه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجندلُ ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأَيرُ فى است أبيك غابا

قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا (١) .

وقال الشاعر — وضرب بالكلب المثلَ فى قُبْح الوجه — :

سَفَرتْ فقلتُ ذا هَجِ فتبرقَعَتْ فذكرتُ حين تبرقعت ضبّارِ (٢)

وضبّار : اسم كلبه (٣) .

(أمثال فى الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وُلِد مقرفًا : إنّ لكلّ وُلْفة كلبًا ، وإنه لم تكنْ كلبَ أصحابك .

وتقول العرب : أحبُّ أهلى إلىّ كلبهم الضّاغن (٤) ، ومن أمثالهم : وقَعَ الكلبُ على اللّذّب ليأخذ منها ، مثل إذا أخذ . ومن أمثالهم :

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

« الكلابَ على البَقَر[1] » . ومن أمثالهم فى الشؤم قولهم : « على أهْلِها دلَّتْ بَرَاقِشُ » . وبراقش : كلبةُ قومٍ نبحَت على جيشٍ مرُّوا ليلا وهمْ لايشعُرون بالحىِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها .

قال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيِّد آلِ ثورٍ نُباتة عضَّهُ كلبٌ فماتا[2]

(قتيل الكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شىء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوُجِد ليس به حَبَضٌ ولا نَبَض[3] . وقال عَرفجة بن شريك يهجو أسلَم بن زُرْعة — ووطئتْ أباه عنزٌ بالمربد فمات — فقال :

١٢٥ ولم يطع إذْ بانَ[4] منّى وجيشَرِى مكانَ قتيلِ العنز أنْ أتكلَّما

فيا ابنَ قتيلِ العنْز هل أنت ثائرٌ بزُرْعةَ تيساً فى الزَّريبةِ أزنما[5]

وقال أبو الغول يهجو جعفر بن يحيى[6] :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طلَبِ العُرْف إلى الكلْبِ

---

(١) فى الأصل : « الكذب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للميدانى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه. وانظر المزهر ١ : ٦٥ .

(٢) ط : أم تر أن سيد آل ثور بنابه عضه كلب فماتا

(٣) فى القاموس : ما به حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : بات ، وهو تحريف ما فى ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى عنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزرما » .

(٦) أبو غول الطهوى شاعر مقل له شعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى الحماسة ١ : ٤٠ والأغانى ٣ : ٣٥١ وسمط عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢ والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر الأحوص فى الأوراق مصور أخبار الشعراء ص ١٠٣ .

Marfat.com

قد وقَّح السَّبُّ له وجهَه فصار لا ينحاش للسَّبِّ
إذا شَكَا صبٌّ إليه الهوَى قال لهُ مالى وللصبِّ
أعْنِى فتًى يُطعَن فى دينِهِ يشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبى عبيدة : أليس بُقْعُ الكلاب أمثلها ؟ قال : لا .

قلت : ولم قال :

وخِفْتُ هجاءهم لما تَوَاصَوْا
كَخَوْفِ الذّئبِ من بُقْعِ الكِلابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال . إنما قال :

كَخَوْفِ الذّئب من سُودِ الكلاب

ألا ترى أنّه حين أراد الهجاء قال :

كأنّك بالمبارك بعدَ شهر تخوض غُمورَه بُقْعُ الكلاب (٣)

ويدل على ذلك قول الجَعْدىّ (٤) :

لَعَمرى لجنّ من جواء سُويقة ... وظله ... وعلاه أجرع
أحبّ إلينا أن نجاورَ أهله ... ويصبح منّا وهو مرتى ... ه
من الجُرْدِ مُعْقِلٍ المُعَقَّلِ بالقَرَى لا يبتى ... على ... ه ... دعى ... ه
يقاتلن فى صهباء فقلتُ لطالما ... صهبت ... ولكن لا أبى الصهب ... ه

(١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ...

Marfat.com

فليتَ عطائى كانَ قُسِّمَ بَيْنَهُمْ وكان لى الصَّمَّان والحزْنُ أجمعُ[1]
وكان لهم أجْرى هنيئاً وأصبحَتْ بىَ البازلُ الكَوماءُ بالرمل تَضْبَع
أأجعلُ نفسى عِدْلَ علجٍ كأنَّما يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقَعُ

قال : فقد بيَّن كما ترى أنَّ الأبقَعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتَ أسداً على بُقْعِ الكلاب . فقد

أمسى شَريدُهمُ فى الأرض فُلَّلاَ[2]

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغَّر شأنَ من هَزَموا
١٢٦ فقد صغَّر شأنَ الممدوح . بل إنَّما قال " أرسلتَ أسداً على سود الكلاب " .

قال : وإنَّما جاء الحديثُ فى قتل سُود الكلاب . لأنَّ عُقُرَها أكثرُ ما تكون
[illegible]
. وذلك من غلبه أنفسها .

وليس فى الأرض حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحِمارٍ وفرس وكلبٍ وإنسان . إلاَّ والسُّودُ أشدُّها أَسْرًا وعَصَبا[3] . وأظهرُها قُوَّةً وصبْرًا .

وقال أبو سعد المخزومى[4] فى هجائه دِعبلا :

---

(١) ط : « وكان لى الكتمان » .
(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون . وجمع فول وفلال . وانظر الخلاف فى هذه الكلمة بحث جيد فى اللسان .
(٣) فى الأصل : « أشرا وعصبا » . وانظر ٢ : ١٥ .
(٤) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . وقد ذكر دعبل رثاءه معه بسجاة وإقذاع . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب ما فى ل . ويؤيده ذلك قول ابن أبى الشيص فيه (الأغانى ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأطفى البشاره

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

Marfat.com

يا ثابِتَ بن أبي سـعيدٍ إنَّها دُوَلٌ وأحْرِ بها بأنْ تتنقَّلا
هلاّ جعلتَ لها كحُرْمَةِ دِعْبِلٍ في است [امِّ] كلبٍ لا يساوي دِعبِلا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصْواءَ تنقلُ سَوءةً إلينا وكم من سوءةٍ لا تهابُها (١)
وتزعمُ أنْ لم تخز سَلْمُ بنُ جندَلٍ وقد خزِيت بعدَ الرِّجال كلابُها (٢)

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفرَ بنَ يحيى :

قفاً خلف وجه قد أطيل كأنّه قفا مالك يقضي الغسوه على بثنه (٣)
وأعظم زهواً من ذباب على خِرا (٤) وأخزى من كلبٍ عقورٍ على عا

وقال أبو الشمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ ونعمى غلبوا الناسَ بالندى والمعالي
جئتُه زائرا فأدنى مكاني وتلقّى بترحيب وبشر

لا كذا الأصمّ حارثةُ بنُ [...] الكوفيّ القاضي
جئته زائرا فعرّض لي [...] قحبة مومسة
وتولّى كأنّه أير بغلٍ [...] ذنب في ظهر بغلة مقصيّة

وقال أيضاً :

ألا قُبّلا [...]

(١) ط : « [...] سلعي [...]
(٢) ط : « [...]
(٣) ط : « [...]
(٤) ل : « [...]
(٥) ط : « [...]
(٦) ط : « [...]

Marfat.com

له بطنٌ يَضلُّ الفيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ رَاقود الشَّشوط (١)
وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدَوْرِ سفينةٍ فى بَثْق رُوط (٢)
ولحيَةُ حائكٍ من باب قلب (٣) مُوَصَّلَةِ الجوانبِ بالخيوطِ
له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرقَّعة جوانبُه بِقوطِ (٤)
إذا نَهَضَ الْكِرَامُ إلى المَعالِى تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِى هَبُوط

١٢٧ وقال أيضاً فى ذلك :

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ فى سعةٍ والطيرِ والوحش فى يهماءَ دوَّيَّه (٥)
لو شئتَ صيَّرتَه فى حالِ فاقته حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيَّه (٦)

وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلَتان العبدىّ (٧) :

أقول ذا الدَّمع يغسِل كُحلَها متى كان حكمُ اللهِ فى كَرَبِ النخلِ

فأجابه الصَّلَتانُ فقال :

تعيَّرنا أن كانت النَّخْلُ مالَنا ووَدَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ

يعيِّره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحاب النَّخْل (٨) .

---

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسع داخله بالقار . والششوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) عارم . من يوم عارم ؛ نهاية فى البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء . وفى ل : « زوط » وليس بشىء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بقه ط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذى بعده فى ط ، ورددته إلى موضعه سابقا لما كان فى ل .

(٥) ط : « فى بهماء زوية » ، وهو تصحيف . وفى ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه فى ط ، وفى الخزانة ٢ : ١٥٤ ، والشعراء لابن قتيبة ٤١٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له ما سبق .

Marfat.com

وقال وضّاحُ اليمن :

وأكتم السِّرَّ غضباناً وفى سكرى ... حتى يكون له وجهٌ ومستمعُ
وأترُكُ القولَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ ... حتى يكون لذاك النَّجْدِ مُطَّلَعُ (١)
لاقُوّتى قُوّةُ الراعى ركائبَه ... يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرَّبَعُ (٢)
ولا العَسيفِ الذى تشتدُّ عقْبَتُه ... حتّى يَئُوبَ وباقى نعْلِه قِطَعُ (٣)

وقال محمّد بن عبّاد الكاتب مولى بجيلة. وأبوه (٤) من سبى دابق وكاتب زهير، وصديق ثُمامة، يهجو أبا سعد (٥) داعىَ بنى مخزوم، وبعد أن لقى منه ما لقى :

نعاتُ نزارُ بك الذى استَهْلَتَه ... نعياً وضَرْباً
فهجوتَ قحطانا لأمـ ... ـرٍ جرّهم وكايَدَهُ وارْبا (٦)
وأردتَ كيما تشتفى بهجائهم ... منهم فشتّتَ
وشتمت أنّاك فاسبت بحملك ذاك أن تسبّا
كالمكلب الذى يابح فليـ ... ـس يجوبها إلا بخمس كلبا
خفّض عليك وقرْ مكا ... نك لا أسفّ شرقا وغربا
واكشفْ قناع أبيك فا ... نظر هل ترى فيه تنال نصبا

(١) ط : حتى يكون ...
(٢) ...
٢٦١ ...
١٣ ...
...
(٥) ...
(٦) ...

Marfat.com

١٢٨ وقال آخر يصف كلباً :

ولَذٍّ كطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تركتُه بأرضِ العِدَا من خَشيةِ الحَدَثَانِ
ومُبْدٍ لِيَ الشَّحناءَ بيني وبينه دعوتُ وقد طال السُّرى فدعانى

فوصفه كما ترى أنَّه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثم عرَّست عَلَى رجُلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كلْبِ

وقال راشد بن شِهاب اليشكُرىُّ :

فلستُ إذا هبَّتْ شَمالٌ عَرِيَّةٌ بكَلْبٍ على لحم الجزورِ ولا بَرَمْ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن . وهو يصف نعلاً من نِعال السكرام[1] :

إذا طُرِحَتْ لم يَطَّبِ الكلبَ رِيحُها وإن وُضِعت فى مجلس القَوم شُمَّتِ

وقال الأعين فى بعض أضيافه[2] . يخبر أنّه قراه لحمَ كلب . وقد قال ابن الأعرابى : إنما وصف تيساً :

فقامت لعَبْدَىَّ اقْتِلا دَةٍ بضَبْعِه وأعفاجِه اللأْى خِنَّ زوائدُ[3]
فجاءا بخِرشاوَى شَعِير عليهما كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقَدَ سافِدِ

وقال خالد عَيْنَين[4] وهو يهجو جرير بن عطية ويردّ عليه :

وعيَّرتَنا بالنخل أن كان مالنا وودَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

---

(١) للبغدادى كلام فى البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له فى البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :

إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها تضوع مسك ما أصابت وعنبرا

وروايته فى اللسان (نعل) : له نعل . وقال : حرك الخلق للتشبيه ما قبله .

(٢) انظر ترجمة الأعين ص ٢٥٦ .

(٣) فى هذا البيت إقواء . وقد روى بإقواء فى معجم البلدان برسم (خرشاوات) سبعة أبيات من قصيدة الأعين هذه . الثلاث منها مضمومة القافية يليها خمسة مكسورات القوافى . وهذا البيت هو الرابع فى روايته . وقد روى صدره هكذا :

وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازه زياد لمناسبة طريفة . الشعر ٤٠٣ : ٤ .

Marfat.com

وقال دِعبل بن علىّ :

ولو يُرزَق الناسُ عن حيلة لما نال كفًّا من التُّرْبَهْ
ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفا ف لما نال من مائهم شَرْبَهْ
ولكنَّه رزقُ مَنْ رِزْقُه يعمُّ به الكلبَ والكَنبَهْ

باب

(ذكر من هُجِىَ بأكلِ لحوم الكلاب ولحومِ الناس)

قال سالم بن دَارة الغطَفانىّ (١) :

يافَقْعَسِىُّ لِمْ أكلته لِمَهْ لو خافَكَ اللهُ عليه حرَّمه
فما أكلتَ لحمَه ولا دَمه

وقال الفرزدق فى ذلك :

إذا أسديٌّ جاع يوما ببلدة فكل سمين كلبه [illegible]

وقال مساور بن هند :

إذا أسلميّةٌ وَلَدَتْ غلاما فبشّرها بإحدى الولادِ
يخبرها نسلُه بنى شبير بأطيب ما يجتنى من يعمد
ترى أظفارَ حقدِه لم تقلّمْ بشيء من دسم تقتدى

فهذا الشعر وما أشبهه [illegible]

تيسا . وأنّ العرب تخلاف [illegible]

وقال مساور بن هند أيضا :

بنى أسد أن تجعل العهد فيكمُ [illegible]

(١) [illegible]
[illegible]
١٩١ [illegible]
(٢) ط : [illegible]
(٣) وفى الشعر : [illegible]

Marfat.com

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوّش الأسدى [1] :

وعيَّرْتنا تمرَ العراق وبُرَّه وزادُك أير الكَلْب شيَّطه الجمْرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل فى ذلك من الشعر)

وقال معروفٌ الدُّبيرىّ [2] فى أكلِهم لحومَ الناس :

إذا ماضِفْتَ يوماً فتمسيًّا فلا تَطعَمْ له أبدا طعاما
فإنَّ اللحم إنسانٌ فدَعْهُ وخيرُ الزَّادِ مَا مَنَع الحرادا

وقد هُجِيت هذيلٌ وأسد وبَلعَنْبَر وباهلة بأكلِ لحوم الناس ؛

قال حسَّان بن ثابت يذكر هذيلا :

إنْ سرَّك الغَدْرُ صِرفاً لامِزاجَ له فأت الرجيع وسل عن دارِ لِخْيانِ
قومٌ تواصَوا بأكل الجار بينهم فالكلبُ والشَّاةُ والإنسانُ سِيَّانِ

وقال الشاعر فى مثل ذلك فى هذيل :

وأنتمْ أكلتمْ شحمة بن مخدَّم زباب فلا يأمنْكمُ أحدٌ بعدُ [3]
تداعَوا له من بين خَمسٍ وأربعٍ وقد نصل الأظفارُ وانسبأ الجِلْدُ [4]

---

(١) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن زنباب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق ، والإصابة ٣ : ٢٠١ . وفى ط : « المهوس » ، وصوابه فى الخزانة و ل ، والبخلاء ١٥٨ .

(٢) ط : « الأسدى » ، وأثبت ما فى ل والبخلاء ١٥٩ .

(٣) ل : « شحمة بن مخدم » . وفى البخلاء ١٥٨ : « صحفة بن مخدم » . وفى ط : « ومخدم موضع زباب » . والزباب : ضرب من الذُّر ، وهو مما يهجى به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع لكأن رعدا

(٤) ط : « نفس » ، وليس بشىء ، وصوابه فى ل والبخلاء .

Marfat.com

ورَفَّعتم جُردَانَه لرئيسكم مُعاوية الفلحاء يالكَ ما شُكْد[1]

وقال الشاعر فى ذلك فى باهلة :

إنَّ غفاقاً أكلَتْه باهله تمشَّشوا عظامَه وكاهلَه

وأصبحتْ أم غفاق ثا كِلَه[2]

وهجا شاعر آخر بَلْعَنبر، وهو يريد ثَوْبَ بن شَحْمَة[3]. وكان شريفاً وكان ١٣٠
يقال له مجير الطير. فأمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيبرى[4]
فعيَّر الشاعرُ ثوب بنَ شحمة[3] بأكل الرجلِ العنبرىِّ[5] لحمَ المرأة إلى أن أتى
ثوبٌ[6] من الجبَل فقال :

عجِلتُمُ ما صادَكم عِلاجْ من العُنُوق ومن النَّعاجْ

حتى أكلتمْ طَفْلَةً كالعاجْ

فلما عيَّره قال ثوب[7] :

يا بنتَ عمِّىَ ما أدراكِ ما حسبى إذ لا تجنُّ خبيثَ الزاد ضلاَّلِ[8]

إنِّى لذو مِرَّةٍ تخشَى بوادِرُه عند الصِّياح بنصل السَّيْف قرَّاع

ومن ظريف الشعر قول أبى عدنان[9] :

---

(١) ط : ودفعتم ... وما شكد.
والصواب فى ل و ... وما شكد.

(٢) ط : « غفاقا و ... غفاق بالعين ... وفى ... ».

(٣) كذا فى التقاسيم ... ١٥٨ ... وفى ط : ... بن سحمة ... شرف ... ولا يصلح ... ٣٥٥.

(٤) ط : « جبير ... جبير ... الأرب ... ١٤٤).

(٥) ل : ... العنبرى ... وفى ...

(٦) ط : « ثوبا ...

(٧) ط : ...

(٨) ط : ... من البخلاء.

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤.

Marfat.com

فما كلبة سوداءُ تفرى بنابِها عُراقاً من الموتى مِراراً وتَكدِمُ (١)
أُتيح لها كلبٌ فضنَّتْ بعَرْقِها فهارشَها وهى على العَرْق تَعْذِمُ (٢)

فقفْ على هذا الشعر فإنّه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيح بن رباح شار الزِّنجى (٣) :

مَا بالُ كلبِ بنى كُليبٍ سبَّنا أن لم يُوازِنْ حَاجِبا وعِقالا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَع وشقيق بن ثور . فقال له مالِك : إنّما رفعك قَبْرٌ بتَسْتَر (٤) فقال شقيق : حينَ وضعَك قبرٌ بالمشقَّر ، يا ابن قتيلِ النساء وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ (٥) الكلاب ، وذلك أنّه جاء فى الردة إلى قومٍ من عبد القيس . فكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتَلَه فقُتِلَ به .

(أمثال أخرى فى الكلاب)

قال : والعرب تقول : « أسرَعُ من لُحَسَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

---

(١) ط : « تفرى بنابها » وهو تحريف . وفيها « مرادا وتكلم » وصوابهما فى ل.
(٢) عذمه : تعضّ أو تأكل بجفاء .
(٣) ط : « وقال الشاذيرجى » ل « وقال السارزنجى » وهذا تحريف كتبت بدله فى رسائل الجاحظ ٦١ سنبح . وفى الكامل ٥١٤ ليبسك « ريباح بن سنيح الزنجى » وانظر الرسائل ٦٢ والكامل لابن الأثير ٤ : ١٦١ .
(٤) ط : « بتشير » .
(٥) فى ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

Marfat.com

« أحرصُ من لَعُوة » وهى الكلبة ، وجمعها لِعاء[1] . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرْق » ، و « نَعِم كلبٌ فى بؤس أهله . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلاب وتأويلها)

وقال ابن سِيرِين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش . فإن كان أسودَ فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقعَ فهو عجَمىّ .

وقال الأصمعىّ عن حمّاد بن سلمة عن بنِ أخت أبى بلال مِرْدَاس ابن أُدَيَّة[2] قال : رأيتُ أبا بلال فى النوم كلبا تذرف عيناه . وقال : إنّ حُوّلنا بعدكم كلابٌ من كلاب النار .

قال : ولمّا خرج شِمر بن ذى الجوشن [الضبابى] لقتال حسين بن على رضى الله تعالى عنهما . فرأى حسينٌ فيما يرى النائم أنّ كلبا أبقع يلغ فى دمائهم . فأوّلَ ذلك أن يقتلهم[3] شمر ابن ذى الجوشن . وكان الملتقى برَصافا[4] .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمّون الخوارج : كلاب النار[5] .

---

(١) فى ب : لعوة ... [illegible]

(٢) فى ب : [illegible]

(٣) ط : [illegible]

(٤) ب : [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

(شعر فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب[1] يصِفُه بالسُّرعةِ فى الحُضْر ، وبالصّبر على طول العَدْو ، وبسَعة الإهاب ، وأنَّه إذا عدا ضبَع وبسَط يديهِ ورجليه حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرْض ، وحتى يشرط أذنيه بشَبَا[2] أظفاره ، وأنَّه لا يحتشِى ريحاً مع ما[3] يصيب الكلاب من اللَّهَث . فإن كان كما تقولون فلم وصفت الشعراءُ الفرسَ وشبّهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاءَ وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب فى المنْسَأ[4] لا يلتفت أحَدٌ لِفْتَهُ[5] ؟ !

وقال أبو دُواد الإيادِىُّ فى ذلك :

عن لسانٍ كجثَّة الوَرَل الأحـــمر مجَّ النَّدى عليه العَرارُ[6]

ولم يذكره فى شىء . وقال خالد بن عجرة الكلابى[7] :

كأن لسانَه وَرَلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخدٌّ أسيلٌ كالمِسَنِّ وبِرْكَةٌ كجُؤجؤِ هَيقٍ دَفُّه قد تموَّرا

---

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه فى ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهى الحد . وفى ط : « بسباء » محرف .

(٣) ل : « لايحتشى ريحا مع ما » ، وط : « لايحتشى ريحا ما » وسويت القول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفى ل : « المنسى » وفى ط : « المسا » .

(٥) لفته : جهته . وفى ط : « لايلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة . وهى غبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » . وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى على بن الرقاع .

(٧) ط : « حماد عجرد الكلابى » . والبيت فى النوادر لأبى زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرار

وفى ل : « لدى رمصيه » .

Marfat.com

ولم يذكره فى شىءٍ. وقال عُقْبة بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَـــةِ والصَّهوةِ والجنبِ

ولم يذكره فى شىء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرِف العتقَ فيهما كسامعتَى مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

وفيها بِركةٌ كجؤجؤ هَيقٍ ولَبَانٌ مضرّجٌ بالخضابِ

ولم يذكره فى شىء . وقال خُفاف بن نَدبة :

عَبل الذِّراعين سليم الشَّظا كالسَّيدِ يومَ القِرَّة الصادِد[1]

[ولم يذكره فى شىء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشَّظا عبْل الشَّوى شنِج النَّسا أقبَّ كتيسِ الرَّبْل إلبَدِّ[2]

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناق فِظاء أربع غُلْب ١٣٢

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال الجُعْفىّ :

كأن تماثيلَ أرساغه وقابٌ وعُقْل لدى مِنْسَـ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لها متْنتان خظاتا كـ أقبَّ على سابِـ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال أبو ذؤيب :

(١) ط : ... فى ...

(٢) حلب : ... ١٢٣ .

Marfat.com

يمشى كمشى نعامتَينِ تُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال ابن الصَّعِق (١) :

بمحنَّبٍ مثلِ العُقا بِ تخالُه للضُّمرِ قِدْحا (٢)

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك .

وقال رَبيعة بن جُشم [النمرى] . ويروى لامرئ القيس (٣) :

وساقانِ كعباهما أصمَعَا نِ لحمُ حَمَاتَيهما منبتِرْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصارى :

كأنَّ حَمَاتَيْهِما أَرنبانِ تقبَّضتا خيفةَ الأجدلِ (٤)

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك (٥) :

كأنَّ حَماتَها كردوس فحْلٍ مقلَّصةٌ على ساقَى ظليمِ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال الأعشى :

أمَا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذْعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

وإذا تصفَّحَه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سِرحانُ الغَضَا المتصوِّبُ (٦)

أما إذا استدبرته فتسوقُه ساقٌ يقمِّصها وظيفٌ أحدَبُ

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن حويلد . له ترجمة فى الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنب : المعوج الساقين . وفى : ط « بمجنب » وليس بشىء .

(٣) جملة « ويروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) حماة : غضون الساق . وفى ط : « كأن حماتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

Marfat.com

منــهُ وجاعرة كأنّ حماتها لما كشفت الجُلَّ عنه أرنبُ (١)

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك . وقال الأسعر الجُعْفى (٢) :

أما إذا اســـتقبلْتَه فكأنّه بازٍ يكفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استعرضتَه متمطِّرا فتقول هذا مثلُ سِرحان الغَضا

أمَّا إذا اســـتدبرته فتَسُوقه ساقٌ قُوصُ الوَقْعِ عاريةُ النَّسَا ١٣٣

ولم يذكره فى شيءٍ . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلتَه وإذا ولَّى تقول مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ (٣)

لأمُ إذا استعرضتَه ومشَى متتابعاً ما خانَه عَقْبُ

يمشِى كشىِ نعامةٍ تبِعتْ أُخرى إذا هى راعَها خطْبُ

[ولم يذكره فى شى من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أيطلا ظَبى وساقا نعامة وإرخاءُ سِرحان وتقريبُ تتفل

[ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك] . وقال ابن سنان العبْدى :

أما إذا ما أقبلت فُطارةٌ كالجذع شذّبه نقوٌ منجل

أما إذا ما أعرضَتْ فنبيلة ضخمٌ مكان جزِ منها مؤكَّل (٤)

أما إذا تشتدُّ فهى نعامةٌ تنفى مناكبُها صلاب الجنادل (٥)

(قول أبى عبيدة فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلْقه من خلق النعامة طول [illegible]

(١) الجل : [illegible]

(٢) الأبيات فى [illegible]

(٣) المضرب : [illegible]

(٤) ط : [illegible]

(٥) ن : [illegible]

Marfat.com

ساقيها وعُرى نَسَيها[1] . ومِمَّا يشبه من خلقه خلْقَ الأرنب صِغَر كعبَيها . ومِمَّا يشبه من خلْقه خلْق الحمار الوحشىّ غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصِه وسَراتِه ؛ وتمحص عصَبِه[2] ، وتمكُّن أرساغه ، وعَرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه خلْقَ الكلب هَرَت شدقِه . وطول لسانه ، وكثرة ريقه . وانحدار قصَّه[3] . وسبوغ ضُلوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده . ولحوق بطنه .

وقال طُفيل الغَنَوىّ ، يصف الخيل :

تبارِى مَراخِيها الزِّجاج كأنّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نبأةً من مكلَّبِ[4]

وقال طُفَيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أعطافِهِ ثوبَ مائِحٍ وإن يلق كلب بين خيبه يَذْهَبِ[5]

وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة . من جميع أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلّنا إن تتبَّعنا ذلك وجدناه كثيراً ، ولكنك تقدَّمت فى أمر ولم تُشْعِر بالذى تعنى . فَنَلتقط[6] من الجميع أكثرَ مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع ١٣٤ من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله :

---

(١) ط : « نسجها » وليس بشىء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفى ط : « تمحيص » .

(٣) القص والتقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل تراخى — وهن المسرعات واحدتها مرخاء — تبارى الزجج : جمع زج ، أى تتكلف تسبق مايحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يعارد الزج يبارى ظله بأسمر كالسنان المنتخل

وفى ط ، ل : « تبادى » . وفى ط « مراحيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو . والمائح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفى ل « كأن على أعطافها ثوب مائح » وفى ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » . وانظر أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٣٦ .

(٦) فى الأصل : « فتلتقط » .

Marfat.com

وترى الكعبتَ أمامَه وكأنّه رجلٌ مُغاضِبْ ١٣٤

وقال الشاعر فى ذلك :

خُوصٌ تَرَاحَ إلى الصراخ إذا غدت فِعْلَ الضُّرَاءِ تَرَاحَ للكَلّابِ (١)

وقد شبهوا بالكلب كلَّ شىء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل : الكلب . والمزنوق . والوَرد .

(شعر فى وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر . ووصف الناقةَ ونشاطها والذى يَهيجها فقال :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيباً عِنْدَ مَغْرِضِها ... والتفَّ حَيْرٌ جَنِيها وَحَشْرِيرُ (٢)

فهلّا قال : والتفّ كابٌ كما قال : والتفَّ ديك !! وقال أبو حيّة :

[و] تزاورَتْ عنه كأن بلدفِّها هِرًّا يلشّبُ ضِبْعَها بالأظفر (٣)

وقال الأعشى :

نجلاءة مِرْتَح كأنّ بلدفِّها (٤) هِرًّا بذِ تعلٍ المَطِيُّ مَاهِد

وقال عنترة بن شدّاد العبْسى :

وكأنّما ينأى بجانب دفّها الـــوحشى من هزج العشىّ مؤوّد (٥)

(١) ل : ... (...)

(٢) لابن ... ... ٢٢٥ ...

(٣) ...

(٤) ل : ...

(٥) ...

Marfat.com

هرٌّ جَنيبٌ كلّما عطَفَتْ له غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ (١)

وقال المثقِّب العَبْدىّ :

فسلِّ الهمَّ عنك بذاتِ لَوْثٍ عُذَافِرةٍ كَمِطْرَقةِ القُيُونِ

وبِصادقةِ الوَجِيفِ كأنّ هرًّا يُبارِيها ويأخُذُ بالوَضِين (٢)

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون فى هذا الباب السِّباعَ المنعوتة بالمخالب وطولِ الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس يوصف بالمخالب ، وليس أنَّ الهر أقوى منه . ألا ترى أنّ أوسَ بن حجرٍ قال فى ذلك :

كأنّ هرًّا جَنِيباً عِنْدَ مغْرِضِها

فذكر الموضع الذى يوصف بالحلْبِ والخدْش والخمش والتظفير ، فلما أراد أن يفرِّعها ويشرِّبها حتى تذهب جافلة فى وجْهِها (٣) ، أو نادَّة ، أو كأنّها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط (٤) قال : ١٣٥

والتفَّ دِيكٌ برجلَيْها وخِنزِير (٥) .

وقال أبو النجم :

لو جرّ شَنٌّ وسطها لم تُجْفِلِ (٦) من شهوةِ الماءِ ورِزٍّ معضل (٧)

[ويروى : تخفل] . ولو قال أوس :

---

(١) ط : « التقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المقتضبات ٢٤٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفى ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره :

كأن هرا جنيبا عند مغرضها

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يخفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت . وعنى به الوجع . كما فى اللسان (رزز) عند إنشاد الرجز . وفى الأصول : « رزء » ، تحريف .

Marfat.com

* والتفّ شَنٌّ برِجليها وخِنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنِّ وقحُوله ؛ وأنّه ليس مما يلتوى على رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غرْزِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيهِ ظَفَّرا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَحِلُّ لرجلٍ [أَنْ][1] يُعطِيَ عَطِيَّةً ويرجِع فيها . إلاّ الوالد فيما يعطى ولده . ومثل الذى يُعطى العطيَّةَ ثم يرجِعُ فيها كمثل الكلب يأكل . حتى إذا شَبِع قاءَ ثم عاد فى قيئه »[2] .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرجع فى هِبَته إلاّ الوالد من ولده . والعائِدُ فى هبته كالعائد فى قيئه .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . أنّ أبا بكر [illegible] بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمّى تحتَ أبى بكر . وكان جروٌ تحت سريره[3] فقلت له : يا أبت ، وكلبى أيضاً ؟ فقال : لا تقتلوا كلبَ ابنى . ثمّ أشار بإصبعه إلى الكلب [illegible] أى تخلده من السرير - وأنا لا أدرى . فقتل .

وإسماعيل بن أميّة قال : أقتنصت [illegible] الكلاب والحيّات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجل قدْرَ [illegible] أذلّ من الكلب .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاءه ثم عاد فى قيئه » .

(٣) ب : « تحت [illegible]

Marfat.com

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك — وذَكَرَ الكلب فقال —: من لؤمِه أنَّه إذا أسمنْتَه أكلك ، وإن أجعْتَه أنكرك . ومن لؤمه اتّبَاعه لمن أهانه ، وإلفُه لمن أجاعَه ؛ لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به[1] وأشره وأنهَمُ وأحرصُ وألجُّ من أن يذهب بمطمعته[2] ما يذْهَب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنّا لم نجدْه يحرُس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَهُ الذين ربّوه وتبنّوه[3] إلا كحراسته لمن عَرفه ساعةً واحدة ، بل لمن أذلّه وأجاعَه وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإنّما هو فيه من فضل البَذَاء أو التَّحَشّش ، وشدّة التحرُّش والتسرُّع . وقد قال الشاعر فى ذلك :

١٣٦ إذا تخازَرْتُ وما بى من خَزَرْ ثم كسَرت العينَ من غير عَوَر[4]

أبْدَى إذا بُوذيت من كلْبِ بَذَرْ أسودَ قَزّاحٍ يُعوِّى فى السَّحَر[5]

وإنّما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذى[6] يعترى نِسَاءَ السَّفْلة من الصَّخَب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّب

---

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعته : طمعه . وفى ط : « بمضعه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما فى ل .

(٤) ب : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) بذرى . من البذر . ط : « بزى إذا بوزيت » صوابه فى ل . وانظر الأمثال (١ : ٩٦) وأمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص فى تسهيرى (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذى يدفع ببوله دفعا . وفى ط : « قراع » . وفى ط : « تعوى فى السحر » وفى ب : « يغط فى السحر » .

(٧) ط : « والذى » وهو تحريف .

Marfat.com

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنَّه يفزَع من كلِّ شيء وينبحَه .

والبرذون ربَّما رمَح البرذونَ مبتدئا ، وقلق وصهل صَهِيلا فى اختلاط ؛ وليس ذلك من فضْل قوَّةٍ يجدُها فى نفسه على المرموح ، ولـكنَّه يكون جبانا ، فإذا رأى البرذون الذى يظنُّ أنَّه يعجِز عنه أراه الجبنُ أنَّه واقعٌ به ، فعندها يقلَق وإذا قلِق رمَح . وهذه العلَّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنونَ الذى تستولى عليه السَّوداء ، ربما وثَب على من لايعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنَّ المِرَّة أوهمتْه أنّه يريده بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه[1] بالضرب . وعلى مثال ذلك يرمى بنفسه فى الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأمَّا التى شهدت أنا من أبى إسحاق بن سيار النظام . فإنا خرجنا ليلة فى بعض طرقات الأبلَّة ، وتقدَّمته شيئا ، وأتح عليه كلب من شكل كلاب الزَّعاء . وكره أن يعدوَ فيغريَه ويضريه[2] . وأنف أيضا من ذلك . وكان نفسه شديدَ الشَّكيمةِ أبيَّ للمَضيمة . وكره أن يجاسر فحاشَ أن يشعر عليه[3] أو لعلَّه أن يعضَّه فيهْرِت ثوبَه . وأتح عليه فلم يلتفت إليه بشىء . فلما جُزْنا حدَّه وتخلَّصنا منه . قال إبراهيم فى كلامه له كثيرا بعد حبسه النظام . فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبُعا فذهب مع السِّباع . وإن كنت بهيمة فصاحت مع البهائم . وإن كنت إنسانا فما

---

(١) ط : أن يبدأه .

(٢) ف ط : ويضريه .

(٣) ف ط : أن يشعر عليه .

(٤) ل : أن يعضه فيهرت ثوبه . ف ط : أن يعضه فيهرت ثوبه بسوء . فلما جُزْنا حدَّه

Marfat.com

ولا تنكر قولى وحكايتى عنه بقولٍ ملحون . من قولى : « إن كنت سَبْع » ولم أقلْ « إن كنت سبعاً » !

(إفساد الإعراب لنوادر المولدين)

وأنا أقول : إنّ الإعرابَ يفسد نوادر المولَّدِين ، كما أنّ اللحنَ يُفْسِد كلام الأعراب (١) ؛ لأنّ سامعَ ذلك الكلام إنّما أعجبتْه تلك الصورة (٢) وذلك المخرَج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دَخَلْت على هذا الأمر — الذى إنما أضحك بِسُخْفِه وبعضِ كلام العجميَّة التى فيه (٣) — حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيل (٤) وحوَّلتَه إلى صورةِ ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهلِ المروءة والنجابة (٥) انقلب المعنى مع انقلاب نظْمِه ، وتبدَّلَتْ صورته .

ثم قال أبو إسحاق : إنْ أطعمَه اللصُّ بالنهار كسرةَ خُبْزٍ خلاّه ، ودارَ حوله ليلا . فهو فى هذا الوجه مرتشٍ وآكلُ سُحت ؛ وهو مع ذلك أسمجُ الخلْقِ صوتاً ، وأحمق الخلق يقَظَةً ونوما ؛ ينام النَّهارَ كله على نفس الجادَّة ، وعلى مدقّ الحوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقَى طريق ، وعلى سبيل الحمُولة (٦) وقد سهر الليلَ كله بالصياح والصَّخَب ، والنَّصَب والتَّعب ، والغيظ والغضب ، وباخْتِباء والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

---

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن لحن يفسد نوادر كلام الأعراب » . وانظر البيان ١ : ١٤٥ .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما فى ل .

(٤) ط : « والتخاليف والتثقيل » والوجه ما فى ل .

(٥) ل : « والنجابة » .

(٦) الحمولة بالفتح : « ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الخمولة » بالخاء ، مصحفة .

Marfat.com

على حسب حاجته إليه . فإن وطئته دابَّةٌ فأسوأ الخَلْقِ جزَعاً وألأمه لؤما ، وأكثره نُباحا وعُواءً . فإن سلم ولم تَطَأهُ دابَّةٌ ولا وطئه إنسان . فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنّه فى حالِ متوقِّعٍ للبليَّةِ . ومتوقِّعُ البليَّةِ فى بَليَّة . فإنْ لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأ حالاً منه ؛ لأنّه أسوَؤهم جزَعاً ، وأقلُّهم صبرا . ولأنّه الجانى ذلك على نفسه . وقد كانت الطُّرق الخالية له معرضة . وأصول الحيطان مباحة .

وبعد فإنّ كلَّ خُلُقٍ فارقَ أخلاقَ الناس فإنّه مذموم . والناس يَسْكنون بالليل الذى جعله الله تعالى سكَنا . وينتشرونَ بالنّهار الذى جعله الله تعالى لحاجات الناس [1] مَسْرحا .

قال صاحب الكتاب : لو شئنا أن نقول : إنّ سهره بالليل ونومه بالنهار خَصْلَة ملوكيَّة لقلنا . ولو كان خلاف ذلك لكانت ملوك بذلك أولى . وأمَّا الذى أشرتَ به من النوم فى الطرق الخالية . وتعثيره به من نوده على شارعات الطُّرق والسِّكَكِ العامرة [2] وفى الأسواق الجامعة . فكلُّ امرئ أعلم [بشأنه] . ولولا أنّ الكتاب يعلم ما يلتقى من الخلق والسُّفهاء وصبيان الكتّاب . من رضّ عظامه بأرجلهم إذا وطئه وتمادى طريق خال ليس بخشبته رجالٌ يابون [3] . وشيخة يحسوه بمرجوله السفهاء . وأنّ ذلك لا يقربه فى جامع الأسواق - قلّ خلافه عليك . وقد فى الأسواق . وعلى أنّ هذا الخُلُق إنّما يعترى كلاب

(١) ل : « الخلق » .
(٢) شارع الطريق : [illegible]
(٣) فى الأصل : [illegible]
من موضعه .

Marfat.com

أتى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأُ وأظلمُ ممَّن يكلِّف السباعَ أخلاقَ الناس وعادات البهائم ! ! وقد علمْنا أنّ سباعَ الأرض عن آخرها إنَّما تَهيج وتَسرح وتلتَمس المعيشةَ وتتلاقى على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجِهم ، لأنّ التمييز والتفصيل والتبيُّن[1] لايمكنهم إلاّ نهارا . وليس للمتعَب المتحرِّك بدٌّ من سكون يكون جَماماً له . ولولا صرفُهم[2] التماسَ الجَمام إلى الوقت الذى لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع ١٣٨ من التمييز والتبيُّن[3] . لكانت الطبائعُ تنتقض .. فجعلوا النَّوم بالليل لضربين : أحدهما لأنّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة . كان ذلك أنزَعَ إلى النوم وما دعا إليه ؛ لأنّه من شكله . و [أمّا][4] الوجه الآخر فلأنّ الليلَ موحِشٌ مخُوف الجوانب من الذوامّ والسباع ؛ ولأنّ الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ، والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبَرْبَهار[5] وما لا يحصى عدده . فقادتهم طبائعهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم فى موضعه ؛ والانتشار

---

(١) ط : « التفصيل والتبيين » ، والوجه ما فى ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها . يقول البحرية والبصرة تقول : بربهر . أنساب المعانى ٧١ . وانظر ماسيأتى فى حواشى ٣ : ٤٣٥

Marfat.com

والتصرف[1] فى موضعه على ماقدَّر الله تعالى من ذلك وأحبَّه . وأمَّا السباع فإنها تتصرَّف وتبصر بالليل ، ولهـا أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرُها .

(نوم الملوك)

وأمَّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنّهار وسهرهم بالليل . فإنّ[2] الملوكَ لم تجعلْ فضلَ النوم بالليل والحركةِ بالنهار ، ولكنَّ الملوك لكثرة أشغالها فضلَت حوائجها عن[3] مقدار النهار ولم يتّسع لها ، فلما استعانَت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرِّ المخزون . وجمعت المقدارَ الفاضلَ عن اتّساع النهار إلى المقدارِ الذى لابدَّ للخلوة بالأسرار منه ، أخذتْ من الليل صدراً صالحاً . فلمَّا طال ذلك عليها أعانها الهِران[4] . وخفَّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشباب ولِما أن يجلو النصوت الحسن مما يزيد فى المُنَّة . ويكون مادَّة للقوة . وعلموا أنَّ العوهَ إذا كانت لاتتناول الشّرابَ ولا تتكلّف السماعَ على هذا المعنى . أن فنّها سيسوء[5] . وقوتها سيكثر ، فرأوا أنَّ الليل أهدأ[6] وأجلبُ أن يتمّ به التحبير[7] .

وقال الراجز :

تَبيـلُ أخفى والنهارُ أفضحُ

وقالوا فى المثل : الليـل أخفى والليل .

---

(١) ط : ...

(٢) فى الأصل : ...

(٣) ط : ...

(٤) ط : ...

(٥) ...

(٦) ...

(٧) ط : ...

Marfat.com

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجَم تلهِّى المحزون بالسماع ، وتعلِّل المريض، وتَشغله عن التفكير ؛ حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عَسَلة الشيبانى [1] :

وسماعِ مُدْجنةٍ تعلِّلُنا حتَّى نَنَامَ تناوُمَ العُجْمِ
فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ [2]

النجم : واحد وجمع . وإنَّما يعنى فى البيت الثريَّا . ومدجنة : يعنى سحابةً دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفيما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب — وإذا كان نساءُ العرب فى الجملة أعقلَ من رجال العجَم . فما ظنُّكَ بالمرأةِ منهم إذا كانت مقدَّمة فيهم [3] — فرووا جميعاً أنَّ أمَّ تأبَّط شرًّا قالت : «والله ما وَلَدْتُه يَتْناً ، ولا سقَيته خَبَلاً ولا أبتُّه على مَأْقة » .

فأمَّا اليتن فخروج رِجل المولود قبلَ رأسه . وذلك علامة سُوءٍ . ودليلٌ على الفساد . وأمَّا سَقى الخَبْل . فارتضاع لبن الحبلى . وذلك

فساد الطبيعة .

---

(١) سبق ذكره فى شعراء ص ٢١٢ من طبقات ترجمة ابن عسلة .
(٢) صواب روايته : تصحو ... كما مثل فى حواشى ٢ ، ٢ .
(٣) ل : خلقه .

Marfat.com

(ماينبغى للأم فى سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها فى المأقة ، فإنَّ الصبىَّ يبكى بكاءً شديداً متعباً موجعاً . فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرّكته فى المهد حركةً تورثه الدُّوار . أو نوّمته بأن تضرب يدَها على جنبه . ومتى نام الصبىُّ وتلك النزْعةُ أو اللَّوعة أو المكروه قائمٌ فى جوفه ، ولم يعلَّلْ ببعضِ مايلهيه ويُضحكه ويسرُّه . حتى يكون نومه على سرورٍ . فيسْرِى فيه ويعمَل فى طباعه . ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ : فإنَّ ذلك ممَّا يعمل فى الفساد . والأمُّ الجاهلة والمرقِّصة الخرقاء . إذا لم تعرف فرقَ مابين هاتين الخالتين . كثُر منها ذلك الفساد . وترادَفَ . وأعان الثانى الأولَ والثالثُ الثانىَ حتَّى يخرج الصبى مائقا . وفى المثل : صاحبى مثقل وأنا تئقٌ . يضرب هذا المثل للصاحب الأحمق الرفيق والزَّميل . وقد يستفزعه التضجر لطول السفر [1] فيقابله ملآن . فلا يكون شىء يكون فى ذلك المثقل من المكروه فيحتمله [2] بل يفرش فضجره عليه . لامتلائه من طول ماقاسى من مكروه السفر .

(مايحتاج إليه الملوك)

فاحتاج خُلَّاق الملوك وأصحاب الغايات النامّة . أن [illegible] بالسماع الحسن . ويشدُّوا من متنهم بالشراب . [illegible] حرّك الدّم . وإذا حرك الدّم حرك [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

فى مِكيال الدم ، زائداً فى الحركة المولِّدة للسرور . هذه صفةُ الملوك . وعليه بنوا أمرَهم ، جهل ذلك مَنْ جهله ، وعَلِمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أمَّا تركُه الاعتراضَ على اللِّصِّ الذى أطعمه أيَّامًا وأحسنَ إليه مِراراً ، فإنَّما وجب عليه حفظُ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدهم [1] له . فإذا كان عهده ببرِّ اللص أحدَثَ من عهده ببرِّ أهله [2] ، لم يكلَّف الكلبُ النظرَ فى العواقب ، وموازنة الأمور [3] . والذى أضمر اللصُّ من البَيات غَيْبٌ قد سُتِر عنه ؛ وهو لا يَدرى أجاء ليأخذَ أم جاء ليعطىَ ، أوهم أمرود أو هو المتكلِّف لذلك ؛ ولعلَّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقُّوا ذلك منه بالضَّرب والإجاعة ، وبالسبِّ والإهانة .

وأمَّا سماجة الصَّوت فالبغل أسمجُ صوتاً منه ، كذلك الطاووس على أنَّهم يتشاءمون به . وليس الصَّوت الحسنُ إلاَّ لأصناف الحمام من القَمارىِّ والدَّبَاسىِّ . وأصناف الشفانين [4] والوراشين . فأمَّا الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير . وجميعُ الطير والسِّباع والبهائم فكذلك . وإنَّما لك أن تذمَّ الكلبَ فى الشىء الذى لا يعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس شىءٌ أقلَّ من ثلاثةِ أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ النَّاس بعدُ مختلِطون ممتزجون . وربَّما كان مِنَ الناسِ بل كثيراً ما تجدُه وصوته أقبحُ من صوت الكلب ، فلم تخصُّون الكلبَ بشىء عامَّةُ الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عُوَاؤه من وَطْء الدَّابَّة وسوء جزَعه من ضرب الصِّبيان ، فجزع

(١) ب : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده ببره وبين أهله » وأثبت مثل ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشغانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

Marfat.com

الفرَس من وقْع عذبَة السَّوط ، أسوأ من جزَعه من وقع حافر برذون .
وهو فى هذا الموضع للفرس أشدُّ[1] مناسبةً منه للحمار .
على أنَّ الدِّيكَ لايُذكَر بصبرٍ ولا جزَع .

(نوادر ديسيموس اليونانى)

قال صاحب الديك : حدَّثنى العُتْبى[2] قال : كان فى اليونانيين ممرور له نوادرُ عجيبة ، وكان يسمَّى ديسيموس[3] . قال : والحكماء يروون له أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلاَّ وهى غُرَّةٌ وعينٌ من عيون النوادر : فمنها أنَّه كان كلَّما خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ البحر ليغتسل والطهور . ألقَى فى أصل باب دارِه وفى دهليزه حجراً . كى لايصفق الباب ، فيحتاج إلى معالجة فتحه . وإلى دفعه[4] كلَّما رجَع من حاجته . فيكون كلَّما رجع[5] لم يجد حجر فى موضعه . ووجد الباب مصفقا . وكان له فى بعض الأيام[6] ليرى هذا الذى يصنع[7] مايصنع . فبينا هو فى انتظاره إذ أقبل رجل حتَّى تناول الحجر . فلمَّا نحَّاه عن موضعه صفق

(١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ... (٥) ... (٦) ... (٧) ...

Marfat.com

البابُ . فقال له : مالَك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمْ أنَّه لك . قال : فقد علمتَ أنَّه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : مابال ديسيموس يعلِّم الناسَ الشِّعرَ ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسَنِّ الذى يشحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل فى السُّوق فقال : أتأكل فى السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس فى السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاما غايظا وسبَّاً عليه . وفحش فى القول ، وتحلَّم عنه فلم يجبه . فقيل له : مامنعك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرأيتَ لو رمحَك حمارٌ أكنتَ ترمحُه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح[1] عليه ؟ قال : لا . قال : فإنَّ السفيهَ إمَّا أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلباً ، لأنَّه لايخلو من شَرارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر مايجتمعان فيه[2] .

(أمثال أخرى فى الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنت كلبٌ نبَّاح . وما زال ينبَح علينا منذ اليوم ، وكلبُ مَن هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، واخسأْ كلباً[3] .

وقالوا فى المثل : « احتاج إلى الصُّوف مَنْ جزَّ كلبَه » . و « أجِعْ كلبَك يتبَعْك » . و « أحبُّ شىء إلى الكلبِ خانقهُ » . و « سمِّن كلبَك يأكلك »

---

(١) ب : « فإن نبح عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما فى ب .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخسأ كلبا » .

Marfat.com

و « أجوَع من كَلْبة حَومَل »[1] . و « كالكلب يربِض فى الآرِىِّ فلا هو يأكل ولا يدَع الدابَّة تعتلف » .

(براقش)

وفى أمثالهم فى الشؤم : « على أهلها دلَّت بَراقِشُ » .

وبَراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا فى جوف الليل وهم لا يشعُرون بموضع الحىِّ . فاستدلُّوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم[2] .

(الجن والجن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيلُ النكَّىُّ عن أبى عَطاء العطاردى قال : سمعت ابن عبَّاس يقول : الشَّرِد من الكلاب جِنٌّ . وليقع فيها الجنّ . ويقال إنَّ الجنَّ ضعفة الجنّ . كما أنَّ الجنّ إذا كفر وظلم وتعدَّى وأفسد . قيل شيطان . وإن قوِى على البلايا والحيل الثقيل . وعلى سرِق السمع قيل مارد . فإن زاد فهو عِفريت . فإن زاد فهو عبقرىّ . كما أنَّ الجن فى القتال فى الحرب وأقدامه وهو يحجم فيها شجاع[3] . فإن زاد فهو بطل . فإن زاد قالوا : بهمة . فإن زاد قالوا : ليث[4] . فهو هو فى كل واحد .

وبعض الناس يزعم أنَّ الجن هو الجنّ من الناس . والإنس فى الأعراف فى حين فى بعض أبواب الأهوال المختلفة فى الناس . فهو فى كل

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

Marfat.com

أبيتَ أهوِى فى شياطينَ ثُرِنّ مختلفٍ نجارُهم حِنٌّ وجنّ

(ماورد من الحديث والخبر فى قتل الكلاب)

وعن أبى عنبسة [١] عن أبى الزبير عن جابر : [٢] قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب . حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله . ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه . فإنه شيطان » .

وعن أبى الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب . فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم . فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه . فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع [٣] عن ابن عمر . ونافع عن أبى رافع قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتلَ الكلاب . فكنا نقتلها . فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر . وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان [٤] فقالت : ارجعْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبرْه أنَّ هذا الكلبَ يُؤنسنى . وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره . فأمر أن يقتلَ كلبها فقتله . وقال فى حديث آخر [٥] : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتلِ كلْب المرأة قال : الآنَ استرحْت . قالوا : فقد صحَّ الخبرُ عن قتل جميع الكلاب ، ثمّ صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها . مع الخبر بأنها من الجنّ والجنّ . وأنَّ أمّتين مُسِختا . وهما الحيّات والكلاب .

---

(١) ب : « ويحيى بن أبى أنيسة » .

(٢) فى ب بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم » . عن أبى الزبير عن جابر . كما أن الحديث الآتى فى ن روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أبو بكر نافع » . (٤) فى : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قالوا وفى حديث » .

Marfat.com

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطَب عثمان خُطبةً إلاّ أمرَ بقتْل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفّانَ يقول : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : فى قتل كَلْب الصيد إذا كان صائداً أربعُون درهما ، وفى كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر فى دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر [1] قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصَّيد بأربعين درهما . وفى كلب الغنم بشاة . وفى كلب الزرع بعشرة من طعام [2] . وفى كلب الدار بقفيز من تراب . وحقٌّ على الناس أن يؤدّوه . وحقٌّ على صاحب الدار أن يقبضه .

قال : والتراب لا يكون مثقالا إذا كان فى مقدار القفيز .

وفى قوله : وحقٌّ على صاحب الدار أن يقبضه . دليلٌ على [illegible] على الأخذ [3] وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وحقيره [illegible] الإغماء بالكلب . وإذ كان عوضا أو ثمنا . وكان فى ضياعه [illegible] عليها ، لما أكد على قبضه أحد . ولكان لعقده فضل .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(ما ورد من الحديث والخبر فى شأن الكلاب)

قال : وسئل عن الكلب يكون فى الدار وفى الدار مَن هو له كاره .

ابن أبى عَروبة عن قَتادة عن أبى الحكم : أنّ ابنَ عمر سئل عن ذلك فقال : المأثَمُ على ربِّ الدّار الذى يملكها .

وعن ابن عُمر قال : من اتّخذ كلباً ليس بكلب زَرْع ولاضَرْع ولاصَيد نقص من أجره كلَّ يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجلٌ وهو كاره ؟ قال : إنّما إثمه على صاحب الدار .

وصَدَقة بن طَيْسَلة[1] المازنىّ قال : سألت الحسن قلت : إنَّ دورَنا فى الجبّان[2] وهى مُعْوِرة وليس عليها أبواب . أفترى أن نتّخذ فيها كلابا ؟ قال : لا لا .

وعن ابن أبى أُنَيْسة[3] عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتنَى كلباً إلاَّ كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلبا[4] فإنّه ينقص من عمله كلَّ يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق[5] قال : حدثنا هُنَيدَةُ بن خالد[6] الخزاعى قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . نعودُ رجلاً من

---

(١) ط : « طياسة » وأثبت ما فى ل .

(٢) جبان : الجبانة : المقبرة والصحراء . وفى ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) [illegible] ماعدا ل : « ابن أبى شيبة » تحريف .

(٤) [illegible] من أمسك كلبا . .

(٥) [illegible] يونس عن أبى إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبى إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق قال : حدثنا هبيرة . .

(٦) ط : « هنيرة . . وهو تحريف صوابه فى ل والإصابة ٩٠١٠ .

Marfat.com

الأنصار . فلمَّا انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلُبٌ فى وجوه القوم . فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاءِ من عمل فلانٍ شيئا . كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً فى كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبِ صيدٍ ولا زرْع ولا ضَرْع . فإنه ينقُص من أجره كلَّ يوم قيراطٌ . والقيراطُ[1] مثلُ جبل أحُد » .

يونس عن أبى إسحاق[2] عن مجاهد[3] قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتَّى نزل ناحية مكَّة . وكانت امرأةٌ عمّ له تهاديه . فلمــ كانت ذاتَ يوم قالت له : لو أرسلتَ إلىَّ الغنمَ فاستأنستُ برعائها وكلابه فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ . إنَّ الملائكة لا تدخلُ دار فيها كلب .

الثورىُّ عن سماك بن حرب . أنَّ ابنَ عباس قال لى ولغير بصره : ا الكلاب من الحِنِّ[4] وإنَّ الحِنَّ من ضعفة الجن . فإذا غشيكم منهم شىء فألقُوا إليها شيئا أو اطردوه[5] . فإنَّ لها أنفُساً سوء .

وهُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكن يرخَّص عن شىء من اللعب ولعبُ غلمان[6] إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الكتاب : روى إبراهيم بن أبى حبيبة الأسلمىُّ . عن محمد ابن المنكدر . عن رجلة بن أبى عبد الرحمن قال : تقدم الكلاب بين يدى

---

(١) ل : « وقيراط ».

(٢) ل : « يونس بن أبى إسحاق ».

(٣) ل : « عن أبيه ».

(٤) بل

(٥) ل

(٦) ل

Marfat.com

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقْتَل[1] فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمَّةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قَتادة أنّ أبا موسى قال : لا تتَّخذوا الدَّجاج فى الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى فى أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندى من أبى موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنّه كرِه للفُرسان ورجالِ الحرب[2] اتخاذَ ما يتّخذه الفلاَّح وأصحابُ التعيُّش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغِهم لحروب العجم . وأخْذهم فى تأهُّب الفُرسان وفى دُرْبة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذى يظهَرُ فى اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمَر بقتل الدِّيكة ولم يستثنِ منها شيئاً ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثنِ منها شيئاً دون شىء ، والدِّيكةُ تدخل فى هذا الاسم ، واسم الدَّجاج يجمعها جميعا . ورويتم فى قتل الحمام مثلَ روايتكم فى قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أنّ الحمام مِسْخ ، ولا أنَّ بعضَه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أنَّ أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أنَّ عمر إنَّما[3] أمر بقتل الدِّيكة حين كره الفراش بها والقمار بها . فلعلَّ كلابَ المدينة فى تلك الأيَّام كثُر فيها العَقُور[4] وأكثر أهلُها من الفراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أنّ ولاة المدينة ربَّما دَمَروا على صاحب الحمام[5] إذا خيف قِبَلَه

---

(١) ط : تقتل ، وهو تحريف .

(٢) ن : ورجل .

(٣) فى ن : إنما ، والوجه ما كتبت .

(٤) ن : العقور ، وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

Marfat.com

القِمار (١) وظنُّوا أنه الشَّرَف (٢) ؛ وذكروا عنه الرَّمْىَ بالبُندق وخديعةَ أولادهم بالفراخ . فما بالكم لم تُخرِّجوا للكلابِ من التأويل والعذْر ، مثلَ الذى خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم فى الجرَّىّ (٣) والضِّباب أنهما كانتا أمَّتين مُسختا . وروى بعضهم فى الإربيانة أنَّها كانت خيّاطة تسرِق السُّلوك ، وأنَّها مُسِخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامة لها ودليلا على جِنْس سرقتها . ورويتم فى الفأرة أنَّها كانت طحّانة . وفى سُهيل أنّه كان عشّارًا باليمن (٤) وفى الحيَّة أنَّها كانت فى صورة جَمَل . وأنَّ الله تعالى عاقبها حتى لا صقت بالأرض . وقسم عقابَها على عشرة أقساء . حيث حرمها دخولَ إبليس فى جوفها حتَّى وَسوَس إلى آدم مِنْ فيها . وقلتم فى الوَزَغة وفى الحِكْأة (٥) ما قلتم . وزعمتم أنَّ الإبل خُلِقت من أعوان الشياطين (٦) وتأوَّلتم فى ذلك أقبحَ التأويل . وزعمتم أنَّ الكلاب أُمَّةٌ من خلْق مُسخت . والذئبُ حُرِّ بأن يكون شيطانا من الكلاب . لأنَّه وحشىّ وصاحبُ قفار ، وبه يُضرب

---

(١) ف ... من قبيل ... ص ... ١٠ .

(٢) الشرف : لإشقاء من خلق ... ١٠ .
... ف ... ١٠ .

(٣) الجرى : ضرب من ... ١٠ .

(٤) ... من ... ١٠ .

(٥) ... ١٠ .
... ١٥٥ ، ١٠ ...

(٦) الأ... ١٠ ...
... ١٠٣ ...

Marfat.com

المثل فى التعدّى . والكلب ألوفٌ وصاحبُ دِيار ، وبه يُضرَبُ المثل . والذئب خَتُور غدّار ، والكلب وفىٌّ مناصح . وقد أقام الناسُ فى الدِّيار الكلابَ مُقامَ السَّنانير للفأر[1] . والذئب مضرَّةٌ كلُّه . والكلبُ منافعُه فاضلةٌ على مضارِّه . بل هى غالبة عليها وغامرة لها ، وهذه صفة جميع هذه الأشياء النافعة .

والناس لم يُطبِقوا على اتّخاذها عبَثاً ولاجهْلا ، والقضاة والفقهاء والعبّاد والوُلاة والنُّسّاك . الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر . والمحتَسِبة وأصحاب التكلُّف والتسليم جميعا . لم يطبقوا على ترك النَّكِير على[2] ١٤٥ ما يشاهدونه منها فى دورِ مَنْ لا يعصيهم ولا يمتنِع عليهمْ إلاّ وقد عَلِموا أنّه قدْ كان لقتلِ الكلاب بأعيانها فى ذلك الدَّهر . معنى . وإلاّ فالنَّاسُ فى جميع أقطارِ الأرض لا يجتمعون على مسألةِ أصحاب المعاصى ، الذين قد خلعوا عُذُرَهم وأبرزوا صفحتَهم[3] . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عند قاض بأنّ فى داره كلباً . ولا ترَى حَكَماً يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذ الكلاب مأموراً به . لَما كان إلاّ كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميعَ الغربان على حكم غُراب نوح ، وجميعَ الحمام على حكم حمامة السفينة[4] ، وجميعَ الذئاب على حكم ذئب أُهبان بن أوس . وجميعَ الحمير على حكم حمار عُزَير لكان ذلك حكماً مردوداً .

---

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) فى الأصل : « وعلى » والواو مقحمة .

(٣) ط : « فضحتهم » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : حمامة السفينة ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١ والآثار ٣٩٧ .

Marfat.com

(ما لا يحدث إلا فى دهر الأنبياء ونزول الوحى)

وقد نعرِض لخصائص الأمور أسبابٌ فى دهر الأنبياء ونزول الوحى ، لا يعرض مثلُها فى غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى فى الأرض على صورة دِحيةَ الكَلبىّ ، وكان إبليس يتراءى فى السِّكاك[1] فى صورة سُرَاقة المُدْلِجِى ، وظهر فى صورة الشيخ النَّجْدى . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإنْ زعمتم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع حمارا فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » . فخبِّرونا عن يتفاوت الجماد[2] من بين جميع سكان الآفاق وناز[illegible] البلدان من بحريين والبصريين[3] ومن بنى [illegible] إلى من دونهم . أتزعمون أنهم شياطينُ على الحقيقة . وأنهم من نسل الشياطين ؟ أو تزعمون أنهم كانوا إنسا فمُسخوا بعد جنة ؟ وما يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله « شياطين الجن » لا يسمى [illegible] من قول عمر : لأنزعنّ شيطانه من [illegible] ؟ وعلى قوله [illegible] فلما أتانى ما تقول [illegible] شياطين الجن وما تشاءل من الجن

---

(١) ط : [illegible] الجن .

(٢) ط : [illegible] الجماد .

(٣) ل : [illegible] والبصريين .

(٤) السكاك بالضم والتشديد [illegible]

(٥) ط : [illegible]

Marfat.com

وقد قال مَرَّةَ أبو الوجيه العُكْلى : « وكان ذلك حين ركبنى شيطانى »
قيل له : وأىَّ الشياطينِ تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمِّى كلَّ حيّةٍ شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تُلاعب مثنى حَضْرَمىٍّ كأنَّهُ تعمُّج شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ (١)

وقالت العرب : ما هو إلاّ شيطانُ الحَمَاطة . ويقولون : «ماهو إلاّشيطان» يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاّ شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدَّة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلْنا إلاَّ شَيطَانَ بَرِصاً (٢)
١٤٦ لأنَّ الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان . وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان . قال طفيلٌ الغنوى :

وشيطان إذ يدعوهم ويُثَوِّب (٣)

وقال ابن مَيَّادة :

فلمـا أتانى ما يُقَوِّل محاربٌ تغنَّت شياطينى (٤) وجُنَّ جُنونُها

وقال الراجز :

إنّى وإن كنتُ حديثَ السِّنّ وكانَ فى العين نَبوٌّ عنّ
فإنَّ شيطانى كبيرُ الجِنّ

وقال أبو النَّجم :

إنّى وكلَّ شاعرٍ من البَشَرْ شَيطانُه أنثى وشَيطانِى ذَكَرْ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل . وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتانى وأهلى بالدِّماخ فغَمْرَةٍ مسبٌّ عُويفِ اللؤم حىَّ بنى بَدْرِ (٥)

---

(١) تعمج : تلوى . وفى ط : « تنعج » وهو تحريف . وانظر ص ١٥٣ .
(٢) ل : « شيطينا برصا » والوجه ما فى ط .
(٣) شيطان هو ابن الحكم . فارس الخذواء . وصدر البيت كما فى اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :
وقد منت الخذواء منا عليهم
(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .
(٥) ط : « بالرمح » ل : « بالدماخ » . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « حى بنى بدر » .

Marfat.com

فلمـا أتانى ما يقولُ ترقَّصتْ شياطينُ رأسى وانتشَيْنَ من الخمْر

(خرافةُ العذرىُّ)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بَنِى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائِه : هذا من حديثِ خرافة قال : لا وَخُرَافَة حقٌّ " .

(حديث عمر مع الذى استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خُناسة دخلَ الجنَّة وخرجَ منها ودعه ورقةٌ من وَرَقِهَا . [1] وأنَّ عمر سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم [2] ؟ قال : الفُجل والرِّمَّة . [3] وسأل عن شرابهم فقال : الخَلَّف [4] .

وقال الأعشى :

وإنى ومَا [5] كلفتمونى وربَّكم لأعلمُ من أمسى أعَلَّ وأنْجَدا

لكالثَّور والجنىِّ يضرب ظهرُهُ وما ذنبُهُ أن عافَل الدلوُ مزبدا

(١) ط : من ورقها ... ورقه .

(٢) ط : طعمة .

(٣) ط : ... وسئل عن شرابهم فقال ...

(٤) الخلف بالتحريك ...

وفى ط : الخلف ...

(٥) ط : ... وما كلفتمونى ...

(٦) ط : ...

Marfat.com

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أنَّ الجنَّ خنقت حرْبَ بن أمية ، وخنقت مِرداسَ بن أبى عامر ، وخنقت الغَريض المغنّى ، وأنّها قتلت سعد بن عبادة . واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد . فأنتم أمْلياءُ بالخرافات[1] أقوياءُ على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم . وردِّ تأويل الحديث[2] المشهورِ إلى أهوائكم . وقد ١٤١ عارضْناكم وقابلناكم وقارضْناكم .

وقالوا : فى الحديث أنّه « من اقتنى كلباً ليسَ بكلْب زرْعٍ ولا ضرْع ولا قَنص فقد أثِم[3] » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرْع والضَّرْع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضَّرْع إلاّ ليحرسَ الماشيةَ وأولادَها من السباع ؟ وهل عند الكلابِ عند طُروق الأسد والنمر والذئاب وجميع ما يقتات الإنسانَ من رؤساء السباع ، إلاَّ صياحَه ونباحَه وإنذاره ودلالته . وأنْ يشغلَها بعضَ الشَّغْل ، ويُهجِهِج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها . ويتوافى إليها[4] من يذود عنها . إذ ليس فى هذا القياس أنا متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّرَّاق ، وتظهر فيه النُّقوب . ويشيع فيه التسلُّق ، ممَّن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحربية[5] ليس دونها شىء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريدُ حتى يمرَّ على النساء مكشَّفات . ومَن عسى إذا أخذ المرأةَ أخذَ يدٍ ألاَّ يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يُتَّقى بالمال ، [6] حتَّى يذبح ،

---

(١) ن : « ملآء بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن الظانين والخليث » والصواب فى ل .

(٣) ط : « فهو آثم » .

(٤) ن : « إليه » .

(٥) حربية : السلاح الذى يعيش به الإنسان . أو المال الذى يسلب منه . وفى ط : « إلا خربية » .

(٦) ل : « وأن لا يتقى بالمال » والوجه ما فى ط .

Marfat.com

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمِنَ قليلا ، أن يركب الحُرَم بالسَّوءة العظمى وبالتى لاشوَى لها[١] . فهذا الحال أحقُّ بالحِراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلِمَ صار نساءُ الحرمَين يتزاوَرْن ليلا ، ونساء المصرَين[٢] يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لايرين نهاراً ، ونساء المصرَين[٢] لا يُرَيْن ليلا ؛ إلّا للمكابرات ولمكانِ كثرةِ من يستقفى ويتحوّب[٣] للتنقب والتسلُّق . وإذا كان الأمر كذلك فأىُّ الأمورِ أحقُّ بالتحصين[٤] والحياطة . وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة : اتّخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من قد دأب نهاره ، أو ترك اتّخاذها ؟ ويقظة السُّرّاق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أنّا لو خلنا[٥] بين حَرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس[٦] ، وبين اتّخاذ الكلاب ، لامتنع من ضمان خرسة ، ولامتنع كلُّ محروس من عطائهم[٧] تلك الأجرة . ولرجل يرى من ذلك من أعظم الغنْم وأجود القرض[٨] . أوما تعلمون أنّ هذا خرير ، وهذه خريدة[٩] وذاك العقائل من الأموال ، أحقُّ بالمنع وحراسة والدفع عنها بكلّ حيلة ، من حفظ الغنم وحراسة زرع وخرمة لأجير ؟ !

وبعد فإنّ الذئاب لاتجتمع على قطيع واحد ، والناس يخاف من تلك السَّلّة والخطفة[١٠] ، ولاستلاب ، ولاختلاس ، ولاهتبال ، التى فى حد ليس

---

(١) يريد بالإضافة إلى الحرس

(٢) ط : المصريين

(٣) ط : من يستقفى ويتحوب

(٤) ط : بالتحصين

(٥) ط : خلصنا

(٦) ط : الناس

(٧) فى الأصل : عطائهم

(٨) فى الأصل : القرض

(٩) ط : الخريدة

(١٠) ل : والخطفة

Marfat.com

١٤١ التجار وفى منازل أهلِ اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن نُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بحذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمّ يجالدون دون ذلك[1] بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَولَا[2] أنّهم قد أحسّوا من أنفسهم الجراءة وثباتَ العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنّ قلوبَهم أشدُّ من قلوب الأسْد لما خَرَجوا ، على أنّ جميع الخلقَ يطالبونهم ، وعلى أنّ السلطانَ لم يُوَلَّ[3] إلّا لمكانهم . و [الكلابَ لم تُتَّخَذْ إلا لِ] الإنْذَارِ بهم ، وعلى أنّهم إن أُنذِرَ بهم قاتلوا قتالَ من لاينجيه إلّا القِتال ، وعلى أنّهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينةَ قد كانت [فى] ذلك الدهر مأمونةً عليها من أهل الفساد[4] وكان أكثرُ كلابها عَقورا . وأكثرُ فِتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والكلبُ العَقورُ والكلْبُ الكلبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب الكلَب والجنون لأمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذى يعرِض لسائر الحيوان .

(فتن العامة للوزغ)

وجُهّالُ النّاسِ [اليوم] يقتلون الوَزَغ . على أنّ آباءها وأمهاتها[5] كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسَب أنّ آباءها

---

(١) ط : « عن ذمة » .
(٢) ل : « أولى » والصواب فى ط .
(٣) ط : « يوهل » .
(٤) ل : « مشمولة من أهل الفساد » وأثبت ما فى ط .
(٥) ط : « آباءها وأمهاتها » ونحوه ما فى ل .

Marfat.com

وأمَّهاتِها قد كنَّ يعرفن فصْل[1] مابين النبيِّ والمتنبِّى ؛ وأنَّهن اعتقدْن عداوةَ إبراهيم ، على تقصيرٍ فى أصل النظر ، أو عن معاندة بعد الاستبانة حتَّى فعلنَ ذلك — كيف جاز لنا أن نَزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ؟ ! إلَّا أن تدَّعوا أنَّ هذه التى نقتلها هى تلك الجاحدة للنبوّة ، والكافرة بالربوبيّة . وأنَّها لاتلتنا كح ولا تتوالد .

وقد يستقيم فى بعض الأمر[2] أن نقتلَ أكثر هذه الأجناس ، إمَّا من طريق المحنة والتعبُّد[3] وإمَّا إذ[4] كان الله عزّ وجلّ قد قضى على جماعتها الموتَ . أن يجرىَ ذلك المجرى على أيدى الناس . كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد . وهو ملك الموت .

وبعد فلعلَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول إن كان قاله على حكاية لأقوالهم قبله . ولعلَّ ذلك كان على معنى أن يبيّن [illegible] فيترك الناس العلة ويروه الخبر [illegible] من العمل . مجردا غير [illegible]

ولعلَّ من سمع هذا الحديث ظاهر الكلام ولم يشهد [illegible] الصلاة والسلام قصد به الكلام الذى من أجله [illegible] فيه شىء . وكلّ قائل ممكن سماع [illegible]

Marfat.com

وقد رويتم [فى الفواسق ما قد رويتم فى[1] الحيَّة والحدأة والعقربِ والفأرة والغراب ، ورويتم] فى الكلب العَقور . وكيف يُقتلنَ[2] فى الحِل والحرَم . فإنْ كنتم فُقهاءَ فقد علمتم أنَّ تسميةَ الغراب بالفِسق ، والفأرة
١٤٩ بالفُويسِقة ؛ أنّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق[3] ، ولا من شكل تسمية إبليس .

وقد قالوا : مافجرها إلَّا فاجر . ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لايفارقه . وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ[4] فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا » وهو على غير قوله عزّ وجلَّ ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعضُ الرَّجَّاز وذكر ذئباً :

أما أتاكَ عَنِّى الْحَدِيثُ إذْ أنَا بالغَائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسْطَ غَنَمِى يَعِيثُ وصِحْتُ بِالْغَائِطِ يَاخَبِيثُ

وهذا الباب كثير . وليس هذا موضعه . وقد ذكرناه فى كتاب الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ فى صورةِ تقطيع الصوت . وفى الخطِّ فى القرطاس . وإن اختلفت أماكنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنَّما يعرف فضلَه بمتكلِّمين به . وبالحالات والمقالات . وبالذين عَنَوا بالكلام . وهذه جملة . وتفسيرها يطول .

---

(١) ط : من .
(٢) ط : يقتلن ، وله وجه ما قل .
(٣) ط : الفاسق ، ل : الفاسق ، ولوجه ما أثبت .
(٤) ل : من هذه الشجرة : يريد الثوم ، ونحوه ، والكراث .

Marfat.com

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنا بقتل الحيَّة والعقرب ، والذئب والأسد . على معْنًى ينتظم معنَيْين[1] : أحدهما الامتحان والتعبُّد بمكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العَصَى لاتُغنى فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب . ولم نؤمَرْ بالقصد إلى قتله ، وإنَّما الغاية فى دفع بأسِه عنا . فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه . كان كسارقٍ مات من قطع يده . وقاذفٍ مات عن جَلد ظهره[2] . وقد أُمِرْنا بالقصد إلى قتْل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا فى ذلك الوقت ، لأنَّ جنسَها الجنسُ المتلف متَى وجِدَ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغىَ بالسَّيف إلَّا وهو مقبلٌ غير مدبر . ولنا أن نقتل الحيَّة مقبلة ومدبرة . كما يُقتل الكافرُ مقبلا ومدبرا . إلَّا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان[3] والعقوبة . وليس فى قتل الحيَّة إلَّا الامتحان . وقد كان يجوز أن نمتحن بحبسها[4] والاحتيال لمنعها . دون قتلها . وإذا دفَى الباغى من غير أن يجوز يزيد الرجوع إلى فئة . فحكمه الأمر بحبس أبدا إلى أن يتوب . النُّزوع . وسبيل الأحناش والسباع وذوات السموم من الهوام وحشرات . القتلُ مقبلةً ومدبرة . وقد أبيح لنا قتل ضروب من الحيوان

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

Marfat.com

من جناياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ، والبراغيث والقمل .

والبعيرُ قتلهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُه صلاحًا . والإنْسان قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُه حلالا .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ الكلاب والحكَأَةِ وأنَ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذى كنَّا كتبنا به إلى بعض إخواننا[1] ممَّن يدَّعى علمَ كلِّ شىء ، فجعلنا هذه الخرافات وهذه الفطنَ الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشِّنِقْناقُ والشِّيْصَبانْ[2] وتنكوير[3] ودركاذاب[4] ومَن قائل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغريض[5] ؟ ومن هاتف سعد[6] ؟

---

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان — زعموا — : رئيسان عظيمان من الجن ، وسيتحدث عنهما الجاحظ فى الجزء السادس ، وانظر الفهرس ٥٥ . وفى ل : « الشيصبان » محرفا .

(٣) ل : « تنكوير » وفى رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركاذات » وفى الرسائل : « دركاذاب » .

(٥) الغريض هو عبيد الله ، كان مولدا من مولدى البربر ، وولاؤه لمزينة صاحبة عمر بن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج ، وانظر حديث قتل الجن له فى الأغانى ٣ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دلهم بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا أن الجن قتلته ، وفى قتله يقول حسان :

قد سال سيد خزرج سعد بن عبادة
ورميتموه بسهمين فلم تخطئ فؤاده

Marfat.com

وخبّرنا عن بنى أُقيش[١] وعن بنى لبنى ، ومَن زَوْجُها ؟ وعن بنى غَزْوان ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزَوبعة[٢] ، والميدعان[٣] ، وعن النقار ذى الرقبة[٤] وعن آصف ؛ ومن منهم أشار بأصفر سليم[٥] ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سمّاه[٦] ؟ وأين بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدَّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجِرِّىِّ ، أنَّ بَنَ كلّهنّ مِسخ [وكيف خُصَّت هذه بالمسخ ؟] وهل يخلُّ لنا أن نُصدِّق بهذا الحديث عن ابن عبَّاس ؟ وكيف صارت الظباءُ ماشيةَ الجنّ ؟ وكيف صارت الغِيلان تُغيِّر كلَّ شىء إلَّا حوافرَها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشتْ من ضربتين[٧] ؟ ولم صارت الأرانب والكِلاب والنَّعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرَّقيد مطايا السَّواحر ؟ وبأى شىء زوّج أهلُ السَّعلاة ابن عبيد ؟ وما فرق ما بينه وبين عبيد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت تحيت بصبر على يد حرقوص

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

وأبى منصور[١] ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شمشف[٢] ؟ وما الفرق بين الغيلان والسّعالى ، وبين شيطان الحضراء[٣] وشيطان الحُمّاطة ؟ ولم عُلّق السمك المالح بأذنابه [والطرىّ بآذانه][٤] وما بالُ الفراخِ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كلّ شيء أصلُ لسانه ممّا يلى الحلق[٥] وطرفه ممّا يلى الهواء ، إلّا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أنّ لسانه مقلوب لتكلّم ؟ ولم صار كلُّ ماضغٍ وآكلٍ يُحرّك فكّه الأسفل . إلا التمساح [فإنه[٦]] يحرّك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار . وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بالُ عين الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقْر[٧] وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباق العقوق[٨] وما بال لسانِ سمكِ البحر [عديما] ؟ وما بال الغريقِ من الرّجال يطفو على قفاه ، ومن النساء ١٥ على وجهه[٩] ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه ؛

---

(١) ل : « سمية تصير على يده جرمى . . الخ » .

(٢) ل : « سفسف » .

(٣) ط : « الخضر » .

(٤) ط : « المليح بأذنابه » . وتعليق السمك الطرى بآذانه عبارة تهكمية . فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلى الفم » ل : « مما يلى داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « المعصفور » وهو تحريف . وبيضة العقرقير هى التى تمتحن بها المرأة عند الاقتضاض أو أول بيضة للدجاجة . أو آخرها . أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبق : العبد الذى فيه سواد وبياض . وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل . وهى أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

Marfat.com

وأين تذهب[١] شِقشِقة البعير وغُرمول الحمار [والبغْل] وكبِدُ الكركِسج بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْق الإنسان من بين سائر الحيوان]؟ وخبِّرنى عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل[٢] وإذا أُوقدت النارُ أمسَكَت[٤] ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والخُرافة . لنردَّكم إلى الاحتجاج بالخبَر الصحيح المخرج للظاهر[٤] .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ . واستطْرَفتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتى[٥] إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب . [فهى مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لايحيط بها[٦] إلّا من أطالَ الكلام . وجملة ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهى الضَّراء . وهى حلدة قمروة[٧] . وهى الجوارح والكواسب . ونحن لانعرفها إلّا السَّلوقيّة . وهى من أحرار الكلاب وعتاقها[٨] . والخلاسية[٩] هجنها ومقاربها . وكلابُ الرِّعاء من الغنم

(١) ...

(٢) النَّقّ : ...

(٣) ...

الحمار : ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

(٧) ...

(٨) ...

(٩) ...

Marfat.com

وكرديها فهى كرادتها[1] .

وقد تَصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيّة ، ولكنَّها تقصّر عن السَّلوقيّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة[2] :

تَقِدُّ السَّاوِقيَّ المضاعَفَ نسجُه وتوقِد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ

وقال الأصمعىّ : سَمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلْبٍ وقد دنا خَطْمه من عَجْب ذنب الظبى[3] وهو يقول : إيه فدتكَ[4] نفسى ! !

وأنشد لبعض الرجاز[5] :

* مفدَّيات وملعَّنات[6] *

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والسَّفالة . والحرصِ والشَّرَه[7] ، والإباء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا يشتقّون من اسمه لمن هجَوه بهذه الخصال . وقال بشَّار :

واستغْنِ بالوجَبات عن ذَهبٍ لم يَبقَ قبلَك لامرئٍ ذَهبُهْ[8]

يَرِدُ الحريص على متالفه والليثُ يبعثُ حَيْنَه كَلَبُهْ

---

(١) كذا وفى ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

كليني لهم يا أُميمة ناصب وليل أُقاسيه بطىء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « فديها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات وخميات » .

(٧) فى الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى فى أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال ورل يأكل الوجبة إذا كان يأكل فى اليوم والليلة وجبة . وفى ل : « الوجنات » وهو تحريف .

Marfat.com

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لمَا[1] اشتقُّوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر .

قال عامر بن الطفيل [2] :

ومدجَّجٍ يسعَى بشِكَّتِه محمرَّة عيناهُ كالكلْبِ [3]

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب[4] بن ربيعة . وكلاب بن ربيعة ؛ ومكالب بن ربيعة . ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع أسَد ، وضبيعة . وذئب . وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع . ومن الثمانية أربعة مشتقَّة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب[5] بن يربوع . وكلاب بن ربيعة . وكلب بن وَبرة . ومنه بنو الكلبة . قال الشاعر :

مَيكْفِيك من بنى نزار تراغب بنو الكلبة شمُّ الطوالُ الأشاجع [6] ١٥٢

والكلبة لقب ديَّة بنت علاج بن شحمة العنبرى . وبنوها بنو الكلبة الذين سمعتَ بهم تزوَّجها خزيمة بن النعمان من بنى ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، فهم أخْيَمه . وفيها يقول شبيل بن عَزْرة [7] الضبعى

---

(١) في الأصل ١٢ : ٥٠ [illegible]

(٢) في الأصل : [illegible]

(٣) مضى بعض هذا الشاهد [illegible] ٩٥ .

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible] ٥٣ .

(٧) [illegible] ٩٢) [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٩٣ [illegible]

Marfat.com

صاحب الغريب — وكان شِيعيًّا من الغالية [١] ، فصار خارجيًّا من الصُّفرية — :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمْ خُزَيمةُ عبدٌ خاملُ الأصل أوكَسُ

وفى مَيَّة [الكلبة] يقول أبوها، وهو عِلاج بن شحمة [٢] :

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمَّا لا يُمَلُّ مَزَارُها [٣]

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبةً وما كان يُشكى فى الخول جِوارُها [٤]

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم فى الوقْعة التى كانت بإرم الكلبة [٥] . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة [٦] أنّ بنى أخته قتلوا كلبةً لجاره ، وكانوا أعَدَّ منه [٧] فغضب ومضى . فسمِّى ذلك النجد الذى هَبط منه نَجْد الكَلْبة .

[وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كركب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة فى الغريب ، وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له . وهى تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله فى ص .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميل بمزارها » وهو تحريف .

(٤) ب : « فى الخول » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النبج بين البصرة وخجاز ، وعرب فيه يوم قتل وهو يجيز بين يديه نهر بن سعد . قتله قدب الرياحى . معجم البلدان .

(٦) ب : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفى ب : « أحد » . وفى ط : « بجرهم » موضع بخبره .

Marfat.com

عبَّاد بن أنْف الكلب . ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرمىّ النحوى [١] .
وكان رجلا من العِلية عالماً . عَروضيًّا [نحويّا] فرضيًّا . وعَلُّويه [٢] كلب المطبخ .
وكان أشربَ الناس للنبيذ . وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن علىّ .

والكلب : كلب الماء . وكلب الرحى [٣] والنصبة التى يقال لها الكلب .
وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان . والكُلاّب والكَلُّوب .

وقال راشد بن شِهابٍ فى ذلك المعنى :

أمكِّن كُلاَّب القنا من ثغورها وأخضِب ما يبدو منَ استاهها بِدَمْ [٤]

[وقال] :

فسوفَ يرى الأقوامُ دينى ودينَكم إذا كلْبتا قَينٍ ومِقْرَاضُهُ أزمْ [٥]

وقال الراجز :

مازالَ منْ كانَ غُلاماً يستَرْ [٦] له على البَعيرِ إكافٌ وشَفَرْ
والكَلْبَتانِ والعَلاةُ والوَتَرْ

وقال أشهب بن رُمَيلة . وكان أوّل من ركب من بنى مجاشع . فيه يقول : ١٥٣

ياعجبًا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسْ وعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نجسْ
وإنّما أداتُه إذا جَلَسْ الكَلْبتانِ والعَلاةُ والقَبَسْ

وكان اسم المزنوق فيهم عامر من الطفيل : الكلب .

(١) هو حفص بن الحارث [illegible]
[illegible]
(٢) ط : [illegible]
(٣) ط : [illegible]
(٤) ط : [illegible]
(٥) ط : [illegible]
(٦) [illegible]

Marfat.com

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت[1] إنَّما كان سببه كلب .

قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح : كلاب النار .

وقد قال جَندلُ بن الراعى [لأبيه] فى وقوفِه على جرير : مالكَ تَطبل الوقوفَ على كلبِ بنى كليب ؟ !

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ ... وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ

إنَّ السَّماوة لاسماوةَ فالحقى ... بمَنابتِ الزَّيتونِ وابْنِى نَخْدلُ[2]

وبأرض عكٍّ فى السواحلِ إنَّها ... أرضٌ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتَهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع[3] يرثى عُتيبة بن الحارث :

بكَرَ النّعىُّ بخيرِ خِنْدِفَ كلِّها ... بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ

قتلوا ذؤاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ ... فشفَى الغليلَ وريبة المرتابِ

يوم الحليس بذى الغُبَارِ كأنَّه ... كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر[4] :

لله درُّ بنى الحَدّاءِ مِنْ نَفَرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ

إذا غَدوْا وعِصِىُّ الطَّلْحِ أرجُلُهم ... كما تنَصَّبُ وسَطَ البِيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق فى كلِّ زمانٍ أوْكلِّ أرض[5] ، أو

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ؛ وهو من أيام العرب فى الإسلام . وكان فى زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٨ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جحدل » وكذلك فى ب . وأثبت ما فى س والأغانى ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القعقاع » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم كما فى البيان ٣ : ١٥ . وانظر كلام الجاحظ فى هذا الشعر .

(٥) فى الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

Marfat.com

في عامَّة ذلك قالوا : ما هو إلاَّ كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وزَرٍ بن] جابر [1] حين خرجَ من عنـدِه واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركه أمُّ كلْبـة » يعني الحمَّى .

ومِمَّا ذكروا به المعضو من أعضاء الكلب والكلابة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما . قال رؤبة :

لاقيت مَطْلاً كَنَعَاسِ الْكَلْبِ [2]

يقول : مطلا مُقَرْمَطاً [3] دائما . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليـلَ القوم نجمٌ كعينِ الكلب في هَبَّى قباع [4]

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من الجدب [5] لا يبصر القوم فيها النجم إلاَّ الذي يهتدي به إلاَّ وهو كأنَّه عين كلب . لأنَّ الكلب إذا نعس فتح غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهبَّى : الظلمة . وجمعها هباب . وجمع قباع مثل غاز وغزّى . والقباع : التي قبعت في القتام . وجمعها قبع . كما يقبع القنفذ وما أشبهه في جحره . والقنفذ لا ينام مقبل :

ولا أطيق لجمات الليل قبعه فيها القنافذ تأوي في مقاعسها

والقبوع : الاجتماع والتقبّض . والقنافذ : [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

(شعر فى الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر فى صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَر تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنّ الأَراقمِ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عَوَى متهتِّمُ الأسْنانِ (١)

وقال الشاعر فى منظور بن زَبَّان :

لبئس ما خَلَّفَ الآباءُ بعدَهُمُ فى الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابى (٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيَّنَا لصغرى فتًى من أهلها لا يَزينها
كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هَجْمة
يعذِّب فيها نفسَه ويُهينُها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لخا اللهُ جَرْمًا كلَّما ذَرَّ شارِق وجوهُ كِلابٍ هارشَتْ فازبأرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجَّتنى كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولم أجْعَل النَّعماءَ لابن شَعوب
وما زال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ لدنْ غدوةً حتّى دنَتْ لِغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

---

(١) ... ل يبلى قديمها ... والشعر للفرزدق كما فى البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق فى ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير فى ل ، وسنشير عن نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٣١٨ — ٣٢٠ وأبيات من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكرى ٤٢ ، حماسة أبى تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكرى ٢٠ — ٢٥ .

Marfat.com

دعَتْه بمسرُوق الحديث وظالعٍ من الطرف حتى خاف بَصبصةَ الكَلبِ

وقال شريح بن أوس [1] :

وعيَّرْتَنا تمْرَ العراقِ ونخْلَه وزادك أير الكَلبِ شيَّطه الجمرُ

وقال آخر [2] وهو يهجو قوما : ١٥٥

فجاءا بخرشَاوَى شعيرٍ عَلَيْهما كراديسُ من أوصال أعقدَ ساغد

وقال الحارث بن الوليد :

ذهب الذين إذا رأونى مُقبلاً هَشُّوا وقالُوا : مَرحباً بالمقْبل

وبقيتُ فى خَلْف كأنَّ حديثهم وَلَغُ الكلاب تهارَشتْ فى مَنْهَل

وقال سَبْرة بن عمرو المقعسىّ . حين ارتشى ضَمْرة النهشلى . ونفر [illegible]

عباد بن أنف الكلب الصيداوىّ [3] فقال سبرة :

يا ضَمْرُ كيف حكمتَ أمْلَك هابلٌ والحكْمُ مَسئول به لمتعمِّد

أحفظتَ عهداً أم رَعيت أمانةً أم هل سمعتَ بمثلها لا يُنشد

شَنعاءَ فاقرة تجلّ نهشلاً دنسا تغمّر به الرفاق وتُنجد

إنّ الرِّفاقَ أذلّ حكمك حبَّها فملكْتَ لقاءها وهى كُتْبٌ متحمِّدة

فضح العشيرة وستمٌ كأنّه كلبٌ يعصبص بالذنابِ ويَطْرُد

لا شىء يعدِلُها ولكنْ دونها خرْقٌ لقتاد تهابُ شوكتُها [illegible]

جوْعان ينحس سكتةً بفنيقه حلْو يشدّ على [illegible]

وقال مزرِّد بن ضرار :

وإنْ كنتَ آلحم من بكر تبلةٌ [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحلَه لتَقرِيَه بالتْ عليــه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .

وقال :

ياسَــبْرُ ياعبدَ بنى كِلابِ يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ بِبابِ

أكان هــذا أوَّلَ الثَّوابِ يا وَرَلاً رَقْرَقَ فى سرابِ

لا يَعْلقَنَّكمُ ظُفرى ونَابى

وقال الآخر [1] :

كأنّ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلْمَى حجارةُ خارئٍ يَرمى الكِلابَا

١٥٦ وقال صاحب الكلب : ومما اشتقَّ من اسم الكلب فى موضع النباحة ، كليب بن ربيعة . هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قيل فى رجلين من بنى ربيعة مالم يُقَالْ فى أحدٍ من العربْ . حتَّى ضُرب بهما المثل . وهو قولهم : « أعزُّ من كليبِ وائل » ، والآخر : « لا حرَّ بوادى عَوْف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تخوِّضْ حوضاً . وكان يحمى الكلأ ولا يُتَكلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضا ، ويجير الصيد ويقول : صيدُ أرضِ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كَتَعه [2] فربما قذف به فى الروضة تعجبُّه . فيحميها إلى منتهى عوائه . ويلقيه بحريم حوض فلا يردُه بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

---

(١) هو جرير . فى ديوانه ٢ : ٢٥٠ . وسيأتى حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .
(٢) كتعه معنى سدفه ثمار . وانظر فعل وفعال ١ : ٤٤٦ ، وثمار ١١ .

Marfat.com

(ما قيل من الشعر فى كليب)

وفى ذلك يقول معبَد بن شعبة التميمى [١] :

أظنَّ ضِرارٌ أنَّنى سأُطيعه وأنِّى سأُعطيه الذى كنتُ أمنعُ

إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّع [٢]

تقدَّم فى الظلم المُبيِّن عامِداً ذراعاً إذا ماقُدِّمَتْ لك إصبع [٣]

كفعلِ كُليبٍ كنت أنبئت أنَّه يخلط أكلاءَ المياه ويَمنع [٤]

يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل أرانب ضاح والظباءَ فترتع

وقال دريد بن الصمة :

لعمرُكَ ما كُليبٌ حين دلَّى بحبلِ كلبَه فمن يتبع [٥]

بأعظمَ من بنى سفيان بَغْيا وكلٌّ عدوَهم منهم مريع [٦]

وقال العبّاس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمه من العزّ حتى طاح وهو ظليم [٧]

على وائل إذْ يُنزِل الكلب دائحا وإذ يمتنع لأكلاء منه حريمُ [٨]

وقال عباس أيضا الكُليب بن يربوع الظفرى [٩] :

---

(١) هو يلتقى السقط فى ...

(٢) ط : « يتبع ...

(٣) ل : « إذا ما ... حتى يصع

(٤) (يخلط) أعلاه (...)

(٥) ط : « كليب ...

(٦) ط : « ...

(٧) ط : « ...

(٨) هذا فى ل ... ط ...

Marfat.com

أكُليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالمٌ والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِى بقَومِك ما أرادَ بوائل يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها فى صَفْحتَيك سنانُه المسنونُ[1]

١٥٧ وقال النابغة الجعدى :

كليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْع نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرد اليمانى المسهَّم

وقال قَطِران العبشَمىُّ ، [ويقال العبشى[2]] :

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّة لم يَرِدْ حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولُها[3]
أجرَّ كليباً إذ رمى النابَ طعنةً جلَدَت وائلاً حتَّى استخفَّت عقولها[4]
بأهون مما قلت إذ أنت سادِرٌ وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُدِيلُها[5]

وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة[6] :

نحن أَبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا[7]
أبأناه بالنَّابِ التى شقَّ ضَرعها فأصبَحَ موطوءَ الحِمى متذلِّلا[8]

وقال رجل من بنى سَدوس :

وأنت كليبىٌّ لسكابٍ وكلبةٍ لها حولَ أطنابِ البيوتِ هَريرُ

---

(١) ل : « سنانها مسنون ».
(٢) كذا . ولعله « العبسى » .
(٣) ط : « اعتداه » .
(٤) ط : « جدت وائلا » .
(٥) ط : « دال » .
(٦) فى الأغانى ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام ، وهى تنسب للأعشى » .
(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفى ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .
(٨) أبأناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفى ط : « أثابته بالناب » وليس بشىء .

Marfat.com

وقال ابن مقبل العَجلانى :

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها وأَنْ أصبحوا منهم شَريد وهالك
وإنَّ كلا حيَّيكِ فيهم بقية لوَ آنَّ المنايا حالُهـا متماسك (١)
كلاب وكعب لايبيت أخوهم ذليلاً ولا تَعيى عليه المسالك (٢)

وقال رجل من بنى كلاب من الخوارج (٣) ، لمعاوية بن أبى سفيان :

قد سِرتَ سَيْرَ كُليبٍ فى عشيرتِه لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ
الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها كطرّة البرد، أعيافتقها الآسى (٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان فى مثل هذا الاشتقاق : كان أوّل عمل ولِيه الحجّاج بن يوسف تَبالة ، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل : أين هى . وعلى أىّ سمت هى ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أرى أميرا إلاّ على موضع تسترنى منه أكمة ، أهونُ بها علىّ ؟ ! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : « أهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحَجاج » .

والعامة تقول : ذو أهون علىّ من الاعراب على عركوك (٥) . ١٥٨

---

(١) ل : « وإن كلى حيك منهم ... وهو تحريف .
(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .
(٣) فى نوادر أبى ... ١٥١ أن من ... هذه ...
(٤) العدلة : ... وفى ... يعدل ... وفى ... عرضى ... وفى ... بهذا يقوى ... وأول من ... لنسخة ص .
(٥) كذا .

Marfat.com

(الحجاج والمنجّم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولمّا حضرت الحجاجَ الوفاةُ وقد ولىَ قبل ذلك ما ولىَ ، وافتتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجِّم : هل ترى مِلكًا يموت ؟ قال : نعم ولستَ به ، أرى مِلكا يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمُك الحجَّاج. قال : فأنا والله كليبٌ ، أمِّى سمّتْنى به وأنا صبىّ . فمات . و [كان] استخْلَفَ على الخراج[1] يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمِّى بكلب ، وحمار ، وحجر . وجُعَل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى[2] حجراً سمَّى ابنَه به وتفاءل فيه الشدَّة[3] والصلابة. والبقاء والصبر . وأنّه يحطم ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئبا ، تأوَّل فيه الفطنة والخِبَّ والمكرَ والكسب . وإن كان حماراً تأوَّل فيه طولَ العُمر والوقاحة والقرَّة والجَلَد . وإن كان كلباً تأوَّل فيه الحِراسة واليَقَظة وبُعْد الصوت ، والكسبَ وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « الخوارج » ، وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ٤١٧ . وقد زدت كلمة « ابن » ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « او رأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ — ٦

Marfat.com

،ولذلك صوَّر عبيد الله بن زياد فى دِهليزه كلباً وكبشاً وأسداً، وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيَّر إلى ذلك فطارت عليه .

وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمِّى ابنَه بحجر وجبل ، وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاَّ سمَّى بِبِرْذون[1] ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك . وهذه الأسماء من لغتهم .

قال الأوّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبرذونا ، ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيدة لأمورٍ لعلّهم يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور . وقد كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقات محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك ونحن نجده يسمّى بنجم ولا يسمّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضَهم قد سمَّى بذلك عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إنْ مُتُّ فَهْىَ مِيتَتِى لا مُتَّ إلاَّ هَرِماً يا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسنَّد ، وصُوَد[2] . ولا يسمّون بشمس ولا بقمر ولا بسماء ولا بأرض ولا بدهر ولا بزمان ولا بليل ولا بنهار ولا بصباح ولا بمساء ولا بغداة ولا بعشيّ ولا بليلة ولا بيوم ولا بشهر ولا بسنة ولا بساعة ولا بوقت ولا بحين ولا بأبد ولا بأمد

من حجر ، وطودا[١] أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .

وقد سمّوا بأسد وليث وأُسامةَ وضِرغامة[٢] . وتركوا أن يسمُّوا بسبع وسبعة . [وسبع][٣] هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوْا بأبَان وسَلْمَى .

قال آخرون : إنَّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماءٌ تُرِكت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلاَّ فكيف سمَّوا[٤] بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفق لواحدٍ وَلودٍ ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارا ، فيسمِّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتفق فى ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثورٌ ، أو كلب اسمَ رجل معظَّم ، تتابعت عليه العرب تَطِيرُ إليه ، ثم يكثُر ذلك فى ولده خَاصَّةً بعده . وعلى ذلك سمَّت[٥] الرعية بنيها وبناتِها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ؛ وعلى ذلك صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكل عُمَر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك.

فالأسماء ضروب ، منها شىء أصلىٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار . وأسماءٌ أخَرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ؛ وعلى شكل سمِّ الأب . كالرجل

---

(١) فى ط : « والثور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) ط : « يسموا » وصوابه فى س .

(٥) فى الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبته .

Marfat.com

يكون اسمه عمر فيسمى ابنَه عميرا ، ويسمِّى عميرٌ ابنَه عِمران ، ويسمِّى عمرانُ ابنَه مَعْمَرًا. وربَّما كانت الأسماء بإسماء الله عزَّ وجلّ مثل ما سمى الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمَّى إبليس بفاسق ، وربّما كانت الأسماء مأخوذةً من أمورٍ تحدثُ فى الأسماء ؛ مثل يوم العَرُوبة سمِّيت فى الإسلام يوم الجمعة . واشتقَّ له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول فى المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعودُ إلى موضعنا الأوَّلِ إن شاء الله تعالى .

ترك النّاسُ مما كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة . فمن ذلك تسميتهم للخَراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السُّلطان : الحملان والمَكْس .

وقال جابر بن حُنَيّ[1] :

أفى كلّ أسواق العراقِ إتاوةٌ ... وفى كلّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دانِقِ

وكما قال العبدىُّ فى الجارود[2] :

أيا ابن المعلّى خلتنا أم حسبتنا ... صريعَ غَضًى أم نُعْتَلى بالسّلاسلِ

---

(١) فى [illegible] وهو تحريف [illegible]
فى المفضليات ٢٠٩ ، ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن [illegible] فى المفضليات ٢٥٩ ، [illegible]
الجارود كان سيد [illegible]
وأسلم وحسن إسلامه [illegible]
الجارود التى [illegible]

[illegible]

(٣) هذا [illegible]
هذا : « أبو [illegible]

Marfat.com

١٦٠ وكما تركوا انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ ظلاما، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زُهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعَمْ ظَلاماً أبا ضَمْرة ! قال : نعمتَ فمن أنت ؟ قال: قيس بن زهير .

وعلى ذلك قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالِي

وعلى ذلك قال الأوَّل (١) :

أتوْا نَارِى فقلتُ مَنُونَ قالوا سَرَاة الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَاما

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السَّيِّد المطـاع : أبيت اللعن ، كما قيل (٢) :

مَهْلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ

وقد زعموا أن حُذَيفةَ بنِ بدرٍ كان يُحَيَّا بتحيَّة الملوك ويقال له : أبيت اللَّعن . وتركوا ذلك فى الإسلام من غير أن يكون كفراً .

وقد ترك العبْد أنْ يقول لسيده ربِّى . كما يقال ربُّ الدار ، وربُّ البيت . وكذلك حاشيةُ السيِّد والملِك تركوا أن يقولوا ربّنا . كما قال الحارث بن حلّزة :

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يمـ ـشِى ومَن دُونَ مَا لدَيهِ الثّناءُ

---

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق .

(٢) البيت لعبيد من أبيات هنا خبر فى الأغانى (١٤ : ٩١ - ٩٢).

Marfat.com

وكما قال لبيد حين ذكر حُذَيفة بن بدر :

وأهلكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنَه وربَّ معَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ

وكما عيّر زيدُ الخيل حاتماً الطائىّ فى خروجه من طيِّئ ومن حرب الفساد ، إلى بنى بدر ، حيث يقول [1] :

وفرَّ من الحَرْبِ الحَوانِ ولم يكُنْ بها حاتم طَبًّا ولا متطبِّبا

وريب حصنا بعْدَ أن كان آبياً أُبُوّة حِصْنٍ فاستقالَ وأعتبَا

أقِمْ فى بنى بدر ولا ما يهمنا إذا ماتقضَّت حربُنا أنْ تطربا

وقال عوف بن محلِّم [2] ، حين رأى الملك : إنّه ربى ورب الكعبة .

وزوجُه أمُّ أناس بنت عَوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقُوّام الملوك السَّدَنة وقالوا الحَجَبَة [3] .

وقال أبو عُبيدة مَعْمر بن المثنَّى عن أبى عبد الرحمن يونس [4] بن حبيب النحوى حين أنشده شعر الأسدىّ :

ومركضة صريخى أبوها تهان لها الغلاية والنفاد [5] ١٦١

---

(١) حرب الفساد كانت فى الجاهلية بين حنيفة وعامر ... بن كنانة ...
١٠١ والإشتقاق (١١ : ١٢٧) ... (٢ : ٣٥)

(٢) هو السلمى ينسب فيه : ... من بنى ذهل بن ثعلبة ... قدوس ... ١٠٠ ... بن حبيب ... النحوى ...

(٣) فى ... ...

(٤) فى ... ... أبو عبد الرحمن ... أخذ عنه ... فى ...

(٥) الغلاية ...

Marfat.com

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامة ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك، وأسماؤُه زالت مع زوال معانيها، كالمِرباَعِ والنَّشيطة وبقى [1] الصَّفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنَّه الله تعالى . وأما النَّشيطة فإنَّه كان للرئيس أن ينشِط عند قِسمة المتاع العِلْقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى [1] الصَّفِىّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنم ، وهو كالسيف اللَّهذَم [2] والفرسِ العتيق ، والدرع الحصينة ، والشىء النادر .

وقال ابن عَنَمة الضبّى [3] حليف بنى شَيبان ، فى مرثيته بِسطام ابن قيس :

لك المِرباعُ منها والصَّفايا وحُكْمُك والنَّشِيطَةُ والفُضولُ

والفُضول : فضول المقاسم ، كالشىء إذا قسم وفضَلت فَضلةٌ استهلكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدِّرْع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنَّما اشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرَكَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم كأبى رجاءٍ العُطاردىّ [4] . بن سلمة [1] . وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجَعدىُّ

(١) كذا ولعلها « بقى » .

(٢) س : « الفذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) ذكر له ترجمة فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

Marfat.com

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث فى الإسلام ، أنَّهم فى الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التى لم تُحفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغةُ حيث يقول :

إلّا الأوارىَّ لأْيًا ما أبيِّنُها والنؤىَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

ومنه قيل سِقاءٌ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظلَم البِطاحَ له انهلالُ حَرِيصةٍ فصفَا النِّطافُ له بُعيْدَ المُقْلَعِ

وقال الآخر :

قالتْ له مىُّ بأعلَى ذِى سَلَم لو ما تَزُورُنا إذا الشِّعْبُ ألَمّ

ألا بلى يامىَّ واليومْ ظلمْ[1]

يقول ظلم حين وضعَ الشىءَ فى غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٢

أنا أبو زينب واليومْ ظلمْ[2]

وقال ابن مقبل :

عاد الأذلةُ فى دارٍ وكان بها هوت السقاسق والأمثُ الأكارِيُ

وقال آخر :

وصاحب صادق لُمْ تلقَ منه [illegible]

وقال آخر :

لايَظلِمون إذا [illegible]

(١) اليوم ظلم : فى حد [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

وظلم الجزور : أن يعرقبوها ، وكان فى الحقِّ أن تنحر نحراً . وظلمهم الجزُر[1] أيضا أن ينحروها صِحاحا سماناً لاعلَّة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غَشوم ؛ وإنَّما سمِّيت بهذا لأنَّها تنال غير الجانى .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظَلَم » ، يقول : قد وضع الشبه فى موضعه .

ومن الحدَثِ المشتقِّ ، اسم منافق لمن رَاءَى بالإسلام واستسرَّ بالكفر أُخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامَّاء[2] . ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمُّم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا فى الكلام حتَّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه . وكذلك عادتهم وصنيعهم فى الشىء إذا طالتْ صحبتهم وملابستهم له[3] .

وكما سمَّوا رَجيع الإنسان الغائط ، وإنَّما الغيطان البطون التى كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاءَ الحاجة للستر .

ومنه العَذِرة . وإنَّما العذِرة الفناءُ . والأفنية هى العَذِرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزِّبل فى أفنيتهم ، سمِّيت تلك الأشياء التى رَموا بها ، باسم المكان الذى رميت به . وفى الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتكم » . وقال ابن الرِّقيَّات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوها بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[4]

---

(١) فى ناصر : « الجزور والوجه الجمع » .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دمم) .

(٣) فى الأصل : « صحبته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . انظر ص ٢٥٥ .

Marfat.com

كان لايحجُبُ الصديقَ ولا يعـ تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَذِرَاتِ

ولـكنَّهم لـكثرةِ ما كانوا يُلقون نجوَهم فى أفنيتهم سموها باسمها .

ومنه النّجو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تستَّر بنجوة. ١٦٣

والنّجو : الارتفاع من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجُو ، كما قالوا ذهب يتغوّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المتوضَّأ ، وإلى المذهب . وإلى الخلاء . وإلى الحُشّ . وإنّما الحشّ القطعةُ من النَّخل وهى الحِشّان . وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاءَ الحاجة دخلوا النخل ، لأنَّ ذلك أستر . فسموا المتوضأ الحشّ . وإن كان بعيداً من النخل ، كلّ ذلك هربا من أن يقولوا ذهب للخَرْءِ . لأنَّ الاسم الخرء . وكلّ شىء سواه من [1] ورجيع وبول وغائط فـكله كناية .

ومن هذا الباب المَلّة . والمَلّة موضع المُخبزة . فسموا المُخبزة باسم موضعه . وهذا عند الأصمعىّ خطأ .

ومن هذا الشكل الزاوية . والزاوية هو [illegible] فسمّيت المزادة باسم [illegible] والحديث زاوية .

ومنه قولهم : [illegible]

(١) فى الأصل [illegible]

Marfat.com

حين كانوا يدفعون فى الصَّدَاق إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة. وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثةِ والدى ولا شادَ مالِى مُستَفاد النوافِجِ

وكانوا يقولون : تَهنِيك النافجة . قال : فإذا كانوا يدفَعون الصَّدَاقَ عينا ووَرقا فلا يقال ساق إليها الصَّداق .

ومن ذلك أنَّهم كانوا يضربون على العروس البناءَ ، كالقبَّة والخيمة والخيام[1] ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناءِ ، ولا يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً فى مكانها أَوْ تتحوّل إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم فى البَغىّ المكتسِبة بالفُجور : قَحْبة ، وإنَّما القُحَاب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنَتْ وتكسَّبت بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

إنَّ السُّعَالَ شُوءُ القُحَاب

[وقال[2]] :

وإذا ما قحَبت واحـــدةٌ جاوبَ المبعِدُ منها[3] فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايتهم فى انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا متاعَه وعَورته وشواره . والشّوار : المتاع[4] . وكذلك الفرج وإنَّما [يعنون[5]] الأير والحِرَ والاسْت .

---

(١) كذا فى ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما فى س و م . ومعنى خضف فرط .

(٤) فى القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

Marfat.com

(كلمات للنبى صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، لم ينقدَّمْه فيهنَّ أحد[1] : من ذلك ١٦٤
قوله : « إذًا لاينتَطِح فيها عَنْزان » . ومن ذلك قوله : «ماتَ حتْف أنفه » .
ومن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبى » ومن ذلك قوله : « كلُّ الصيدِ
فى جَوفِ الفَرا » ، وقوله : « لايُلسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرفها من أخزم)

وقال عُمر رضى الله تعالى عنه : « شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أخزمَ » . يعنى شبه
ابن العبَّاس بالعبَّاس . وأخزَم : فحل معروف بالكرم .

(مايكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهية من طريق الرويات . ورد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايقولنَّ أحدُكم خبثت نفسى
ولكن ليقلْ لَقِسَت نفسى » . كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يذكر المؤمن
الطاهرُ إلى نفسه الخُبث والنفساء بوجه من الوجوه .

وجاءَ عن عمر ومجاهد وغيرهما النهى عن قول القائل : مات
بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال[2] البلاء بعلى الجسد .
بكذا وكذا .

---

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٢٣ .
(٢) ط : ... وصوابه فى ...

Marfat.com

قال النَّخَعيّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله، وقراءة سالم وقراءة أُبَيّ ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنَّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنَّة الله وسنَّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجْه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسيجِد ومُصيحِف ، للمسجد القليل الذَّرْع ؛ والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنَّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربَّما صغَّروا الشيء من طريق الشَّفَقة والرِّقَّة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنَّما فلانٌ أخَيَّ وصُدَيِّقي ، وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِئ علماً[1] . وقال الحباب بن المنذر[2] يوم السَّقيفة : أنا جُذَيْلها المحكك ، وعُذَيقُها المرجَّب . وهذا كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحميراء ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبَيس . وكقولهم : دبَّت إليه دويهية الدهر . وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك .

---

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكذا كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الطبري ١ : ٢٥٣ .

Marfat.com

ويقال إنَّ كلَّ فُعيل فى أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى . كقولهم المُعَيْدِىّ ، وكنحو سُليم ، وضُمَير ، وكليب ، وعُقير ، وجُعيل ، وحُميد ، وسُعيد ، وجُبير ؛ وكنحو عُبيد ، وعُبيد الله ، وعُبيد الرماح [1] . وطريق التحقير والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجَيل ونُذيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صغَّرْته كان أعلأَ بالصَّدْر . مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر فى السماع من أبى عبد الله . وكعب بن جُعَيل . هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥ وبنية . لايتغيَّر . كنحو الحُمَيَّا والسُّكَيْت . وجُنَيدة . والقطيع . والمريطاء . والسُّميراء . والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرى . وفى كبيدات السماء والثريّا .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : دققت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا ! كأنَّه كره قولى أنا .

وحدَّثنى أبو على الأنصارى . وعبد الكريم النمرى قالا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عبيد [2] يجلس فى داره . وكان لايُغلق بابَه مفتوحا . فإذا قرعه إنسان قام بنفسه حتى يفتح . فأتى الباب يوما فقرعته فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ويحك ! يسمّى أنا . فلم أقل شيئا وقمت خلف الباب . [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

خراسان فقرَع الباب ، فقال عمرو : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ تِدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب . فلمَّا وجدْتُ فرجةً أردت أن ألجَ الباب ، ندفَع البابَ فى وجهى بعنُف ، فأقمتُ عنده أيَّاما[1] ثم قلت فى نفسى : والله إنِّى يومَ أتغضَّب على عمرو بن عُبيد ، لَغَيرُ رشيدِ الرأى . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لى الباب .

وقال رجل عند الشَّعبى : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علَّمَك ؟

وقال الربيع بن خُثَيم : اتَّقُوا تكذيب الله ، ليتَّق أحدكم أن يقولَ قال الله فى كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه : لايقل أحدُكم أهريقُ الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلا عن شىءٍ ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزِينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ، إذا سُئِلَ أحَدُكم عن شىءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لايعلمه قال : لاعلم لى بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول : اللهمَّ اجعلْنى من الأقلِّين ! قال : ماهذا الدعاء ؟ قال : إنِّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُورُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرَف .

وذكر عمر بن عبدالعزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضعْه تحت إبطِك ، وقال :

---

(١) كذا .

Marfat.com

هلاً ،قلتَ تحت يدِك وتحت مَنكِبك ! وقال مَرَّة — وراثَ فرسٌ بحضْرة سليمان —[1] فقال : ارفَعوا ذلك النَّثِيل . ولم يقل ذلك الرَّوث .

وقال الحجَّاج لأمِّ عبد الرحمن بن الأشعَث[2] : عَمَدْتِ إلى مَالِ الله فوَضَعْته تَحْتَ . كأنَّه كره أن يقول على عادة النـاس : تحت استك . ١٦٦ فتلجلج خوفاً من أن يقول قَذَعاً أو رَفَثا ، ثمّ قال : تحتَ ذيلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لايقولَنَّ أحدُكم لمملوكه عَبْدى وأمَتى . ولكنْ يقول : فتَاىَ وفتاتى . ولا يقول المملوك ربِّى وربَّتى . ولكن يقول سيِّدى وسيِّدتى » .

وكره مُطرِّف بن عبد الله . قولَ القائل للكلب : اللَّهُمَّ أخْزه .

وكره عِمران بن الحُصين . أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبه : أنعَمَ اللهُ بك عينا . وإلا أنعَمَ اللهُ بك عينا » .

وقد كرهوا أشياء ممّا جاءت فى الروايات لا تعرف وجوهها . فإن أصحابنا : لايكرهونها . ولا نستطيع الردّ عليهم . ولم نسمع لهم فى ذلك أكثرَ من الكراهة . ولو كانوا يردون الأمور مع علمهم وعلمنا لخفت المؤنة . ولكنَّ أكثر الروايات مجرَّدة . وقد قصدوا على ما يظهر بعضهم دون حكاية العلة . ودون الإخبار عن البرهان . وقد [illegible] الدين مشاهدة وحدة .

(١) [illegible]
يعهد منه .
(٢) [illegible]
وثبت [illegible]
وثلاثة أيام .

Marfat.com

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العِنَب الكَرْم ؛ فإنَّ الكَرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا قوله : « لا تسُبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الدهر هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدى[1] قال : وجهُ هذا عندَنا ، أنَّ القوم قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «ذلك الله». يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ . فتوهم منه المتوهِّم أنَّه إنَّما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : « قُلْ ومَعَك رُوح القُدُس » فقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : قُلْ ومَعَك جِبريل ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أنَّ موسى قال : «ليتَ أنَّ رُوحَ الله مع كلِّ أحد» . وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبِّى : معه روح دكالا[2] ؛ ومعه روح سيفرت[3] . وتقول اليهود : معه روح بَعلزَبول[4] . يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس . وروحه روخ الله . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ . يعنى القرآن .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى . من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعى : لا أعرف له نظيراً فى الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) فى رسائل الجاحظ ٤ : ١٠٥ : « دكالا » .

(٣) فى الرسائل : « سيفرة » .

(٤) فى الأصل : « بعربوث » وصححناه من الجزء الثانى من حياة الحيوان ٢ : ٢٥ و ١٣ : ٢٤ ومروج الذهب ٣ : ٢٢ وتاج العروس ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفى الرسائل : « بلعد بوث » .

Marfat.com

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهيل وبَرُد الليل . فكره ذلك وقال : إنّ سهيلاً لم يأتِ بحرٍّ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب . وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجُلُ للغيم والسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ في شيءٍ من أمر الجاهليّة . احتاطوا في أمورهم . فمنعوهم من الكلام الذي فيه ١٦٧ أدنى متعلّق .

ورووا أنّ ابنَ عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتَمه على فمي . فإنّما يختِم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قومٌ قولهم : قومس قزَح . وقال : قزح شيطان . وإنّما ذهبوا إلى التعريج والتلوين . كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهليّة . وكان أحَبّ أن يقال قومس لله . فيرفع من قدره . كما يقال بيت الله . وزوّار الله . وأرض الله . وسماء الله . وأسد الله[1] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . ولا تقولوا : لا نبيّ بعده . فلا تكون ذهبت إلى قول من يسمح فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تغيّروه بما سمعتم . وقولوا كما قال لكم . والفظوا بمثاله سواء .

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : سمعت في كذا وكذا ، وقال : ليس لإسلام إلاّ لله[2] عزّ وجلّ . وهذا الكلام محالٌ وهو ... سهل . وقد كرهه ابن عمر . وهذه أعلى الدلائل .

(١) ... الكلام ...

(٢) ... الله ...

Marfat.com

وكره ابنُ عبَّاسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُّوا الطريق السِّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت فى جِنازة ، وقال : قل تبِعت جنازة. كأنّهُ ذهب إلى أنّه عنى أنّه كان فى جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهى عندى شبيهٌ بقول من كره أن يقول : أعطانى فلان نصف درهم . وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز بدُنَينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة . وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عبَّاس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة . قال بل قولوا : قد قضَوُا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة . وقد انصرفوا من السّوق . وانصرف الخليفة ؛ وصرف الخليفةُ الناسَ من الدار اليومَ بخير . وكنت فى أوّل المنصرفين . وقد كرهه ابن عبّاس . ولو أخبرونا بعلّته انتفعنا بذلك .

وكره حَبيب بن أبى ثابت . أن يقال للحائض طامِث . وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان . وقال : قولوا شهر رمضان . فإنّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قِبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى

Marfat.com

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال النـاس يوم التَّروية . ويوم عَرَفة ولم ١٦٨
يقولوا عرفة .

(رأى النظَّام فى طائفة من المفسرين
وصور من تـكلُّفهم فى التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتسترسلوا إلى كثير من المفسّرين . وإن نسبوا أنفسَهم للعامَّة . وأجابوا فى كلِّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس . وكلَّما كان المفسِّر أغربَ عندَهم كان أحبَّ إليهم . وليكن عندكم عِكْرِمةُ . والكلبيُّ . والسُّدّى . والضَّحاك . ومقاتل بن سليمان . وأبو بكر الأصمّ . فى سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم [1] وأسكن إلى صوابهم . وقد قالوا فى قوله عزَّ وجلّ : [illegible] وأنَّ المساجد لله ﴾ : إن لله عزَّ وجلَّ لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التى نصلى فيها . بل عنى بذلك [illegible] ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجل . وجَبْهَة وأنف وغير ذلك .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ : ليس يعنى الجمال والنُّوق . وإنّما يعنى السحاب .

وإذا سُئلوا عن قوله : ﴿ وطلح منضود ﴾ قالوا : الطلح هو [illegible]

وجعلوا الدليل على أنّ شهر رمضان قد كان فرض على جميع الأمم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله : ﴿ كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ .

(١) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ قالوا : يعنى أنّه حَشَرَهُ بِلاَ حجَّة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهليَّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق : وادٍ فى جهنم ، ثمَّ قعدوا يصِفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرة[1] بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ قالوا : أخطأ من وصَلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإنّما هى : سَلْ سبيلاً إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمَّى ، وعلى أىِّ شىءٍ وقع قوله تسمَّى فتسمّى ماذا . وما ذلك الشىء ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرَى أنّ كلام الجِلد من أعجب العجب !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ : إنّ هذا إنّما كان كناية عن الغائط . كأنه لا يرى أنّ فى الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلَّة والعجز والفاقة . وأنّه ليس فى الحاجة إلى الغذاء — ما يُكتَفَى بِه فى الدّلالة على أنّهما مخلوقان . حتّى يدَّعىَ على الكلام ويدّعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه .

---

(١) فى القاموس : المِقطرة : المجمرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

Marfat.com

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنّه إنما عنى قلبه . ١٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللّحيانى : (الجبّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً فى الضّخم والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبّاراً على معنى قتّالا . وتأوّل فى ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ . وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ﴾ أى قتّالاً بغير حقّ . والجبارُ : المتكبّر عن عبادة الله تعالى . وتأوّل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً [1] ﴾ . وتأوّل فى ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ أى لم يجعلنى متكبّراً عن عبادته . قال الجبّار : المسلّط القاهر . وقال : وهو قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . والجبّار : الله .

وتأوّل أيضاً (الخوف) على وجوه . ونحو وجدَ فى أنف وكان يقال : والخوفُ على أنف وجه . وكذلك الجبّار . وهذا كلّه يرجع إلى معنى واحد ، إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصف به إلاّ الله عزّ وجلّ .

(تكاف بعض القضاة فى أحكامهم)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضى [2] : إنّ لى ضيعة يشتمل ماله فى الخصومة . قال : اذهب فاشتر به خيلا . فقال : أيّ الخيل أشتري ؟ الخصومة ! قال : أما سمعت قول لبيد لجعفر :

---

(١) فى لسان العرب : ... (٢) هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن دلهم القاضى ...

Marfat.com

ولقد علمتْ على تجنُّبِيَ الرَّدى [1] أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

فينبغى فى مثل هذا القياس على هـذا التأويل ، أنّه ما قيل للمدن والحصون حصون إلاّ على التشبيه بالخيل .

وخبَّرنى النَّوشَروانىّ قال : قلت للحسن القاضى : أوصى جدِّى بثلث ماله لأولاده . وأنا من أولاده . قال : ليس لك شىء . قلت : ولم ؟ قال : أو ما سمعت قول الشاعر [2] :

بنُونا بنو أبنائِنا وبناتُنا بنوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادنى شرًّا .

وقالوا فى قوله : مَاسَاءَكَ وَنَاءَكَ : [ناءك] : أبعدك . قالوا : وساءك [3] أرضاك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلُّف .

وقال ابن قميئة [4] :

وحمّال أثقال إذا هى أعرَضت على لأصل لا يَستطيعُها المتكلِّفُ

وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يُؤتَى القوم إلاّ من الطمع ، ومن شدّةِ إعجابهم بالغريب من التأويل .

---

(١) فى ط : « الورى » وهو تحريف مافى س .

(٢) هذا البيت لا أدرى مع كثرة الاستشهاد به فى كتب العربية وفى كتب العروض ، لم يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العينى ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٨٧ . لكن وجدته البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرمانى أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وأبعدك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام . وفى ط : « برصك » وصوابه فى س .

(٤) ط : « ابن قمئة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت فى البيان ٢ : ١٨ .

Marfat.com

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حَفص بن غِياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكنْ ، وأجهلُ الناس بما كان[1] !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عن النَّعيم ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠
الماءُ الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدَثة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى
الإسلام لمنْ لم يحجّ : صَرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ شعارَ الجاهليَّة وجدتَهم [illegible] هذا الاسم
خلافَ هذا الموضع . قال ابن مقروء الفضبى[2] :

لو أنها عرضت لأشمَط راهب [illegible]
لدنا[3] لبَهْجتها وحُسن حديثها [illegible]

والصرورة عندهم إذا كان أرفع الناس فى [illegible] م
اسمٌ للذى لم يحجّ إمّا للعجز ، وإمّا للتضييع ، وإمّا لأنه [illegible]
كما ترى .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]
[illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقُّون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ، واللغة عاريَة فى أيديهم ممَّن خلقَهم ومكَّنهم وألهمهم وعلَّمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهمْ هـذه النِّعمةَ أحقُّ بالاشتقاق وأوجبُ طاعةً . وكما أنَّ له أن يبتدئَ الأسماءَ ؛ فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أحَبَّ . . قد سمَّى كتابَه المنزلَ قرآناً ، وهذا الاسم لم يكنْ حتى كان ، وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً إلاّ وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً . والترك للشيء لا يكون إلاّ بالجارحة التى [1] كان بها الشيء ، وفى مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه وعَقِبا . فواحدةٌ أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً وإذا كان جحودا كان شركاً ، والسجود ليس بجَحْد ، والجحد ليس بإشراك إلاَّ أن تصرفه إلى الوجه الذى يصير [به[2]] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلابِ وما قيل من الشعر فيه)

وقال طُفيل الغَنَوِىّ[3] :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامةٍ ولم تَرَ نَاراً تِمَّ حَولٍ مجرَّمِ

وإنَّما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

---

(١) فى الأصل : حتى . .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفى ثمار القلوب ٤٦٢ :

« عوازب لم تسمع بنوح حمامة »

Marfat.com

وذكروا أن الظّبىَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَح ، وهو قول أبى دُوَاد[1] :

وقصرَى شَنِج الأَنْسا ءِ نبَّاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نبحًا كأنّه نَبَاحُ سَلُوقٍ أبصَرَتْ ذَا يَرِيبُها

وبَيَّضها الهُزْل المسوِّدُ غَيْرَها كما ابيضَّ عن حَمْضِ المَراحِ نَيِيبُها[2] ١١١

لأن الظّبىَ إذا هُزل ابيضّ ، والبعير يَشِيب وجهُه من أكل الحَمْض .

وكذلك قال ابن لَجَأ[3] :

شابَتْ ولمّا تدْنُ من ذَ كَائِها[4]

كما قال الآخر :

أكلْن حمضاً فالوُجُوه شِيبُ شُرْبن حتّى نزح القَلِيبُ

وقد تصير النّاقة الحمراء إذا أتَمّت حبشيّة . ولذلك قال الشاعر :

حمراء لاحبَشيّة الإتمام

وما أشبه ذلك بقول العبدىّ[5] :

وداويتها حتّى شتَتْ حبَشيّة ذَلُولٌ عَلَيْهِ مَنْشَمٌ وَمُلَثَّمُ

---

(١) فى الأصل : [illegible]

أول الأنسلاع أم [illegible]

وقصرى [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعب النَّهدى[1] :

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْنَ خَبْتٍ تَظَلُّ حمامُه مثلَ الحُصُومِ
كأنَّ عرينَ أيكتِه تَلاقَى به جَعْدَانِ من نَبَطٍ ورُومِ[2]
نُباحُ الهدْهدِ الحَوْلِيِّ فيه كَنَبْحِ الكَلْبِ فى الأَنَسِ المقيمِ[3]

ويقال إنَّ الهدهد ينبَحُ . وربَّما جعلوا الهُدْهُدَ . (الذى ينبح) . الحمامَ الذكر . قال الشاعر — وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها — :

وإذا استترن أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ مِثْلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بِجِسادِ[4]

وقال طُفَيل فى النُّبوح والنجاءات[5] :

وأشْعَثَ تَزْهَاه النُّبوحُ مُدَفَّعٍ عنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدهرُ مُحْثَلِ[6]

وقال الجعدى[7] :

فلما دَنَونا لِصَوْتِ النُّباحِ وَلا نُبْصِرُ الحىَّ إلاَّ التماسا

وقال ابن عبدل :

آنِسْتُ إذ آليتُ مجتهِدًا ورفعتُ صوتا مابه بَحَحُ
لايُدْرِكُ الشعراءُ منزلتى فى الشعرِ إنْ سكَتُوا وإنْ نَبَحُوا

١٧٢ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حماسته وفسرها (٢٨٩ — ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلاع » و « قبض » ، وتصحيحه من الحماسة .
(٣) هذه فى ط ، وليست فى س .
(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) فى الأصل : « الجاعات » .
(٦) المحثل : سيئ الحال . وروية اللسان : « من حرف الدهر » . وفى الأصل : « حلف الدهر » . صوابه بجيم كما فى المخصص ٢ : ١٣٠ .
(٧) هو للنابغة الجعدى . وانظر الأغانى (٤ : ١١٩) .

Marfat.com

وَقَدْ هَرَّتْ كلابُ الحَىِّ مِنَّا وشَذَّبْنَاَ قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحىّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلابَ الحَىِّ كلُّ عقورٍ . وكلُّ ذى عُيون أربع [1] .

وأما قوله [2] :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ على أُبَىٍّ رِماحَ بنى مقيَّادةِ الحمارِ [3]

ولـكنِّى خَشِيت على أُبَىٍّ رِماحَ الجنِّ أو إيَّاكَ حارِ [4]

فالطَّواعين [5] هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : إن الطاعونَ وَخْزٌ مِنَ الشيطان .

وقال أبو سلمى [6] :

لابدَّ للمَوْدَدِ من أَرْدَحٍ رِمن سَفيهٍ دائمِ النُّباحِ

ومن عَديدٍ يَتَّقِى بالرِّماحِ

وقال الأعشى :

مِثْـلِ أيّامِ لَنْ نَعُرُّفُها هَرَّ كلبُ النّاسِ فيها ونَبَحْ

وَزُنَيْنٍ لأُحْلامٍ فى مَجْسِهِمْ ذَمَّ كَلْبٌ مِن لُكَيْزٍ سَبَحْ

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٢١٩ : [illegible]

[illegible]

(٣) [illegible] هقد [illegible]

حمر) .

(٤) ط : [illegible] وتصحف حى [illegible]

(٥) فى الأصل : [illegible] واطعين .

(٦) [illegible] ٣ [illegible] ٣٣٥ [illegible] ٣ : ٥٨ .

Marfat.com

وقال :

سيَنْبَحُ كلبى جاهدًا مِن ورائكم وأغنى غَنَائى عنكمُ أن أُؤنَّبا

وقال أبو ذؤيب :

ولا هَرَّها كَلبى ليبعد تعْرها[1] ولو نَبَحَتْنِى بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبى خازم :

وإنِّى والشَّكاةَ لآلِ لأْمٍ كذاتِ الضَّغْنِ تَمشى فى الرِّفاقِ

وقال أبو زُبَيْد[2] :

ألم ترَنى سكَّنْتُ لأيًا كلابَهُمْ وكفكفت عنكم أكلُبى وَهى عُقَّرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١١٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنّكم تتبَّعتم على الكلب كلَّ شىءٍ هُجِى به . وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدْره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراء قد هَجَوا الأصناف كلَّها . فلَمْ يُفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا هَمَج ولا حشَرة . ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

---

(١) هر . كع : صلح . وفى ط : .. ثعرها ، محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان لسنّ فصيحا بليغ الوصف : وصف لأسد بحضرة عثمان وصفًا بلغ فيه الغاية . الأغانى ١١ : ٢٣ — ٢٥ . وقد ترجم له البغدادى فى الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى فى المعمرين ٩٨ لبدن . وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى وزبيد بهيئة التصغير .

Marfat.com

إلاّ أن يَسلم بعضُ ذلك عليهم بالخمول . فكفاك بالخمول دِقَّةً ولُؤماً وقِلَّة ونَذالة . وقال أميَّة بن أبى عائذ لإياس بن سهم :

فأبْلِغْ إياساً أَنَّ عِرضَ ابنِ أُختِكمْ
رِداؤُك فاصطَنْ حسنه أو تبذَّلِ (١)
فإن تكُ ذا طوْلٍ فإنى ابنُ أُختكم
وكلُّ ابنِ أختٍ من نَدَى الخالِ مغتلِى (٢)
فكنْ أسداً أو ثعلباً أو شبيَهه
فهما تكنْ أُنسَبْ إليك وأشكل
فما ثعلبٌ إلاَّ ابن أختِ ثُعالةٍ (٣)
وإنَّ ابنَ أختِ اللَّيثِ ريبانُ أشبُلِ
ولن تجد الآسادَ أخوالَ ثعلبٍ إذا كانت الهيجا تلوذُ بمخلب

فهذا من الثعلب . وقال مزرّد بن ضرار (٤) :

وإنّ كناز اللّحمِ من بكراتِكمْ تهرُّ عليها (٥) أُمُّكمْ وتكالب
وليتَ الذى ألقى فناؤُك رحله لتقريه بالتّ عنه بثعلبُ

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذى كفاك به نذالة . قال بن هرمة :

فما عادت بذى يمن رُعوساً ولا ضمّت لمحرمِ نزارٍ

---

(١) فى الأصل : ... حسنه ...
(٢) فى الأصل : ... مغتلى ...
فى عيون الأخبار : ...
(٣) فى عيون الأخبار : ...
(٤) فى ط : ...
(٥) فى الأصل : ...

Marfat.com

كعنْزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها[1] وتَرْأَمُ من يُحِدُّ لها الشِّنَارا

وهذا قول الشاعر فى العنز . وقال ابن أحمر :

إنا وجدْنَا بنى سهْمٍ وجامِلَهم كالعنْزِ تَعْطِف رَوقيها فترتَضِعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لم أتركْ على الأرضِ حَيّة ولا نابحاً إلا استقرَّ عَقُورها

وكان نُفَيع إذ هجانى لأهْلِه كباحثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم فى العنز . ولا نعلم فى الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثر خيراً من شاة .

وقال الُخرَيميُّ[2] :

يا لَلرجال لقومٍ قد مَلِئتُهم أرى جِوارَهمُ إحدى البليَّات

١٧٤ ذئبٌ رضيع وخِنزير تُعارِضُها عَقارِبٌ وُجِنَتْ وَجْنًا بِحَيَّاتِ[3]

ما ضَنَّكم بأناس خَيْرُ كسبهمُ مُصَرَّح السُّحتِ سَمَّوه الأَمَانات

فهذا قولهم فى العقارب والحيَّاتِ والضِّباع والخنازير .

وقال حماد عَجْردٍ فى بَشَّار :

قد كان فى حيِّ غزالةَ شاغِلٌ للقرد عن شَتْمى وفى ثوْبَانِ

أو فى سميعةَ أُختِها وشِرادِها لجونها مع سِفْلة المُجّانِ

أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرّ البِغاءِ بأوكَسِ الأثمانِ[4]

---

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق فى ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل : « الخزيمى » وهو « الخريمى » كما سبق التنبيه فى ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) فى الشعر تحريف .

Marfat.com

هذا قول حماد فى القرد . وقال حمَّاد فى بشَّار بن بُرد أيضاً :

ولـكنْ مَعاذَ اللهِ لستُ بقاذِفٍ بَريئاً لسوَّاق لِقَومٍ نوائحِ
وما قلتُ فى الأعمى لِجَهلٍ وأمّه ولـكِنْ بأمرٍ بيِّنٍ لىَ واضحِ
سأُعرِضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمِّه ولست عن القِرد ابن برْدٍ بصافِحِ

وقال الآخر :

لمـا أتيت ابنَى يزيدَ بْن خَثْعَمٍ أرى القردَ والخنْزِيرَ مُحْتَبِيانِ
أمَامَ بُيوتِ القومِ من آل خَثْعَم وراءَ قَبيحاتِ الوجوه بطانِ

وقال العتَّابى :

اسْجدْ لقِرْد السَّوءِ فى زَمَانِه وإن تَلقَّاك بخَنْزَوانِه[1]

لا سيَّما دام فى سلطانه

وقال أبو الشمقمق :

إن رِياحَ اللُّؤم من شحَمه[2] لا يطمَع الخنزير فى سَلْحِهِ
كفّاه قُفْل ضلّ مِفتاحهُ قد يَئِس الحدّاد من فتحِه

وقال خلف بن خليفة[3] :

فسبحانَ من رزقُه واسـع يعُمُّ به القِرْد والقِرْدَهْ

(١) [illegible]
لسان (قاموس ٣٦) : نعت به فاحشة ٢٢٠ .
(٢) فى ط : [illegible] حديث مسوداء فى س .
(٣) شاعر إسلامى [illegible] ، مقل . [illegible]

Marfat.com

وهذا كثير . ولعمرى لو جُمِع كلُّه لكان مثلَ هِجاء الناس للكلب، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِح به الأسدُ فما دُونه ، والأمثالُ السائرةُ التى وقعت فى حَمد هذه الأشياء، لمَا كانت كلُّها فى مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنا فى مَرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ فى قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنَّما جعلتَ الكلب شرّ الخلق بهذه العلَّة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذى قال فى الإبل والبقَر والغنَم أعظم، فأَسْقِطْ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرِك بين الجميع فى الذمّ فإنَّك متى أنصفتَ فى هذا الوجه ، دعاك ذلك إلى أن تُنْصِفها فى تتبُّع مالها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبَّعت ما عليها .

Marfat.com

(الشرف والخمول فى قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عَدلا : إذا استوى القبِيلان فى تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء[1] والفُرسان والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثيرَ السادات فى العشائر ، وكثيرَ الرؤساء [فى] الأرحَاء[2] وكان الآخر قليل الذَّرء[1] والعدد ، ولم يكن فيهم خير كثيرٌ ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا فى غمار العرب ، وغَرِقُوا فى معظم الناس[3] ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيِّينَ ، فسَلموا من ضروب الهجاء ومن أكثرِ ذلك ، وسلموا من أنْ يُضرَبَ بهم المثل فى قِلَّةٍ ونذالة إذا لم يكن شرٌّ ، وكان محلُّهم من القلوب محلّ من لايَغْبِط الشعراءُ[4] ، ولا يحسدهم الأكفاءُ ؛ وكانوا كما قال حُميد بن ثور :

وقُولا إذا جَاوزتما أرْضَ عامرٍ ... وجاوزتما الحَيَّينِ نَهْدا وخَثْعَمَا

نَزيعانِ من جَرْمِ بن رَبَّان إنَّهم ... أبَوْا أن يَرِيعُوا فى فَزَاهِزَ مُنْجِمِ[5]

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذَّرْءُ[1] وكان فيهم خيرٌ كثيرٌ وشرٌّ كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يَسلَموا من أن يهجوا ويُضرَب بهم المثل ، ولعلّ أيضا أن تتفق فيهم أشعار تتصل بمحبة الوِدّ . والمثل تسير على ألسنة

---

(١) الذرء : النسل . وفى الأصل : ... كثير الذرء ...

(٢) الأرحاء : جمع رحى ... وفى نسخة فى نسخة ...
وفى صحف المصحف : والحى ...

(٣) فى ط : ... وفى ...

(٤) فى ... الشعراء ... وفى الأصل : ...

(٥) فى ط : ... من جرم بن ربان ...

Marfat.com

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرَّ ، أمْثلَ حالًا فى العامَّةِ ، ممَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص . ولا سيَّما إذا جاوَروا من يأكُلهم
١٧٦ وحالَفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غَنِيّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبْسًا أقامت فى بنى عامر ضِعفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهير لمَّا رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه : الذلُّ فى بنى غَطفَان خير من العزِّ فى بنى عامر !

وقد يكون القوم حُلولًا مع بنى أعمامهم ، فإذا رأوا فضْلهم عليهم حَسدوهم وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاظَمَهم ، بأكثر من قدره ، فَدَعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين نهكوهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذى كانوا فيه من بنى أعمامهم ، حتى يدْعُوَهم ذلك إلى النَّدم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرُّجوع ، حميةً واتقاء[1] ، ومخافَة أن يعودوا لهم إلى شىء مما كانوا عليه ، وإلى المقام[2] فى حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومِن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلِّ وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأضبَطُ بن قُريع السَّعْدِىُّ من بنى سعد ، فجاوَرَ ناساً ، فلما رأى مذْهَبَهم وظُلمهم ونَهْكهم[3] ، قال : « بكلِّ وادٍ بَنُو سعد ! » فأرسلها مثلا .

---

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .
(٢) فى الأصل : « ولا المقام » .
(٣) فى الأصل : « وتهكمهم » وهو تحريف .

Marfat.com

وقد كان عبَّاس بن ريطة الرِّعلى سيِّد بنى سُليم ، وقد ناله ضيم فى بعض الأمر ، فأبى الضَّيم ، فلما حاولَ مفارقتَهم [إلى] بنى غَنْم عزَّ عَلَيْهِ [1] فقال فى كلمة له :

وأُمُّكم تُزْجِى التؤام لبَعْلِها وأمُّ أخِيكم كزَّةُ الرِّحْم عاقِرُ

وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر [2] . وخبّر عن هذه القصّة فى يوم من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلف شُبَيل بن عَزرة [3] بالطلاق : إنَّه لَعَرَبِىٌّ فى الحقيقة لغِيَّةٍ أو لرِشْدة !

(قبائل فى شطرها خير كثير

وفى الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة الميلاد التى فى شطرها خير كثير . وفى الشطر الآخر شرف وضَعة . مثل قبائل غطفان وقيس عيلان . ومثل فزارة ومرَّة وثعلبة . ومثل عبس وعبد الله بن غطفان . ثم غنىّ [4] وباهلة . والعسوب والمنقذ . فالشرف والخطر فى عَبس وذبيان . والمبتل والمنقّى والخروه والمظلوم . مثل [5] باهلة وغنىّ . فمّا لقيت من صوائب سهام الشعراء . وحتّى كأنّه آلة [6] لمدارج الأقدام . ينكب فيها كلُّ سبع . ويعثر بها كلُّ ماشٍ .

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

(٣) فى ط : [illegible]

(٤) فى الأصل : [illegible]

(٥) فى الأصل : [illegible]

(٦) كذا .

Marfat.com

وربّما ذكروا اليعسوب والطفاوة ، وهاربة البقعاء[١] وأشجَع الجنثى ببعض الذِّكر . وذلك مشهور فى خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورَهم . وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلَّا][٢] بغنىٍّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر فضولًا ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالا ممَّن فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر[٣] :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطّلْحَات مبتدئا

بِبُخْل أشْعثَ واستَثْبِتْ وكُنْ حكما[٤]

تخرج خُزاعة من لؤم ومِن كرمٍ

ولا تعُدَّ لها لؤمًا ولا كرمًا[٥]

وقد ظرف فى شعره فظلم خُزاعةَ ظُلما عبقريًّا .

وقال فى مثل ذلك الأشعر الرَّقَبان[٦] الأسدىّ :

---

(١) هاربة البقعاء هى هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية) مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى كما فى الأغانى ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) فى ط : « بنى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغانى . والرواية فيها :

* بلؤم (مصلب) فينا وكن حكما *

و المصلب الذى يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان واليا على مصر . وقد كان ولى دعبلا على أسوان . فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) فى الأصل : « ولا تغركها » وليس بشىء وصوابه فى الأغانى .

(٦) فى ط : « وقال فى ذلك الشعر الرقيان » وفى س : « وقال فى مثل ذلك الشعر الرقبان » والوجه ما أثبت . والأشعر لقب لرقبان . وهو شاعر جاهلى . والشعر فى نوادر أبى زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالى ٢ : ٢١١ . وانظر لسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

Marfat.com

يحسْبِك فى القوْمِ أن يعْلموا بأنّك فيهم غنىٌّ مُضِر
وأنت مليخ ، كلحْم الحُوَارِ فلا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرّ

وكما قال الشاعر فى علباءَ بن حبيب حيث يقول :

أرى العِلباء كالْعِلْبَاءِ لا حـــلوٌ ولا مُرُّ
شُيَيْخٌ من بنى الجـارو دِ لا خـــير ولا شرُّ

فهذا ونحوه من أشدِّ الهجاءِ .

والخمول اسمٌ لجميع أصناف النَّقْصِ كلِّها أو عامَّتها ، ولكنَّه كالسَّرْوِ عند العلماء . وليس ينفعك العامَّة إذا ضرّتك الخاصَّة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ . وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففى عُكل وتيم ومزَينة من الشرف والفضل . ما ليس فى ثور . وقد سلم ثور إلّا من الشى اليسير ، مما لا يرويه إلّا العلماء . ثم حلّت البليّة وركد الشرّ . والتحف الهجاء على عُكْل وتيم . وقد شعّثوا بين مزينة شيئا . ولكنهم حبّبهم إلى المسلمين قاطبة ما تهيأ لهم من الإسلام . حين قلّ حظّ تيم فيه . وقد نالوا من ضبّة . مع ما فى ضبّة من خصال الشريفة . لأن لأب من نقص ولده فى العدد عن ولد أخيه[1] فقد ركبهم الآخرون بكل مظلمة . حتى يروا تسليم المرباع إليهم حظّا . وليس تحت الله . ولحمل على ظهره فى النوائب . وحتى ربّما كانوا كالعضاريط للعشراء . والاتباع . والخلاء . ثم لا يجدون من ذلك بدّا . كلهم من وتيم ومزينة . فاستباحوهم . فرأوا أن النعمة أربح لهم .

---

(١) فى الأصل : ومتى نقص ولده فى العدد عن ولد أخيه

Marfat.com

وقد أعان غيلان[1] على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبدٌ فى الجاهليَّة ، أتباعٌ فى الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً فى البلاد ، فصار حكمُهم حكم من درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك حيث لا يرفعون رءوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلْف[2] ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة ، وأسد وغطفان فإنَّ هؤلاءِ أقوياءُ لم يُنهكوا كما نُهكت باهلة وغنىّ ، لحاجةِ القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسِّهم إن تذكّروا[3] على حال ؛ فقد لقِيت ضبَّةُ من سعدٍ ، وعبسٌ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما[4] لقُوا .

وقد رأيت مشقَّةَ ذلك على النابغة ، وكيف كرِه خروج أسد من بنى ذبيان .

وعيينةُ بن حصن وإن كان أسود من النابغة رأشرف ، فإنَّ النابغةَ كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الخ . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة . انظر حديثه مع الأحنف فى البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه فى س .

(٣) كذا .

(٤) فى الأصل : « ها » .

Marfat.com

وقد سلمت ثور وابتُليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثَيم [١] وسُفيان الثَّورى ، لما علمت العامَّةُ أنَّ فى العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولَشَريفٌ واحدٌ ممَّن قَبَلت [٢] تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بَلْعَنبر ، قد ابتُليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُّعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الخجاء إلَّا الخمش [٣] والنُّتف .

وربَّ قومٍ قد رضُوا بخمولهم مع السلامة على العامَّة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قممِ رءوسهم حجارةَ القذف ، بأبيات يسيِّرها شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إن مَنَافاً فَقْحَةٌ للدارد [٤] كما الغَنِيُّ فَقْحَةُ الرجيم

وقال الشاعر [٥] :

وجَدْنَا الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ المَطَايَا كَذَا خَبَثَاتُ شَرٌّ بَنِى تَمِيم

فما الميسم فى جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

---

(١) فى الأصل : خيثم ، وانظر الإصابة ١١٢ ، ١١٣ ، ...

(٢) فى الأصل : ... قبلت ...

(٣) الخمش بمعنى الخدش ، وفى ... :

(٤) فى الأصل : ...

(٥) البيت من أبيات ... الدارد ... الأدب ٤ : ٢٨٠ ، ... وفى البيت الثانى ...

Marfat.com

(أثر الشعر فى نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر فى قوم لهم النباهة والعَدد والفَعال ، مثل نُمير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير ، فما ظنُّكَ بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرين :

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائى كما وضعَ الهِجاءُ بَنِي نُمَيْرِ

وحتّى قال أبو الرَّدَيْنىّ :

أتُوعِدُنى لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمرٍ مَّا بكت العربُ بالدموع الغِزار من وقعِ الهجاءِ ، وهذا من أوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شِهاب[1] ، وكما بكى عَلقمة بن عُلاثة ، ١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخداش[2] بن زهير . وما زال يهجوه من غير أن يكون [رآه ، ولو][3] كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و][4] الذى يقع فى النفوس من تفضيله ومحبته [و[4]] من إجلاله والرقة عليه — أمسك . ألا

---

(١) لعلّ "بكاء" هو مخرز بن المكعبر العنبرى ، وانظر الحديث فى البيان ٤ : ٤١ — ٤٢ .
(٢) فى الأصل : " لخواش " .
(٣) زيادة يقتضيها الكلام وليست بالأصل .
(٤) ليس بالأصل .

Marfat.com

ترى أن النَّبيت وغسَّان بن مالك بن عمرو بن تميم [١] ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة إلاَّ دَغفل بن حنظلة [٢] ، وإلاَّ النخَّار العُذرىّ وإلا الـكيِّس النمرىّ [٣] . وإلاَّ صُحار العبدى ، وإلاَّ ابن شَرِيَّة وأبو السَّطَّاح [٤] وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من مواريثهم ؛ وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ماعليه وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هـذه القبائل الخاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ماتبتلى به القبائل فيصيبها بالخمول)

وبليَّة أخرى : أنْ يكون القبيلُ متقادم الميلاد . قليل النتاج قليل السيادة . وتهيَّأ أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الـكامل والعدد التامّ . فيستبين لـكانهم منهم من قدمهم وضعفهم لـكلّ من رآهم أو سمع بهم . أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكونوا بتلك بشرف إخوتهم .

ومِنْ شؤم الإخوة أنّ شرفهم تبعة إخوتهم . ومن أين لأولاد شرفهم شرفٌ من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم [illegible] وجرير بن دارم . فلو أنّ المقيم لم يناسب [illegible] خير الله .

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible]

(٤) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

ولقد ضعضعتْ قُريش — لما جاءتْ به من الخصال الشريفة التامّة ؛ مِنْ أركان كنانة — سَنامَ الأرض وجبلها[1] وعينَها التى تبصر بها ، وأنفَها التى بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثمَّ رأى بنى فقُيم بن جرير ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوَين إذا برَع أحدُهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ فى الجود والإفضال ، أو فى الفُرُوسة[2] أو فى البيان ، فإن كان الآخر وسَطاً من الرجال ، قصدُوا بحسن مآثره فى الطبقة السفلى لتَبين البراعةُ فى أخيه ، فصارت قرابُته التى كانت مفخرةً هى التى بلغت به أسفَل السافلين . وكذلك عَنَزَة بن أسد فى ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً فى عَنَزَة ومرّة فى ضُبَيعة أضْجَمَ ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولودَّ كثير من هؤلاء القبائل التى سامت على الشعراء أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرٌ من العنزيِّين من الشرف . ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه[3]] القبائل خيرها وشرِّها لكانوا سَوَاءً[4] .

١٨٠ وقال صاحب الكلاب : ذكرتَ عيوبَ الكلاب فقلتَ : الكلب إذا كان فى الدار مَحَق أُجُور أهل الدَّار حتى يأتىَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور إذ أُخِذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك أن يأتىَ على آخرها . وقلتَ : فى الكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

---

(١) كذا .
(٢) الفروسة والفروسية : الحذق بركوب الخيل .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل : « سعداء » وليس بشىء .

Marfat.com

والدخيل ، يمنعه النَّومَ ليلاً والقائلَة نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمّ الذى على سامع النُّباح من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكان فى ذلك ممّا ينغِّص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أرطاة بن سُهَيّة فى بعض افتخاره :

وإنِّى لَقَوَّام إلى الضّيف موهنا ... إذا أغدف السِّترَ البخيلُ المواكلُ (١)

دعَا فأجابَتْهُ كلاب كثيرَةٌ ... على ثقةٍ منِّى بما أنا فاعلُ

وما دونَ ضيفى . من تلادٍ تحوزُه ... يدُ الضيف . إلَّا أنْ تُصانَ الحَلائلُ

وقال ابن هَرْمة :

ومستنبحٍ نبَّهتُ كلبى لصوتِه ... وقلتُ له قُمْ فى الثَّناء فجاوب

فجاءَ خَفِىّ الصوتِ قد مسَّهُ الطَّوَى ... بضَرْبَةِ مسنون الغرارَيْن قاضب

فرحَّبت واستبشرت حتّى بسطْتُه (٢) ... وقلتُ التى أُلقَى بها كلّ راغب

وقال آخر :

هجمنا عليـــه وهو يلكُمُ كلبَهُ ... دعِ الكلب ينبحْ إنّما الكلب نابحُ

---

(١) ط : « إلى الضيف موهنا ... إذا أغدف الستر البخيل المواكل » . والأخيران (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطته » وصوّبه فى س .

(٣) قال المرتضى فى أماليه : ٣ : ١١٤ : « وهذه كلمة [illegible] فيدل عليه [illegible] ما سنّى فى نهاية [illegible] » .

Marfat.com

وقال مزرِّد بن ضرار :

نشأتُ غلاما أَتَّقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيفٌ من فزارةَ راغبُ

فإن آبَ سارٍ أسمعَ الكلبَ صوتَه

أتى دون نَبْحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشَّار بنُ بُرْد :

سقَى الله القِباب بتلِّ عبدى وبالشرقين أَيَّامَ القِبابِ[1]

وأياماً لنا قَصُرَتْ وطالتْ على قُرعان نائمةَ الكلابِ

١٨٠ وقال رجل من بنى عبد الله بن غَطفان[2] :

إذ أنتَ لم تستَبْقِ وُدَّ صحابةٍ على دَخن أكثرت بثَّ المعاتِبِ[3]

وإنِّى لأستبقى امرأ السَّوءِ عُدَّةً لعدْوَة عِرِّيضٍ من الناس جانبِ[4]

أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقارِب

وقال أُحيحة بن الجُلاح[5] :

ما أحْسَنَ الجِيدَ من مُليكةَ واللاَّ بَّاتِ إذ زانها ترائبُها

يا ليتنى ليلة إذَا هجع النَّا سُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

وقلتَ : وفى الكلب قذارةٌ[6] فى نفسه، وإقذاره أهله لكثرة سُلاحه وبوله . على أنّهُ لا يرضى بالسُّلاح على السطوح . حتّى يحفر ببراثنه وينقب بأظافره . وفى ذلك التخريب .

---

(١) فى الأصل : « آثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب فى حماسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر فى الخزانة ٣ : ٣٢١.

(٦) فى الأصل : « قذرة » .

Marfat.com

ولو لم يكن إلاّ أنّهُ يكون سبب الوكف ، وفى الوكف من منع النّوم ومن إفساد حُرِّ المتاع ؛ ما لا يخفى مكانه . مع ما فيه من عضِّ الصبيان وتفزيع الوِلدان ، وشقِّ الثياب ، والتعرُّض للزوّار . ومع مافى خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجْمه وتهييجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقْرهم والوثوبِ عليهم [1] .

وقلت : وبئس الشيء هو فى الدار . وفيها الحُرَم والأزواج ، والسَّرارىُّ والحظِيَّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكَره أيسَرُ ظاهر الحجم . وهو إما مُتبَع وإمّا قائم ، وليس معه ما يواريه . وربما أشخَطَ [2] وأنعَظ بحضرتهن . ولعلّهن يكنَّ مُغيبات [3] أو محتاجات إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحولهن . وإذا عجزَ عن أن يعُمَّهن .

(وفد قرحان)

وقد رمى خالدُ بن لحرث البرجمىُّ [4] قتيلى من بنى سعد الحشر الذى كان يسمّى قُرْحان [5] . كان يقتل فيهم ، حتى سمّوه قرحان . فى ذلك عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه ، وهو لا يعلم

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثلُه ، لَما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ؛ حتّى مات في حبسه[1] . وفى ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجشَّم نَحوى وَفْدُ قُرحانَ شُقَّةً تَظَلُّ بها الوَجناءُ وهى حَسِيرُ
١٨٢ فزوّدتُهم كلباً فراحوا كأنما حَباهم بتاجِ الهرمزان أميرُ[2]
وأمَّكم لا تتركوها وكلبَكم فإنَّ عقوقَ الوالداتِ كبيرُ
إذا عَثَّنَتْ من آخر الليل دُخْنَة يبيت له فوقَ السريرِ هَرِيرُ[3]

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليقطرىُّ أنّهُ أبصرَ رجلاً يكُومُ كلبةً من كِلاب الرعاء ؛ ومرَّ بذلك الزُّبِّ العظيمِ فى ثغرها — والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحِرِ من المرأة والظَّبْية من الأتان والحِجر ؛ والحياء من الناقة والشاة — فزعم أنّها لم تعقِد عليه ؛ ولا ندرى أمكّنته أم اغتصبَها نفسَها .

وأما النَّاس ففى مُلح أحاديثهم : أنّ رجلاً أشرفَ على رجل وقد ناك كلبةً فعقَدت عليه ، فبقى أسيرا مستخْزِيا[4] يدور معها حيث دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنبَيها . فأطلقته ، فرفَعَ رأسه إليه ؛ فقال : أخزاه الله أىُّ نيَّاكِ كلْباتٍ هو !

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) فى الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » . وفى الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لايكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفى الطبرى ٥ : ١٣٧ : « ببيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت . وفى الأصل : « عاينت » وصوابه فى الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه فى س .

Marfat.com

، وخبّرنى من لا أردُّ خبره ، أنّه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ؛ فإذا هو بسَوادٍ فى ظِلِّ القمر فى أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى رأسَ إنسان يدخل فى القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظِلّ[1] القمر ، فتأمَّل فى ذلك[2] فإذا هو بحارس يذيك كلبة . قال : فرجمتُه وأعلمته أنّى قد رأيته ، فصبَّحنى من الغد يقرَع الباب علىّ . فقلت له : ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنّك ستركب البحر أو تمضى على وجهك إلى البرارى . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تستُر علىّ . ستَرَ الله عليك . وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلَك . فما اشتهيت من كلبة ؟ ! قال : جُعلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولا نجل[3] . فهو يذيك إناثَ الكلاب[4] إذْ كنَّ عِظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضّه ؟ قال : لو رَامَ ذلك منها غيرُ الحارس التى هى له وقد بتتُ معه فأدخلها فى كِسائه فى ليالى البرد والمطر . لما تركته . وعلى أنّه إن أراد أن [5] يوعبه كلّه لم تستقرّ له . قال : ونسيتُ أنْ أسأله : فهل تعقد على أيور النّاسِ كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة . فقال : لا أدرى لعلّها لا تعقد عليه ، لأنّه لا يُدخله فيها إلى أصله . ولعلّ ذلك إنّما إنّما هو شىءٌ يحدث بين الكلاب والكلبة . فإذا اختلفا لم يقع الالتحام . قال : فقلتُ : فطيّبٌ هو ؟ قال : قد نكحت مائة بنات الحيوانات فوجدتُهنّ كلّهنّ أطيَبَ من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟

(١) فى الأصل : « ظلمة » والصواب ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « فتأمل فى ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « بنات الحيوانات » .

(٥) زيادة عن ط .

Marfat.com

ما ذاك إلاّ لشدَّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أَنِس فقلتُ له : فإذا
١٨٣ دار الماء فى صُلْبك وقرُبَ الفراغ ؟ قال : فربَّما التزمتُ الكلبةَ
وأهوَيت إلى تقبيلها . ثم قال : أمَا إنَّ الكلابَ أطيبُ شيءٍ أفواهاً ،
وأعذَبُ شيءٍ رِيقا ؛ ولكن لايمكن أنْ أنيكها من قُدَّامٍ ، ولو ذهبتُ
أن أنيكها من خلف وثَنيتُ رأسَها إلى أنْ أقبِّلها ، لم آمَنْ أنْ تظنَّ بى أنى
أريدُ غيرَ ذلك فتُكدِّم فمى ووجهى . قال : فقلت : فإنِّى أسألُك بالذى
يستُرُ عليك . هل نَزَعت عن هذا العمل مُنْذُ أعطيتَنى صفقةَ يدِك بالتَّوبة ؟
قال : ربَّما حنَنتُ إلى ذلك فأَحتبسُ[1] بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك
لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنى لأَحِنُّ إليها ، ولقد تَزوَّجتُ بعدَك امرأتين .
ولى منهما رجالٌ ونساء . ومن تعوّد شيئاً لم يكد يصبِرُ عنه ! قال :
فقلت له : هل تَعرف اليومَ فى الحُرّاس مَن ينيك الكلبات ؟ قال : نعم ،
خذ محمويه الأحمر . وخذ يشجب الحارسُ . وخذ قفا الشاة . وخذ فارسا
الحَمّامىّ فإنّ فارساً كان حارساً وكان قيِّم حَمّام ، وكان حَلَقيًّا ، فزعم أنّه
ناكَ الكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهُزِلَ وقبُح وتشنَّج ، حتّى كان
لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحتالُ لكلب عندَه حتى ناكه . قال :
وكان معه بخير حتَّى قتله اللصوص . ثمَّ أشرفَ على فارسٍ[2] ، هذا المحتسِبُ
الأحدبُ . وهو ينيك كلبةً فرماه بحجر فدمَغَه[3] .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء . وينيكها الرجال ، وتنيك
الرجال . وليس شيءٌ أحقّ بالنفى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

---

(١) لعلها : « فأحبس » .
(٢) فى الأصل : « فارس » وصوابه ما أثبت .
(٣) دمغه : أصاب دماغه .

Marfat.com

من السباع العادِيَة الوحشيَّة فى راحة ، إلاّ فى الفَرْط [1] فإنّ لها عُرامًا على بعض الماشية ، وجناية على شرار العامَّة [2] وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطْءِ بعير ونطح كبش ، أو خمش سِنّورٍ أو رَمْح حمار ، ولعلّ ذلك يكون فى الدهر المرّةَ والمرّتين ، ولعلَّ ذلك أيضاً لا ينال إلاَّ عبداً أو خادماً أو سائسا ، وذلك محتَمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس فى دورْهم وأهاليهم ! !

قال صاحب الكلب : إنْ كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون . وإلى قَشرِطِين السطوح بالبراثن تميلون . وإلى نتن السُّلاح وقذر المأكول والمشروب تقصدون . فالسِّنَّورْ أكثر فى ذلك . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أنّه قال : " هُنَّ منَ الطَّوّافات عليكم " . فإذا كان ذلك فى السنانير مغتفراً . لانتفاعهم بها فى أكل الفأر . فمنافع الكلاب أكثرُ . وهى بالاعتقاد أحقّ . وفى إطلاق ذلك فى السِّنَّور دليلٌ على أنّه فى الكلاب أجْوَز .

وأمّا ما ذكرتم من إنعاظه . فلعمرى إنّه ما ينبغى للغيور أن يُقيم فى منزل فيه الفهودُ ولا البيذونَ والبغالَ والحميرَ والتيوس فى المواضع التى ترادُ للنساء . والكلبُ ١٨٤ فى ذلك أحسنُ حالا . وقد كره نابلٌ إدخال مناخم الخيل والدجاج والبطّ خاصة ، لأنّ له عند السفاد قضيبا يظهر . وكذلك التيوس فضلا عن قيود من الصفايا . فهذا المعنى الذى ذكرتم فيه شىء واحد كثير

---

(١) الفرط : البادية . (٢) هنا .

Marfat.com

وعلى أنّ للحمام[١] خاصَّةً من الاستشارة[٢] ، والكَسْم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس[٣] مثلُه ، ثمَّ التقبيل والتغزّل والتَّنَفُّش[٤] ، والابتهاج بما يكون منه بعدَ الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم][٥] إمكانها لغير ذكرها ، ما يكونُ أهيجَ للنساء ممَّا ذكرتم[٦] . فلم أفردتم الكلب بالذِّكر دونَ هذه الأمورِ ، التى إذا عاينت المرأة غُرمُولَ وَاحِدٍ منها ، حقَرت بعلَها أو سيِّدَها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبِّهها ساعةَ الغفلة ، ويُحدِث لها التمنِّىَ لما لا تقدر عليه ، والاحتقارَ لما تقدر عليه . وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإنْ كنتم تذهَبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان[٧] عند العَبث والتعرُّض ، والتَّحَكك والتهييج[٨] والتحريش ، فلو أنّ الذى يأتى صبيانَكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصنَاف العَبَث — والصِّبيان أقسى الخلْقِ وأقلهم رحمةً — أنْزَلُوهُ بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حُذَيفة ، لَخَرَجُوا[٩] إلى أقبَحَ ممَّا يخرج إليه الكلب . ومَن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

---

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الخصب . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ماذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ماأثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهيج » ، والوجه : « التهييج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

Marfat.com

وبعدَ فما وجدْنَا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقَره مِنْ تلقاءِ نفسه . وإنّه ليتردَّد عليه وهو فى المهد، وهو لحمٌ على وضَم . فلا يشَمُّه ولايدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واستراحا ؛ وما فى الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبِه ، ولا فى الأرضِ مَجوسىٌّ يَموت فيُحْزَن على موتِه ويحمل إلى الناوُوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشَمُّه . فإنّه لا يخفَى عليه فى شمِّه عندَهم . أحىٌّ هو أم ميِّتٌ ؛ للطافةِ حِسّه ، وأنّه لا يأكل الأحياءَ[1] . فأمَّا اليهود فإنّهم يتعرَّفون ذلك من الميّت . بأن يدهنوا استَه . ولذلك قال الشاعر[2] وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميِّتٌ مَسَحُوا اسْتَهُ بدُهنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقرَاد

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جنايات الكلاب . فو حدة من جنايات الديك أعظمُ من جنايات الكلاب . لأنّ عبد الله بن عمرو بن حفّان . بَيَّتَ بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنّما مات من نقر ديك فى دار عثمان . فى عينه فكان سببَ موته . فقتْلُ الديك لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعظمُ من كثيرٍ ممّا تستعظمونه من جنايات الكلاب .

وقد نقر ديك عين ابن حسكة بن عقاب[3] . أو عين بن [illegible]

---

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سلم بن [illegible] يهجو [illegible] بالسحر [illegible] من اليهود .

(٣) فى الأصل : « [illegible] » صوابه فى الاشتقاق ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

Marfat.com

وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبى المسيح وهو فى المهد فاعورّ ، ثمّ ضربته الحُمرة فمات .

ووثبَ ديك فطعن بصيصَتِه عين[1] بنتٍ لثُمامة بن أشرس ، قال ثمامة : فأتانى الصّريخ ، فوالله ماوصلتُ إليها حتى كَمَد وجهها كلُّه واسوَدَّ الأنفُ والوَجْنتان وغارت العينان . وكان شأنُ هــذا الديك — فيما زعم ثمامة — عجباً من العجب : ذكر أنَّ رجلا ذكر أنَّ ديكاً عند بقّالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقّال الذى عنده فسألتُه عن الديك ، فزعم أنّه قد وجّه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا فى ذلك . فلم أبرحْ حتى اشتريْتُهُ ، وكنتُ أصونُه وجعلته فى مَكَنّة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحةٍ وأقبلت بنتى هذه لتنظر إليه ، فــكان هذا جزائى منه !

قال : وديكٌ آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر ، حتّى وطئ فى ذؤابته ثمّ أقبلَ ينقرُ دِماغه وعينيه . فقال رجلٌ من قريش ، لمن حضر ذلك من الخلق :

طردُوا الديكَ عن ذؤابة زيد طالما كان لاتطَاهُ الدَّجاجُ[2]

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإنَّ له يداً تشجُّ[3] وأخرى تأسُو ، بل ما يدفعَ اللّه بحراسته ويجلب من المنافع بصيده[4] أكثرُ وأغمر ، وهو

---

(١) فى الأصل : « فى عين » .

(٢) جاء هذا البيت فى الأصل كلاما منثورا . وانظره فى الكامل ٧١٠ ليبسك . وفى الأصل « لاتطؤها » وتصحيحه من الكامل .

(٣) فى ط : « تسبح » وهو تحريف مافى س .

(٤) فى ط : « بعبده » وتصحيحه من س و م .

Marfat.com

الغامرِ لا المغمور ، والفاضل لا المفضول . والديك يفقأ العُيونَ وينقُر الأدمغة ويقتل الأنفس ، ويشُجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه صِرف وخيره ممزوج . إلاّ أنْ يزعموا أنّه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذى يحتاج إلى البرهان.

و [من [1]] عارض منافعَ الكلاب وحراستَها أموالَ الناس من اللصوص . ومنعَ السِّباع من الماشية ، وموضعَ نفع الكلب فى المزارع — وذلك عيان ونفعه عامٌّ وخطبه عظيم — بما يُدَّعَى من حراسة الدِّيكة لشيطان ، لم يكايل ولم يُوازِن ولم يَعرف المقايسة ، ولا وقَف قطُّ على معنَى المقابلة [2] ودَلَّ بذلك على أنَّ مبلغَ رأيه لا يجوز رأىَ النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العُواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة [3] :

ألم أكُ جارَكمْ فتركتمونى لكلابى فى ديارِكمْ عُواء ١٨٦

وقال الشاعر :

وإنّى امرؤٌ لا تفزعُ ذئابَى من الليل سعدى والغراب نحيبَها

وقال الشاعر [4] :

ومستنبح تستكشط الريحُ ثوبَه لبسقتُه ... وهو بالثوب فُعْمُس

---

(١) ليست في ...

(٢) في الأصل : ...

(٣) ...

...

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ ... ٣ ... ٢٠٥

Marfat.com

عَوى فى سوادِ الليل بعدَ اعتسافِه لينبَحَ كلبٌ أو ليفزَعَ نُوّمُ
فجاوبَهُ مستسمِعُ الصوتِ للقِرَى له مع إتيان المُهبِّينَ مَطْعَمُ
يَكادُ إذا ماأبصر الضيفَ مُقْبِلاً يكلِّمهُ من حبِّهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال ذو الرُّمَّة :

به الذئبُ مخزوناً كأنَّ عواءَه عواءُ فصيل آخرَ الليلِ مُحْثَلِ

وقال آخر :

ومنهلٍ طامسة أعلامُـــه يَعوِى به الذئبُ وتَزقُو هامُه

وقال عَقيل بن عُلّفة يهجو زبّان بن منظور .

لا بارِكَ اللهُ فى قومٍ يسودهمُ ذئبٌ عَوى وهومشدود على كُورِ
لم يبقَ من مازنٍ إلاَّ شرارُهُم فوقَ الحصَى حولَ زبّان بنِ منظورِ

وقال غَيلان بن سلمة (١) :

ومعرِّس حين العشاء به الحبس فالأنواء فالعقل (٢)
قد بثَّه وهنـاً وأرّقنى ذئب الفلاةِ كأنّه جذلُ
فتركته يعوِى بقَفرتِه ولكلِّ صاحِب قفرةٍ شكلُ
بتَنُوفةٍ جـرداءَ يجزعها لِحَب يلوحُ كأنّه سَحْل (٣)

وقال مغلّس بن لقيط (٤) :

عوى منهُمُ ذئبٌ فطرَّب عادياً على فعليات مُسْتَشارٍ سخيمها (٥)

---

(١) كان من حكماء العرب فى الجاهلية وحكامهم . انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .
(٢) كذا فى الأصول .
(٣) يجزعها : يقطعها . وفى ط : « لجب » وصوابه بالحاء كما فى س و م .
(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٤١٩ بولاق .
(٥) ط : « مستشار » .

Marfat.com

إذا هُنَّ لم يلحَسْنَ من ذى قرابةٍ دماً هُلِستْ أجسادُهـا ولحومُها [1]

وقال الأحيمرُ السعديُّ [2] : ١٨٧

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوَّتَ إنسانٌ فكِدتُ أطيرُ

وقال آخر [3] :

وعاوٍ عوَى واللّيْلُ مستحلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَّجم [4]

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائرا . أو ممّن يلتمس القِرَى . ولم ير بالليل نارًا . عوى ونبح . لتجيبَه الكلاب . فيهتدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحٍ أهلَ الثّرى يَلتمس القِرى

إلينا وممساه من الأرض نائح

وقال عمرو بن الأهتم :

ومستنبحٍ بعد الهُدوّ دعوتُه وقد حانَ من مارى الشّتاء مُرودُ

فهذا من عواء التفصيل والذئب والكلاب .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٣٩١ :

إذا هن لم يلحسن من ذى قرابة ... ... دماً هُلِستْ أجسادُها ولحومُها

(٢) ط : « الأحمر » ومثله فى س . وهو شاعر ... ...

(٣) البيت لحميد الأرقط كما فى الحماسة ٢٠٠ .

(٤) ط : « لتغور » ومثله فى س . وفى الأصل ... ...

٢٠٠ . المستحلس الندى : ٢٠١ .

Marfat.com

(ما قالوا فى أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : وممَّا قالوا فى أنس الكلاب وإلفه ، وحبِّه لأهله ولمن أحسَنَ إليه قول ابن الطَّثريّة [1] :

يا أُمَّ عمرٍو أنجِزِى الموعودا ... وارعَىْ بذاكِ أمانةً وعُهُودا
ولقد طرقْتِ كلابَ أهلِكِ بالضُّحَى ... حتَّى تركتُ عَقُورَهُنَّ رُقُودا
يضرِبْنَ بالأذنابِ مِن فرحٍ بنا ... متوسِّداتٍ أذرُعاً وخدودا

وقال الآخر [2] :

لو كُنْتُ أحملُ خمرًا يومَ زرتُكمُ ... لم يُنكِرِ الكلبُ أنِّى صاحب الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفعمنى ... والعنبرُ الوَرْدُ أُذكيه على النار [3]
فأنكر الكلاب ريحى حين أبصرنى ... وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القينىّ فى الإلف . وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخى [4] :

سأمدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكب ... لقيتُهمُ وأترُكُ كلَّ رَذْلِ

---

(١) فى الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ماأثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .
(٢) الشعر فى البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته عمرة بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال فى العرب . ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ — ٤٦ .
(٣) فعمره الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . وفى الأصل : « ينعمنى » ، وصوابه فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمنى » بالغين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .
(٤) هو قيس خفاف بن ندبة . وله أخبار فى الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

Marfat.com

ثمّا أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ
وقد عرَفَتْ، كلابُهمُ ثيابى كأنّى منهمُ ونسيتُ أهلى
نَمَتْ بك من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شئتَ مِن فرعٍ وأصلِ

وقال الشاعر فى أنَس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عنيف بتَسْواقِ العِشارِ ورَعْيِها ولكنْ بتَلْقَام الثَّريد رفيقْ
سَعِيد يظَلُّ الكلب يمضَغُ ثوبَه له فى ديارِ الغانيات طَريق

وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشَمُّه وسَرت بأبيضَ كالخلال على النطَوَى

وقال ذو الرمة :

رأتنى كلابُ الحى حتَّى ألِفْننى وعُلِّقْت نسوج العنكبوت على رحلى

وقال حسّان بن ثابت :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ مارية الكريم المُفْضَلِ
بِيض الوجوهِ نقيّةٌ حُجزاتُهمْ شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغشَوْنَ حتَّى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السَّوادِ المقبلِ

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

وبوّأت (٣) بيتاً فى دَعِم رَحيب مَبسَطة [illegible]
كفيت العُفاة طلاب القِرى وذبْح الكلاب [illegible]

---

(١) فى الأصل [illegible]
وفى ط : على [illegible]
(٢) الخطاف : معلاق [illegible]
(٣) فى الأصل : وبوأت [illegible]
(٤) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

تَرَى دَعْس آثَارِ تلك المطيِّ أخادِيدَ كاللَّقم الأفيَحِ
ولو كُنْتَ فى نفق زائغٍ لكُنْتَ على الشرك الأوضَح (١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف الكلاب ، ولكِنَّه مما ينبغى أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

لا الغيايَاتُ مُنتـــواكَ ولكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القُصورِ ذرَاكا

وقال البزَّار الحلِّىّ ، فى المعنى الأول :

أَلِفَ النَاسَ فما ينبَحُهُمْ مِنْ أسيف يبتغى الخيرَ وحُرّْ (٢)

وقال عِمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ العزِيزِ على قَوْمِه وغَـــيرهِمُ مِنَنٌ غامِرَهْ (٣)
فبابُك ألينُ أبوابهـــم ودارُك آهـــلةٌ عامـــرهْ
وكلبُك آنس بالمعتفِين من الأُمِّ بابنتها الزَّائرهْ
وكفُّك حين ترى السائلي ن أندَى من اللَّيلةِ الماطرهْ
فِنَاكَ العَطَاءُ ومنَّا الثَّنَاءُ بكلِّ محـــبَّرةٍ سائرهْ

وقال هلال بن خثعم (٤) :

إنِّى لَعَفٌّ عن زيارةِ جارَتى وإنِّى لَمَشْنوءٌ إلىّ اغتيابُها

---

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه ما فى س و م .
(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحمانى .
(٣) الشعر فى الأغانى ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان.
(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

Marfat.com

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها زَءُوراً ولم تأنَسْ إليَّ كلابُها
وما أنَا بالدَّارِى، أحاديثَ سِرِّها ولا عالِمٍ مِنْ أىِّ حوكٍ ثِيابُها (١)
وإنّ قِرَابَ البطنِ يكفيك ملؤهُ ويَكفيك سوءَات الأمور اجتنابُها

وقال حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله . ويكنى أبا سَفَّانة . وكان أسره ثوب بن شَحمة العنبرىّ مُجير الطير (٢) :

إذا ما بخيلُ النَّاس هَرَّتْ كلابُه وشَقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها
فإنِّى جبانُ الكلب بيتى موطَّأٌ جَواد إذا ماالنَّفسُ شَحَّ ضميرُها
ولكن كلابى قد أُقِرَّت وعُوِّدت قليل على مَن يعتريها هَرِيرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاء الكلاب ، ليس يريد به الكلب ، وإنما يريد به هجاء رجل . فيجعل الكلب وُصلة فى الكلام ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً مما يتفق الناسُ به من سبب الكلاب . ولذلك قال الشاعر (٣) :

مِن دونِ سِبكك لونُ ليل مظلم وخفيف ناقجة وكلب نُوَّمُ (٤)
وأخوكَ مختمل عليك ضغينة ونُسيفُ قومك لاتَه لا يُحمَدُ

---

(١) فى الأصل : ... حول ... ليت شعرى ...

(٢) فى الأصل : ... ... (٣) ... ...

(٣) هو حسين بن ... ...

٤ : ٨٢ ، وديوان المعانى ٢ : ١٠٦ .

(٤) الناقجة : الريح التى ... ...
من النوم ... ...

Marfat.com

والضّيفُ عِنْدَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلْ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ فىَّ مِن عيبٍ فإنّى جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

فهو لم يردْ مدحَ الكلب بالجبن ، وإنّما أراد نفسه حين قال :

وحفيف نافجة وكلب موسد[1]

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهلُه ، فإنّما اللوْم على من أسرَه . وإنما هذا الضّرب كقوله[2] :

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمِّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أنّ هذا لا يكون ، ولكن حقَّر أمرهم وصغَّرهم .

وقال ابن هَرْمة :

وإذا تنوَّرَ طارِق مستنبِح ، نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىّ كلابى[3]

وقال ابن مهيبة :

جَلبنا الخيلَ من شُعَبَى تَشَكَّى حوافِرَها الدوابرَ والنُّسورا

فلما أنْ طَلَعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا

ولم يكُ كلبُهم ليفيق حتَّى يُهارِشَ كلبُهم كلبا عَقورا

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابىّ :

---

(١) فى الأصل : « نافحة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماهجينا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعانى ١ : ١٧٥ .

(٣) فى الأصل : « كلاب » .

Marfat.com

أخو ثقةٍ قَدْ يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخَفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحُه كريهٌ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصَرُ

وقال ابن هَرْمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبَعُها شَحمٌ يَزِفُّ به الداعِي وتَرعِيبُ

فهذا قول هؤلاءِ . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليه وهو يَكعَمُ كلبَه

دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ (١)

وقال الآخر :

وتَكْعَمُ كلبَ الحيِّ من خَشيةِ القِرى

ونارُكَ كالعَذْراءِ منْ دُونها سِتْرُ (٢)

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلَّت معاوية بن عمرو على الأضواء خنَّقت الكلابا

فالكلب مرّةً مكعوم (٣) . ومرّة مخنوق . ومرّة مُوسَد ومحرَّش . ومرة يجعله جبانا . ومرّة وثّابا . كما قال الراعى فى الحطيئة :

ألا قبّحَ الله الحطيئةَ إنّه على كلّ ضيف ضافه فهو سانحُ
وقعنا إليه وهو يخنقُ كلبَه دعِ الكلبَ ينبَحْ إنّما الكلبُ نابحُ

وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : [illegible]
(٢) فى الأصل : [illegible]
(٣) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

بكَيْتَ على زادٍ خبيثٍ قرِيتَه ألا كلُّ عَبْسىٍّ على الزادِ نابحُ (١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلَّا إلى فتًى إذا ما أبَى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَعِ الكلبَ ينبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ *

وقال الآخر :

* ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لَكَ نابحُ *

وقال الفرزدق :

* إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقَدَا (٢)) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذَا يدُلُّ على أنّهم يتشفّون بذكر الكلب ، ويرتَفِقُونَ به ، لا على أنّ هذا الأمرَ الذى ذكروه قد كان على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير (٣) :

ولو كنت فى نَجْرَانَ أو بِعَمَايةٍ إذن لأَتانى من رَبيعة راكبُ (٤)

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* ألا كل عبسى على الزاد نائح *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة . ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » : الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران ، بخلاف بائين . وعمايه : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

Marfat.com

يُثير الكلابَ آخرَ اللّيلِ وَطؤُه كضَبِّ العرَادِ خَطْوُه متقارِبُ (١)

فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وصَوْبَه ويَنْظُرُ من لُقَّاعةٍ وهو كاذب (٢)

فذكر تقارُبَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنَّه مع ذلك قد أثار (٣) الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودِقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا مِن حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذى يلقى ، وكيف الشأن فى ذلك . قال أعشى باهلة :

وأجْحَرَ الكلبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ به وأَخْأَ الحيَّ من تفّاحه الحُجَرُ (٤)

---

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قنى العضاب وراد وردا . فقال :

أصبح قلبى صرد لا يشتهى البرد

إلا عرادا عرد وصيرا بردا

وعنكثا مكبدا

وفى الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الصبح المنبى فى الديوان .

(٢) لقاعة : الكثير الكلأ ، وهى لغة فى اللقاع ، وهو ما انبسط من الأرض فلم يرتفع ولم ينخفض . وهو كاذب : أى لا يصيب ما يرجوه .

(٣) كذا : ... وهو فى الديوان .

(٤) يقال : به لأخأ من ... أى ... وفى حديث أبى ... أنه ... ينظر إلى ... وفى الأصل ... وهو تحريف ... ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٦ ... وهو ...

Marfat.com

وقال الحطيئة :

إذا أجْحر الـكلبَ الصَّقِيعُ اتَّقَيْنَه
بأثباجِ لا خُورٍ ولا قَفِراتِ[1]

وقال ابن هَرْمة :

وسلِ الجارَ والمعصِّب والأضـ ـياف وَهْناً إذا تحيَّوْا لديّا[2]
كَيف يَلْقوْنَنى إذا نبَحَ الـكلـ ـبُ وراءَ الـكُسُورِ نَبْحاً خَفِيّا
ومَشَى الحالبُ المُبِسُّ إلى النَّا ـبِ فلم يَقر أصفر الحىّ ريّا
لم تَـكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل وَرِثتُ ذاكَ عَليَّا

وقال الأعشى :

وتَبُرد بَرْدَ رِداءِ العَرو
سِ فى الصَّيْفِ رَقرقتَ فيه العبيرا[3]
وتسخن ليلـةَ لا يستَطيـ ـعُ نُباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلى[4] :

وليلةٍ يَصطَلى بالفَرثِ جازِرُها يختصُّ بالنَّقَرى المُثرِينَ داعيها
لا ينبَحُ الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسرِى أفاعيها

---

(١) أجحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أحجر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتعصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى عن الصواب فى الجزء الثانى

(٣) ط : « فيها والبعيرا » وصوابه فى س و ص .

(٤) انظر ما سيأتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

Marfat.com

وقال الفرزدق[1] :

إذا احمرَّ آفاقُ السَّماءِ وهَتَّكَتْ
كُسُورَ بُيوتِ الحيِّ نَكْباءُ حرْجَفُ

وجَاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالِها يَزِفُّ وجاءَتْ خَلفَه وهي زُحَّفُ[2]

وهتَّكَتِ الأطنابَ كلُّ ذِفرَّةٍ ذا تاملكٌ من عاتق النَّيِّ أعرَفُ[3]

وباشرَ راعيها الصَّلَى بلبانه وكَفٌّ لحرِّ النارِ ما يتحرَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحيِّ عن نارِ أهلِه ليربِضَ فيها والصَّلا متكنِّفُ[4]

وأصبَحَ مبيَضُّ الصَّقيعِ كأنّه على سَرَواتِ النَّيبِ قُطْنٌ مُنَدَّفُ[5]

تمّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثاني[6]

وأوله : باب احتجاج صاحب الكتاب بالأشعار المعروفة

---

(١) من قصيدته الدالية المشهورة ، التي مطلعها :

(٢) في الأصول : « قبله » والتصحيح من [illegible] ([illegible]) : يعد .

(٣) الذفرة : الناقة الحسنة ، والتاملك : [illegible]

(٤) الصلا : [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

Marfat.com

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص س

٢٠ ١٨ : « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .

٢١ ١ ــ ٢ : « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخدّاع الخِبّ .

٨ : « شوك العضاه » .

١٣ : « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .

٢٢ ٨ : « وعبّاس » .

٢٣ ٨ : « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .

١٤ : « وظن سمّار به كل خيرة » .

٢٤ ٥ : « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .

١٧ : « يمسى ويصبح سالما » .

٢٥ ٨ : « ومساءة الجلساء » .

٢٦ ١١ ــ ١٢ : « ويجعلونها متخيّرة غير مسخرة » .

٢٧ ٤ : « لاتضاف إلى التمر والحسن » .

٢٨ ٧ : « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب ــ ا ــ ٢٥٦) : « لأنه يزهر من شهر ويقال لهذا البطّا[illegible] يقال له بالعراق باذنجان . لأنه يزهر [illegible]

٢٩ ١ : « كالكلب والذئب والثعلب والذئب [illegible]

٧ : « مايكون سلاحه سلاحه » . هذا فى ل .

Marfat.com

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبَل » .
	١٦	: « والبنبد » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه فى الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما فى ل .
	١١	: « ويمحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت فى الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سمّيت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ ــ ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهُزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجدهم » ، كما فى ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشىء » .
	١٢	: « مارأيت فى أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّةً للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

Marfat.com

ص	س	
٣٨	١	؛ « إلا بما لايحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لايصل » .
	٥ ــ ٦	: « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث .
		الطول من الكد » ، مع إسقاط مافى أثناء الكلام .
	١٤	: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ ــ ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت أدلك بوادره .
	١٣	: « أو روضة تتقلّب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
	٦	: « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة تتسع .
	٧	: « فهى أقبل ماتكون لما طابع ، وهو الوجه .
	٨ ــ ٩	: « حين هذه الخصال لم يُلبَس جديدها ، ولم يغل غرها .
		ولبِس ، فى معنى أخلقَ . وفى اللسان : وثوب لبس .
		إذا كثر لبسه . وقيل قد لُبِس فأخلق .
٤١	١	: بعد الذى أبصرتَ من يلبسه .
	د	: « أدّبت غرسى .
	٨	: فى طابها ليلة .
	١٢	: ولا أحفل أخلاقا . سقطت من النسخة
٤٢	٢	: أحسن دواتاً .
	٨	: « ملذهب لخاينه .
	١٩	: « لازمه لحبه عنه .
٤٣	١	: « ياخذ ما فاتهم أو يصلح بالهم .

Marfat.com

ص س

٣ : « معرفة مايحضرتهم ، والتوازر على مايحتاجون [إليه] من الارتفاق » .

٤ ــ ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمّنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .

والتكملة التى فى س٧ لم ترد فى النسخة :

٤٤ ٤ : « مذالاً ميسرا » ، وهــذا يوجّه مافى ط . والمذال : المهان الممتهن .

١٠ـ١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .

١٥ : « ومعرفا لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .

١٦ : « الأشباح المثول » .

٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .

١٤ : « تكمل بجنسه الذى » .

١٧ : « والساكنة الثابتة التى لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .

٤٦ ٤ : « والذائق [فى ذلك] نصيبا » .

١٠ : « هذه الآلة لكان » .

٤٧ ٢ : « مجرى البيان : [وألحق البيان] بالقرآن » .

١٠ـ١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .

٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .

٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

Marfat.com

ص.	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن فى منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطلَ الطَّرَب كلّه » .
	١٢	: « لـكان [ذلك] من أعظم الحظوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت فى الحاشية .
	٦	: « والـكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لايستزيدك » .
	١١-١٢	: « إن افتقرت لم يَحقِرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الـكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
	٨ ـ ٩	: « ليلهم هو الشىء الذى لايرى له فيهم مع الليل أثر فى ازدياد ولا فى تجربة ولا فى عقل ولا فى مروءة » .
	١٥	: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتـكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قِبَله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القيبى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه هذا العلم . كما هو الشأن فى نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشىء] الذى : هَلَك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: « كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

Marfat.com

ص	س	
	١٢	: « أنفق قليلا وأكسب كثيرا »
٥٥	٢	: « ولابد من أن تصير كتبه » .
	٣	: « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
	١٣-١٤	: « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبى للمال ، وبغضى للمغرم ؛ لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
٥٦	٥	: « أو كتب أرفاق ورياضات » .
	٨	: « فى التبيين » .
	١٤	: « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .
	١٧	: « وقد رأيتم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .
	١٨	: « ملوكنا » .
٥٧	٨	: « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
	١١-١٢	: « بعمود السيح ، والإخبار عن شَلَقون الهمّامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
٥٨	١	: « على الناس الإطاعة » .
	٢	: « الاستبصار والمحنة » .
	٥ ـ ٦	: « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط «لا» .
	٧ ـ ٨	: « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليط » .
	٩ ـ ١٠	: « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .

Marfat.com

ص،	س	
٥٩	٥	:، « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشىء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا ينزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقّعت فى الحاشية .
٦١	١ — ٢	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذى كان سعى بهم » .
	٣	: « عثرتم بها . [قال] : فقلت » .
	٧	: « ما أشد صبابته » .
	١١ — ١٢	: « لقد ضيّع درهمه من تجوّد » .
	١٣ — ١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف . وكلاهما صحيح ، فإن الرفوف جمع الرَّق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء ، والجمع الرقوق يكتب فيه .
	١٨	: « قط أئخن ولا أنبل . والئخانة : لحم [...] فى نجاسة .
٦٢	٦	: « ولا أمتع من كتاب [...] فى نهاية السطر .
	٧	: « [قال] فقيل له : فقد جاء [...]
٦٣	٣	: « إذ عزما » .

Marfat.com

ص	س	
	٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
	٦	: « إذا تذكرت منى » .
	٧	: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخطّطن » .
	٥	: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
	٦	: « وقال الحزين الكندى » .
	١١	: « ماتنقضى عبراتى » .
	١٤	: « فى نواح »، و « لم تَعَلَّلْ لهم» ،أى لم تتعلَّل بعلّة .
	١٥	: « تتلقّط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
	١٠	: « إذا تشابَه آيُها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه» ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
	٢	: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
	٨	: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هـذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المتشبة بعد ذلك البيت .
	١١	: « حده لحسامه » .
	١٣	: « فى الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
	٢	: « مخلولف السن » .
	١١	: « بآثارد » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان٢٥٧.

Marfat.com

ص	س	
	١٥	، : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
٦٨	٤ـ٦	: ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
	٨	: « نقراً » بدل « حفراً » .
	٩	: « هو الحفر » مكان « هو النائ » .
	١٠	: « هو النائ » مكان « هو الحفر » .
	١٢	: هذه التكملة ليست فى النسخة .
٦٩	٣ ـ ٤	: « وأمنعها للدروس . وأجدر أن يراها من مر .
	٧	: « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . « لإيغار : أن يد مر الملك لرجال الأرض يجعلها له من غير خرج .
	٩	: « ذكر [حق] الحلف وفلانة . تعصبها الأمر . « تعيد [له] من النسيان » .
٧٠	٦ ـ ٧	: « ولا بين العقود و [بين] الرقوم « خطه مل
	١٠	: « وبين الحروف المجموعة [و] المنصوص من
	١٨	: « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات
٧١	٢	: « وردع المجنون الوعيد والتهديد

Marfat.com

ص س

٨ : « أو بها مُسكة » .

١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .

١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .

٤ ـ ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .

٦ : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .

١٠ : « والأبلق الفرد ، وفى الأبلق الفرد ومارد » .

٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .

١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .

٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار » مع سقوط « فمائتى عام » بعدها .

٧٥ ٢ ـ ٣ : « موضع التعجب [منه] . وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .

٤ : « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »

١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ؛ وهو الوجه .

١٣ : « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .

٧٦ ٦ ـ ٧ : « وابن بهريز ووهيلى » مع سقوط مابين ذلك من كلمات .

Marfat.com

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ ــ ٥	: « أضر من الخطأ فى [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفى بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ــ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدًّا من] التقصير » .
٧٩	١ ــ ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ ــ ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » . وهو الوجه .
	١٤	: « فى سير البُختية » . كما فى ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » . كما فى ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شذوا من معرفة ذلك شذوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمرهم لا يخلو » .
	٩	: « على من أتى على وضع الكتب » .
	١١	: « مئونتهم فى تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا ما سبقت له الأقلام »
	١٦	: « وله الحمد » .

٢٦ ... ١ -

Marfat.com

ص	س	
٨٦	١ ـ ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المُنّة » .
	٦	: « الله التى فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغى أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرِّسه » . صواب ضبطه « يَدْرسه » ، يقال درسَه الكتاب وأدرسه إياه ، كما فى اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويَدرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقّف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة لايدرى صلتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم وتعرف مايحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « وذربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور » .
٩٥	٩	: « علما بأوغا » . وس ١٢ : « فى العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب »
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة »

Marfat.com

ص	س	
	٣	: « التكملة التى تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان فى مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » فى ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد » .
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظًّا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
	٤	: « طريق تد-هج له » .
١٢١	٧	: « لن يعدم البانون » ، وهى رواية جيدة وإن كان فيها الخبر .
	١١	: كلمة « المرى » ليست فى النسخة .
١٢٢	١	: كلمة « المخنثين » ساقطة من النسخة .
	٢ ــ ٣	: « كأنها تمرة فقال اليقطرى » . مع إسقاط مابين هذا الكلام .
	٤ ــ ٥	: « إلا بالخصاء دون الإحصاء »
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب »
١٢٣	١	: « وقال يوما »
	٢ ــ ٣	: « لايحمل إلا التمر ، وبعضه لايحمل إلا المنصف ، وبعضه لايحمل إلا الخلال » .

Marfat.com

ص س

٦ : « والخصى » بدل « والخصيتين » .

١١ : « وقد زعم لنا ناس »

١٢ : « إنما ولدوا له بعد أن نزعت بيضته اليسرى »، وهو الوجه .

١٨ : « محالسة الأعراب» بالحاء المهملة

١٢٤ ١ : « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفى اللسان :

ونضاضة الرجـل : آخر ولده . وفى السطر نفسه « محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما فى ل .

٧ : « فقد يزعمون أنهم » .

٨ : « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .

٩ : « بفرط قوته » .

١٢ : « و [من] رقّة الكبد والقلب »

١٢٥ ٢ : « وإن كان الخصىّ أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .

٣ : « بطرسوس وبادية » ، تحريف

١٢٦ ٦ : « قد أرميت على المائة » . وأربى وأرمى بمعنى .

٧ : « وهْى الكبرة »

٩ — ١٠ : « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهرًا »

١٢ : « هجرانى لملابسة النساء »

١٥ : « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .

١٢٧ ١ : « موت الخاطر »

٢ : « وفيما تحويه من النساء »

Marfat.com

ص س

٨ : « من الخطار »

٩ : « والدواعى لاتطوره »

١٢٨ ١ : « ولم تمتلئ عروقى »

٥ : « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .

١٨ : « وقد كان عثمان بن مظعون »

١٢٩ ٣ : « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .

٤ : « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط النفزع » .

٥ : « لايمكن ردها [إلى مكانها] إلاّ بعلاج طويل » .

٦ : « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .

٧ : « فإذا برأ وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .

٩ : « موضع الخاص من بيوتهم » .

١٠ : « مقربا [ومن لذة الإنسال و]تمتع [وخصب]ويمن نعم » .

١١ : « ومن لذة الإنسال و تمتع بشم » .

١٢—١٣ : « فلا يزل عند الفحول محقرا . وعند الخصيان غريبا مطردا » .

١٣٠ ١ : « فتلة مرخية . كل فى ل » .

٤ : « مجامع [جلد] الخصية »

٦ : « وتجحشف [بدل] تخسف »

٩ — ١٠ : « وبشاذة التحزين والعقد [خبط] شاذكونة [شاذكونة] »

١٥ — ١٦ : « [و] إن أبى [بدل] وإن حصيت البذة [حصيه] خصيه وهو [بدل] فحذوجاه [بدل] بإزاء ويمتش .

Marfat.com

ص س

١٣١ ١ : « أما الخصاء فهوسل الخصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصيانِ ». يقال خُصْىٌ كما يقال خُصية.

٢ ـ ٣ : «حتى تسقط الخصيتان والخُصْيان . الواحد خصية . ويقال ملست الخصيتين أملسهما » .

٨ : « وقَدِيًّا غَذِيًّا » . القَدِىُّ : الطيب الطعم والرائحة .

١١ـ١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .

١٣٢ ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .

١٤ : « وإذا كمنوا الكمائن »

١٣٥ ٣ : « عادات » بدل « عادة »

٥ : « الهرَمى » موضع « الهرمين » .

١٣٦ ١ : « على طول الركوب » .

١٨ـ١٩ : « من أهل التجربة المميزين، أنهم اعتبرو أعمار ضروب الناس »

١٣٧ ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم » .

٦ ـ ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس فى دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .

١٣٨ ٥ : « إلا رديا قصير العنق » .

٧ ـ ٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضِّراب »

١١ : « وهُزْلا » بدل « وهزالا »

Marfat.com

ص. س

١٥ : « [وهى الصرصرانية] » بزيادة كلمة « هى » على مافى ل .

١٣٩ ٧ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً »

٩ ــ ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .

١٣٠ : « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .

١٤٠ ٤ ــ ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أخدريا فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط مابين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغتزام » .

١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست » .

٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .

٥ : « حبب إلى هذا »

٦ ــ ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات . وسخّر هذا لأن يكون من سواس الأسد » . مع سقوط مابين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » . وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثير مايستعمله الجاحظ . انظر ص ٣٩٢

١٣ : « وإنما نأتى التيسير للعاجز كما قال »

١٤٢ ٧ : « وسبيل تتابع الخلف مل خلاف ذلك . [illegible]

مع سقوط [illegible]

١٠ : « فضلا على أن يكون [illegible]

١٤٣ ٢ : « يلتك » موضع « بالتك » فى كل موضع . [illegible]

Marfat.com

ص س

٩ : « اشتر مرك »

١٠ : « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .

١٣ : « للناقة من الحوش فيسفدها »

١٦ : « فمنهم من جعله البتة أن تسكون الزُّرافة » .ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت فى النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزَّرافة والزَّرافَّة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »

١٤٤ ٣ : « من شأن الوردانى والراعبى »

٥ : « بسماع الغرائب »

٥ ــ ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوحى حظا سلمت الكتب »

١٤٥ ٩ : « يحيى بن لجيم » . و « فيخرج [من بينهما] ولد » .

١٤٦ ١ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤

٨ : « أراد هو النبعد به » بدل « بعينه »

١٤ : « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تسكون] حواء السنانير . قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أو لم تعلم » .

Marfat.com

ص	س	
١٤٧	٧	، : « ولا يتبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
	٩	: « عظما كان أم غيره ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
	١١	: « فى شدقه شفرته وناره » .
	١٤	: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » .
		تحريف .
١٤٨	١	: « الحمار » بدل « الحمارين » .
	٢	: « لبعض من [نسكره] ذكره » .
	٤	: « بعده فى النسخة » يعنى عبد الرحمن بن يزيد !
	٩	: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس . قال] : قلت لا والله لا أعرفه . قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
	١٥	: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع ضروبا .
	٤	: « فى تركيبه و [فى] إنسانه » .
	٧	: « خاعضيه » .
	١٣	: « الخبائث » موضع الخلائق ، كما فى ن .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « دفعت و فصيحه » [illegible]
		[illegible]
	١٤—١٥	: « قيل الإناث ، ولا يكاد أيضا [illegible]
١٥١	١٢ ١٣	: « وإذا قالوا فى البيت [illegible]
	١٦	: « الذى دعا بى الخبل فى البيت [illegible]
		[illegible]

Marfat.com

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أنّ ».
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجيزة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تمكون فى الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هى الصواب فى « منابع »
	٧	: « إنما هو شىء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن فى الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

Marfat.com

ص س

٧ ـ ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا . وعامة من كان لايشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة " عامتهم »

٩ : « فقد كانا من المعمَّرين »

١٠ : « وتميّز الصدق فيه من الكذب »

١٦ : « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .

١٥٩ ١ : « مابعد كلمة " للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .

٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ . و" الدفق » تصحيح " الرائق » .

٩ : « والحيى الشريف » .

١٢ : « وإن كان يقايس هذا لأديب الكريم »

١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »

٨ : « والنقض لمرائر القوى . وهو الصوب . والمرائر : جمع مريرة . وهى القوة من قوى الحبل » تمرّ وتفتل .

١٣ : « ومن جنس البط »

١٦١ ٤ : « فتؤدّى . وتصاب في ذوشئة فترد .

٦ : « أن نعمّها بالخرق بالنار .

٧ ـ ٨ : « من ألف بعير بعير ، ثم عسى أن [illegible] ثلاث مرات

مرة إلى شربة واحدة .

١٥ ـ ١٦ : « فيما يرد على الشيء المصبوب من العذاب ، مرة واحدة من الوجوه »

Marfat.com

ص س

١٦٢ ٣ : « لاتملك الشيء »، كما فى ل .

١١ــ١٢ : « فإن [كان] ذلك فى سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب فى ذلك معروف ».

وهو الصواب

١٦٣ ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »

١٧ : « ثم زاده على قيمته »

١٦٤ ١ ــ٢ : « المعروفين بابتياع متاع اللصوص » .

٢ : « من شهد السعانين » . وهو تصحيح ماورد فى ل : « السعايين » . والسعانين : عيد من أعياد النصارى .

٣ : « وأصحاب الخارجات » كما فى ط .

٧ : « وخلطاء متر افدون » ؛ وهو الوجه .

٩ : « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قبل مارية ، و [أنه] استخدمه »

١٨ : « أجمل منه وأشف وأخدم لم يزده »

١٦٥ ٣ : « لايخل اطراده ونفيه » .

٦ ــ ٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .

٩ : « تدبيراً أو حكمة »

١٦٦ ٦ : « مطردا » مكان « مطروداً » .

٧ ــ ٨ : « فالفاجر لايكون المبغى عليه » ؛ وهو الوجه .

٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لايخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

Marfat.com

ص س

١٦٧ ١ : « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .

٧ : « وتعظيم البعولة »

٩ : « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعندها »

١٦٨ ٥ : « الصاحب السوء »

١١ : « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .

١٢ــ١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .

١٥ ــ ١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست فى النسخة »

١٦٩ ١ : « داعية إلى الميراثية » !!

٢ ــ ٤ : سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :

لأحقرن من الأشرار ذا صغر ... فالذئب ليس يذمون على نعم

ولا عجوزا على أهل فتفسدها ... ولا خصيا على مال ولا حرم

٩ : « فصادف قلبى فارغا فتمكنا » .

١٧٠ ١ ــ ٢ : « لامرأة ا و ا قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ... قال : قد والله يا مولاتى وسيدتى . أشهرت لى

١٤ : « أشد ذا إشغالا » .

١٥ : « ملهى فى النساء » .

١٦ : « وقال سعيد بن سلم ... وهو الصواب ... ا فى ٥ : ١٦١ .

Marfat.com

ص س

١٧١ ١ : « غير متكشّف »

٦ ـ ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه فى النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .

١٧٢ ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعد هذا الكلام ؛ وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .

١٠ - ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .

١٣ : « ممن كان يخلفه »

١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .

١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة

٦ : « الماشى المعْيى »

٩ : « من الشنو والبغضة »

١٢ : « وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .

١٤ـ١٥ : « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه

١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب للتشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .

٢ : « أن يحج [البيت] » .

٩ : « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .

١١ : « ولرضى منهم بالمسالمة » .

١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

Marfat.com

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصيّ » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعنى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والله لا أقلع أو أُخصَى
	١٠	: « بلّغتنى رَكَبَ النساءِ » . وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجّل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدودُ » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » . صوابه : « مولى بن عمر » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالمقصود
	١٣.١١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	٣.١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	٢.١	: « إلا بعرض ذا . ويزعمون أنه ليس شئ له صوت يعدو لسمع » .
	٦.٥	: « عن عرض بالنق سليب » . وذاك شعر

والسليب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرج يعترضون الناس عن غرض . أى من سفر وناصيته لا تدرى من قصيرها . اللسان (عرض ٣٨ ٣٩)

Marfat.com

ص س

٨ : « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .

١٥ : « التكملة كذلك فى النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .

١٨٣ ٦ : « كأن شبا طرفه » .

١١ : « فى ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغانى ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .

١٨٤ ٦ سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها "وزعم" .

٧ : « لايَلقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .

١٨٥ ٣ : « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح .
ويقال أيضاصأى يَصئِى . وهذا يوجه رواية ط «تصبى به » . إذ صوابها «تَصئِى به » .

١٥ : « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .

١٨٦ ٤ : « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .

٥ : « منوّن قالوا سراة الجن » .

١٤ : « ولم تقل جىء » .

١٥ : « أو ملك الأعجم » .

١٨٧ ٢ : « عمرا وقابوس » .

٤ : « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

Marfat.com

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
»	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين ، فقال : فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركّب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيْنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن مِيثم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسلمَ الحبل » .
	١٠	: « حين فارقه الخِزْل » . وهو الصواب . والخِزْل بالضم .

الهزال

١٩٢	٦	« فيزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » باسقاط « أنه »
	٨	: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى [illegible]
	١٠	: « كثير الجناية على إخوته . وإنما قيده حين [illegible] على [illegible]

يتهمونهم موضع السارق » .

Marfat.com

ص س

١١ : « وتركوا طراده » .

١٩٣ ٤ : « إلا وخطمه فى الأرض [أبداً] يتشمم » .

١٣ : « وفى أموالهم » . وهذا تحريف قرآنى . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص٤٥ .

وهى الآية ٢٤ من المعارج. وفى الآية ١٩ من الذاريات : « وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .

١٩٤ ١ : « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .

١٢ : « ثم كان مما لا يزاوج » .

١٣ : « وحرم هذا النسب »

١٩٥ ١٣ : « ولا ينازع إلى دجاجِهِ وطروقته »

١٩٦ ١ : « ولو لم يُخلَق » .

٧ــ٨ : « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .

٩ : « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .

١٢ : « وذاهلة طامحة » ،موضع « طامحة وذاهلة » .

١٤و١٥ : « لا يعرف التى سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .

١٩٧ ٩ــ١٠ ساقط من النسخة .

١٩٨ ٢ : « إذا اصطيدت أو قتلت» .

Marfat.com

ص س

٣ ٠ : « وأنشدوا قول الكميت » .

٤ : « لدَى الحبل » .

١١ : « عام جاحد » .

١٩٩ ٤ : « وقدحى بكفَّىَّ » .

١٨ : « صغار ومن ديكٍ تنوسُ غبا غبه » كما فى ل .

٢٠٠ ١ : « وقال شماخ بن أبى شداد » كما فى ٧ : ٨٥ .

٣ : « فتجعل فى حبالك » كما فى ل .

٥ : « سقطت كلمة " فإن » .

١١ : « والأجناس » بدل « والخشاش » .

١٧ : « وألسنتهم لا تنطق » .

١٨ : « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ؛ وهو الوجه

٢٠١ ١ : « وقلتُ وهذا باب » .

٢ : « من طرق المراء » .

٦ : « ولكل طعام آكل » .

٨ : « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .

١١ : « فى البدن . وكما ينمى العرق » .

١٢ : « من الحركة » .

١٤و١٥ : « ولابد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه

١٦ : « لا بد للمصاب من النفث » ، والاستفراغ أيضا من أوله .

٢٠٢ ٤ : « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

Marfat.com

ص س

٦—٧ : « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازا أو مَرَّاقا ، وآخر يطلب الملك » .

٢٠٣ ٣ : « وأن يسخو على الطعام » . يقال سخِيَ يَسخَى ، وسَخُو يسخُو ، وسَخَا يَسخُو ، لغات ثلاث .

٢٠٤ ٤ : « والمكروه بالمحبوب » .

٦ « ومتى بطل التخيُّر ذهب التمييز » .

١٣ : « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .

١٥ : « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .

٢٠٥ ١ : « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .

٤ : « ولأهل التمييز والرويّة » .

٥ « والسبع من لطع الدم » .

١٠ : « والملمس اللين » .

٢٠٦ ٣ : « منافعها هنيئة » .

١١ : « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .

١٣ : « والأسباب المتقيدة » .

١٥ : « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .

١٦ : « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .

٢٠٧ ١ « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .

٣—٤ : « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .

١٠و١١ : « وإن أتى بالغيث » .

Marfat.com

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرِف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلّ »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج » .
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » . أى الائتدام به . والصِّبغ والصِّباغ : مايصطبغ به من الإدام . وفى قوله تعالى « وصِبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود : شجرتها و[illegible] ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقزز المسلمين من دنوها » . مع سقوط التكملة التى بعدها
	١٤	: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها . وتكملة الرجال ذا »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها »
	٥	: « وإهانة اللئام »
	٦	: « وذكر أطول [illegible] وهو أوجه .
	٦	: « وشدة أمنها ومعاقد القمل » !
	٨ ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير حسبها »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » .

Marfat.com

ص س

١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجرائها » بالراء المهملة

٢٢٤ ١ : « وسياستها ، والتى لاتلقن منها »

٦ : « فمن يك عنه »

٧ : « تظل الكلاب العاويات »

٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .

١٢ــ١٣ : « وقال الخريمى ، وهو إسحاق بن قوهى فى قتلى حرب بغداد » .

٢٢٥ ٥ : « ويكنى أبا محمد [فى يوسف الشاعر] » .

٧ : « حلقّ بلقّ كاهنى »

١١ : « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .

١٢ــ١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج فى مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله فى كل عضو منه نعمة ، اللهم » .

٢٢٦ ٣ : « وكصنان عرقها »

٦ : « وضرب بالكلب فى ذلك مثلا فقال » .

٩ : « إنها امرأة حسناء »

١٠ : « بذىّ لسانها »

١٧ : « وقال [فى] مثل ذلك » .

٢٢٧ ١ : « بغبر البيد » .

٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

Marfat.com

ص س

٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .

٧ : « والعِقْى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،
وقد أورد الخبر فى اللسان (قق) وقال : « القَقَّة :
العِقْى الذى يخرج من بطن الصبىِّ حين يولد »

٨ ــ ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ . إنى لأنزع يدى من
جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط مابين ذلك من كلام

١٤ : « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدّده تلقاء خيشومه » .

٢٢٨ ٢ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .

٣ ــ ٤ : « من الجبهة الغض الفريض »

١١ــ١٢ : « لهو أشد من الأسد . ولهو أجرى من الليث الغادى » .

٢٢٩ ١ : « وبأن أنفه فى أسلوب »

٧ : « تماه نجد أب أصيد »

٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »

١٠ : « وليس بين [مسلوخ] المنكسود وبين المسلوب البابس
كبير فرق » . وكلمة « مسلوخ » صوابها « مثلوخ » . وفى
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن المنكسود هو المصلح

٢٣٠ ٣ : « فسماك بالقمحر »

٤ : « ويمدى فى لبان »

٧ : « ولو أنى أشاه قد ارفأنت بعامته وبخفهم مأقول ... »
الوجه . ارفأنت : سكنت

Marfat.com

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحمر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيّها » .
	٧	: « حيضا بيِّنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبته من ل على الصواب . وأنظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنق الحمر » ، والأعنُق والعُنُق كلاهما جمع للعَناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣ــ١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل «سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذنابها [محسيا] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

Marfat.com

ص س

١٣ : « لبعض البدع » .

٢٣٥ ١ : « هلك فيه فتيان منذ كانت الدنيا » .

٣ : « يلتقم العذرة ، وزهما لايستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .

٥ : « لايطيب مالحاً ولا ممقوراً » .

١١ : « وقد بلغ من شُهرة الرخمة بذلك ــ واسمها الأنوق ــ حتى سمّوا كل شيءٍ يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ؛ فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسمّ بالأنوق لشهوتها للعذرة .

١٤ : « رزق الأنوقين قرنبا وجُعَل » .

وهذه نهاية المقابلة على ما وجد فى مخطوطة الأمبروزيانة من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

Marfat.com

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٠	من البنيان	من البيان
١٦٥	٦	لا يَعتقه	لا يعتِقه
١٧٣	٢	من حمى كبته	من حمى ركبته
٢٣٤	١	ولا ذات	ولا ذاتُ
٢٥٤	١٣	أكلباً	أكلبَا
٢٧٧	٣	تَرَاحَ	تَرَاحْ
٣٣٥	٢	النبيِّ	لِلنبيِّ
٣٦٠	٩	ولا كرماً	ولا كرمَا
٣٦١	١	مُضر	مُضرٌ

Khalid M. Ishaq
A.J.V.S.
[illegible] Garden [illegible]

Marfat.com

استدراك وتذييل

ص	س	
٧٤	١١	فى العبارة شىء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أوارة الثانى ، وكان ذلك فى أيام عمرو بن هند اللخمى . الذى ولد الرسول فى أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربى لايبعد عهده عن الإسلام كثيراً . ا مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .
١٤٩	١١	(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت فى صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

دهش السكان فى ضواحى ألمرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر بعض علماء الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث فى بعض الأحيان أن تخلب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض وبصاحبها رياح قوية تعمل على رفع بعض هذه السحب إلى ارتفاع قد يبلغ عدة آلاف متر .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com